سلسلة المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث (٢)

قسطنطين بازيلي



وثيقة تاريخية نادرة طبعت عام ١٨٨٥
وتضمنت مذكرات القنصل الروسي في بيروت
خلال سنوات ١٨٦٩ - ١٨٨٢

قدمت له الباحثة السوفياتية

ا.م. سميليانسكايا

نقله الى العربية الأستاذ
يوسف عطا الله

راجع النص العربي وقدم له
الدكتور مسعود ضاهر



دار المدى للطباعة والنشر

سلسلة المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث (٢)

قسطنطين بتكوفيتش

"لبنان واللبنانيون"

وثيقة تاريخية نادرة طبعت عام ١٨٨٥
وتضمنت مذكرات القنصل الروسي في بيروت
خلال سنوات ١٨٦٩ - ١٨٨٢

قدمت له الباحثة السوفياتية
أ. م. سميليانسكايا

نقله الى العربية الأستاذ
يوسف عطا الله

راجع النص العربي وقدم له
الدكتور مسعود ضاهر



دار المدى للطباعة والنشر

صورة الغلاف باللغة الروسية

ЛИВАНЪ и ЛИВАНЦЫ.

ОЧЕРКИ НЫНѢШНЯГО СОСТОЯНІЯ АВТОНОМНАГО ЛИВАНСКАГО ГЕНЕРАЛЪ-ГУБЕРНАТОРСТВА

въ географическомъ, этнографическомъ, экономическомъ, политическомъ и религіозномъ отношеніяхъ.

Записка Генеральнаго Консула въ Бейрутѣ

К. Петковича.



С.-ПЕТЕРБУРГЪ.
Военная типографія, въ зданіи Главнаго Штаба.
1885.

* قسطنطين بتكوفيتش: لبنان واللبنانيون
* تقديم: الباحثة أ. م. سميليانسكايا
* ترجمة: يوسف عطا الله
* راجع النص العربي وقدم له: د. مسعود ضاهر
* حقوق الطبع محفوظة ـ الطبعة الأولى كانون الأول ١٩٨٦
* الناشر: دار المدى للطباعة والنشر ش. م. م.
هاتف: ٣١٦٥٧٥ ـ ٨١٧٢٥١ ـ ص. ب.: ٠٥٥٩٠ ـ ١٤
تلكس: ٤٠٢١١ B.B.C بيروت ـ لبنان
* تنضيد الأحرف والماكيت: كومبيوغراف
* تصميم الغلاف: حسن عاصي
* الخطوط: علي عاصي
* الطباعة: تكنوبرس الحديثة ش. م. ل.

بيتكوفيتش في كتابه

«لبنان واللبنانيون»

للباحثة السوفياتية الكبيرة ايرينا.م. سميليانسكايا

يحتل مؤلف كتاب «لبنان واللبنانيون...» القنصل قسطنطين ديميتريفتش بيتكوفيتش Constantin Dimitrievich Petkicich في دراسة التطور الاقتصادي والسياسي لجبل لبنان في القرن التاسع عشر، موقعاً متميزاً في الاستشراق الروسي إلى جانب الباحث الروسي المشهور قسطنطين ميخايلوفيتش بازيلي Constantin Mikhailevich Basili مؤلف الكتاب التاريخي الموسوعي «سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني» والذي ربما كان أهم وأعمق كتاب عن تاريخ سوريا ولبنان كتب في أوروبا في القرن التاسع عشر.

فكل من بيتكوفيتش وبازيلي شغل منصب القنصل العام في بيروت لكن مؤلفاتهما لا تغني عن الاطلاع على الدراسات التي تناولت تطور بلاد الشام. ففي محفوظات وزارة الخارجية الروسية تكدست مجلدات كثيرة تتضمّن البلاغات القنصلية بمضامينها الغنية عن أوضاع سوريا ولبنان وفلسطين والتي كانت قد أرسلت إلى السفارة الروسية في القسطنطينية وإلى الإدارة الأسيوية في وزارة خارجية روسيا القيصرية.

تأسست القنصلية الروسية في بيروت عام ١٨٣٩ وتحولت إلى قنصلية عامة عام ١٨٤٣. وطيلة القرن التاسع عشر بقيت هذه القنصلية مركزاً للنشاط الديبلوماسي الروسي في بلاد الشام حتى بعد تأسيس قنصليتين في دمشق وحلب[1].

---

(١) بدأ عمل القناصل الروس في الشرق الأوسط عام ١٧٨٤ عندما عُيّن قناصل عامّون في الاسكندرية وصيدا. وفي عام ١٧٨٥ تمَّ تثبيت مناصب القناصل في دمشق وبيروت كما ورد في كتاب ف.أ. أوليانيتسكي Olianetski بعنوان «القنصليات الروسية في الخارج أبان القرن الثامن عشر» (المجلد الأول ـ موسكو ١٨٩٩ صفحة ٦٥١). أما على الصعيد العملي، فحتى وصول ق.م. بازيلي إلى سوريا لم يكن ثمة قنصل روسي إلاّ في يافا. وكان في صيدا وبيروت واللاذقية وحلب نائب قنصل يقوم بأعماله أشخاص من غير الروس. وحتى عام ١٨٤٣ ظل النشاط القنصلي الروسي في سوريا تحت اشراف القنصل الروسي العام في الاسكندرية.

شغل ق. بازيلي منصب القنصل العام (١٨٣٩ - ١٨٥٣)، أما ق. بيتكوفيتش فشغل هذا المنصب في الفترة الممتدة ما بين ١٨٦٩ - ١٨٩٦. أي ان القنصلين شغلا قرابة ستة عقود متصلة من حياة القنصلية العامة في بيروت في القرن التاسع عشر.

ورغم أن ق. بيتكوفيتش ينتسب إلى الجيل الذي أعقب بازيلي، فإن وضع القنصلين كان متشابهاً لدرجة تثير الدهشة. وقد يكون هذا التشابه هو الذي أدّى إلى تعيينهما في المنصب ذاته. فكلاهما من أصل يعود إلى رعايا السلطنة العثمانية وينتسب إلى عائلة ذات نفوذ بارز. كان بازيلي من أصل يوناني، وكان جده صاحب أملاك في مقدونيا وكان والده متزوجاً من ابنة مصرفي كبير.

أما بيتكوفيتش فمن أصل بلغاري، ومن عائلة مَلّاكٍ كبير في مقدونيا أيضاً. كلا العائلتين كانتا معارضتين للسلطة العثمانية وتتعاطفان مع أفكار التحرر القومي وتربطانه بمساعدة روسيا. وعندما بدأت الانتفاضة اليونانية عام ١٨٢١ ساورت السلطات العثمانية الشكوك بأن لعائلة بازيلي ارتباطات بالثوار. فهربت العائلة إلى روسيا سراً وحطّت رحالها في أوديسا. أما ظروف انتقال ق. د. بيتكوفيتش إلى أوديسا نفسها في مطلع الأربعينات، فغير معروفة، لكن قسطنطين بيتكوفيتش الشاب عُرف بعدائه للسلطات العثمانية، كما أوضح ذلك بنفسه حين قال: «قدمتُ خدمة للقضية البلغارية»[2]. وفي فترة الخدمة العسكرية في رغوزا Raguse في دوبرفنيك Dobrovnic انخرط في الأحداث السياسية انخراطاً كاملاً في تشيرنو غوريا (الجبل الأسود) (Monte Negro)، مما جعل الدائرة السياسية في وزارة الخارجية الروسية، على ما يبدو، تفكر بالاستفادة من عدائه للعثمانيين خارج المنطقة السلافية.

هكذا ارتأت وزارة الخارجية الروسية أن تعين في مناصب القناصل العامّين في بيروت شخصيات على معرفة جيّدة بظروف الحياة السياسية في السلطنة العثمانية، وتشاطر المناهضين للعثمانيين أفكارهم الوطنية[3].

كان ق. د بيتكوفيتش مثل ق. م. بازيلي من الطائفة الارثوذكسية. وقد أقام بازيلي اليوناني علاقة ود مشتركة مع الرئاسة الروحية اليونانية القابضة على كافة المناصب والمراتب

(٢) قسم المحفوظات في مكتبة فلاديمير ايليتش لينين. وثيقة غير منشورة.

(٣) في العمل الديبلوماسي الفرنسي والبريطاني في هذه المنطقة تقاليد قديمة منها اختيار الكوادر وفقاً لمبادىء معينة. فقد كانت فرنسا تفضل الابقاء على منصب نائب القنصل للعائلات الفرنسية ذات النفوذ القديم في سوريا.

الدينية الرفيعة في بطريركيتي انطاكية والقدس، وبذلك واصل كل منهما التقليد القديم في العلاقات الطيبة بين الكنسيتين الروسية والسورية. وفي عام ١٨٦٥ أفصح ق. بيتكوفيتش عن مشاعر العداء للزعامة الروحية اليونانية بسبب اضطهادها للرعايا البلغار فقدم مساعدة ملموسة للزعامة الروحية العربية في مواجهة الرؤساء الروحيين اليونان. إلّا أن كلاً من القنصلين كان يتميّز عن الآخر بقناعاته السياسية وبمستوى تحصيله العلمي. فقد تربّى ق. م. بازيلي على التقاليد الأوروبية المتطلعة إلى الحرية في الربع الأول من القرن التاسع عشر، لكنه، في النصف الثاني منه، انحاز بوضوح إلى اليمين الحاكم. ورغم تمتعه بمواهب أدبية وقدر لا بأس به من الحدس العلمي، وأنه كان في علمه مديناً بدرجة كبيرة لجهوده الشخصية حيث تسنى له الحصول على ثقافة أكاديمية، فقد بدا متأثراً بأدب زميله في الدراسة، الأديب الروسي العظيم نيقولاي غوغول Nicolas Gougole كما كان على معرفة جيدة بعائلة الأديب الروسي العظيم الشاعر ب. أ. فيازيمسكي Viazimski[4] حصّل ق. بيتكوفيتش علومه الجامعية بامتياز، لكنه كان في عواطفه موالياً للنزعة السلافية. وتدل تقاريره المرسلة من بيروت على آرائه المحافظة التي تميّز بها كبار الموظفين الروس آنذاك. كان مواظباً في عمله، وكانت للأوسمة قيمة كبيرة لديه. وعشية إحالته على التقاعد كان في منصب مستشار دولة حقيقي وكانت رتبته في مصاف منصب جنرال.

مهما يكن من أمر، لا بد من إيفاء كل من القنصلين حقه في العلم باعتبار أنهما كرّسا جزءاً كبيراً من أوقاتهما للأبحاث العلمية. فأعمالهما لم تساعد فقط على تعريف جماهير القرّاء الروس بسوريا ولبنان وفلسطين، بل هي الآن بمثابة مصادر قيّمة للتاريخ الاقتصادي والسياسي لبلاد الشام.

إن تبلور الاهتمامات العلمية لدى بيتكوفيتش، وترقيه في المناصب القنصلية يمكن إيجازها على الشكل التالي. فقد ولد عام ١٨٢٧ في قضاء ويليس Willis المقدوني. وفي عام ١٨٤٣ (١٨٤٥ وفق مصادر أخرى) ظهر في أوديسا حيث تعلم في مدرسة ثانوية وتخرج منها بنجاح. ثم تابع دراسته في جامعة بطرسبرج Saint Peterbourg في معهد التاريخ واللغات. وفيها تأثر بأفكار عالم اللغات السلافية الروسية الشهير اسماعيل ايفانوفيتش سريزنيفسكي Srizneviski وبالإضافة إلى ذكرياته عن الطفولة التي قضّاها في أوساط الشعب البلغاري الذي كان رازحاً

(٤) رافق ق. م. بازيلي الأديب غوغول والشاعر فيازيمسكي أثناء رحلة الحج التي قاما بها إلى القدس.

تحت الظلم العثماني كان لتلك الأفكار الأثر في تحديد الطريق الذي اعتمده ق. بيتكوفيتش لعمله المستقبلي. فقد اتخذ قراراً بأن يكرّس نفسه لدراسة اللغات السلافية وآدابها «وهي مهنة لا تليق به ـ كما قال بنفسه ـ كشاب يتطلع إلى الترقّي في مناصبه».

وفي عام ١٨٥٢، العام الذي أعقب انتهاء دراسته الجامعية، انطلق ق. بيتكوفيتش برحلة طويلة في الأقطار السلافية. وكان خط سيره نفس الخط الذي سلكه استاذه في الأعوام ١٨٣٩ ـ ١٨٤٢. وأول مكان اجتذبه كانت مدينة براغ Prague حيث كانت تتطور على نحو رائع الدراسات الأوروبية للغات السلافية وآدابها. وفي براغ سعى إلى لقاءات مع كبار علماء السلافية مثل شافاريك Chavarik وغانكا Ganka[5]. ومن براغ توجه إلى بلغراد وزغرب وصولون. فزار أديرة جبل آتوس Athos وكان اهتمامه منصباً على استكشاف ودراسة «الآثار القديمة للعلوم السلافية وقام باستنساخ أهمها». استعد لدراسة الأدب السلافي القديم. فظهر أول عمل مطبوع له في هذا المجال تحت عنوان «رواية ق. بيتكوفيتش حول ما شاهده من مخطوطات دير زوغراف Zougraf». في تلك السنوات انهمك بالأفكار السلافية المفعمة بروح الشاعر التشيكي والسلوفاكي الشعبي يان كولار Yan Kular وقام ببعض الأعمال التي اعتبر أنها تساعد في «تطور الشعب البلغاري». لكن اندلاع حرب القرم أرغمه على الاسراع في العودة إلى روسيا حيث التحق بوظيفة حكومية هذه المرة، كما كتب لاحقاً عام ١٨٥٨ في رسالة إلى معلمه سريزنيفسكي قال فيها: «إن الظروف هي التي دفعتني في اتجاه غير الاتجاه الذي أعددت نفسي له».

عمل ق. بيتكوفيتش في الديوان الديبلوماسي للقائد العام للقوات الروسية غورتشاكوف Gourtchakov، وقام بأعمال الترجمة من اللغتين البلغارية والصربية. بالإضافة إلى ذلك، نشر أول عمل له عن تاريخ الكتاب السلافي وأعدّ للنشر عملاً بعنوان: «عرض لآثار أديرة جبل آتوس القديمة». وبعد انتهاء الحرب عمل في لجنة تخطيط الحدود في روسيا وتركيا. وفي عام ١٨٥٥ حصل على الجنسية الروسية. وفي عام ١٨٥٦ تعين في منصب سكرتير القنصلية

---

(٥) كتب بيتكوفيتش إلى سريزنيفسكي في ١٥ حزيران ١٨٥٢ يقول: «في ٦ حزيران غادرت فرصوفيا وفي الساعة الثانية من الثامن منه وصلت براغ حيث كنت مشدوداً إليها بافكاري وجوارحي منذ زمن بعيد. رأيت نفسي في الديار التي أحببتها بشغف منذ أول كلمة سمعتها منك في محاضراتك وأحاديثك الحية، في الديار التي أعددت نفسي فيها للقاء شخصيات كثيرة هي رمز ازدهار العلم السلافي وآفاق علماء السلافية عموماً».

العامة في راغوزا. آنئذ يتسارع تقدمه في الوظيفة. ففي عام ١٨٥٩ منح لقب قنصل ثم التحق بلجنة تخطيط الحدود بين السلطنة العثمانية ومناطق الجبل الأسود ثم منح لقب قنصل عام. كانت سنوات اقامته في راغوزا أغنى سنوات نشاطه العلمي في مجال اللغات السلافية. فينشر بعض الوثائق القديمة التي اكتشفها بنفسه، والأبحاث والترجمات التي قام بها عن اللغة الصربية. في تلك الفترة، على ما يبدو، نشر دراسته الاحترافية الهامة «تشيرنو غوريا والتشيرنو غوريون» أو «الجبل الأسود وسكانه» المشبعة بالمعطيات المستقاة من المراقبين وشهود العيان. وقد حدد هذا العمل إلى حد بعيد الأسلوب الذي اعتمده في كتابه اللاحق: «لبنان واللبنانيون».

في عام ١٨٦٩ عين ق. بيتكوفيتش قنصلاً عاماً في بيروت حيث تسلم منصبه في ٧ حزيران وبقي فيه حتى عام ١٨٩٦. قام بمهام وظيفته بأمانة واخلاص فاستحق تقدير رؤسائه، دون أن يتمكن من الحصول على أية ترقيات أخرى. وفي صيف ١٨٩٦ استأذن رؤساءه بالسفر للعلاج، لكنه لم يعد إلى بيروت نهائياً، إذ توفي في أوديسا عام ١٨٩٧.

إن انتقال ق. بتيكوفيتش إلى بيروت عام ١٨٦٩ قطع عليه الطريق لمواصلة التعمُّق في دراساته للغات السلافية وآدابها، إذ اضطر للانخراط في حياة اجتماعية وسياسية جديدة.

لكن خبرة أكثر من عشر سنوات في العمل الديبلوماسي واطلاعه الواسع المتعدد الجوانب، وعلمه وحبه للعمل، كل ذلك أتاح لبيتكوفيتش أن يتأقلم ويعتاد الوضع الجديد. وفي عام ١٨٧٠ أرسل إلى السفارة الروسية في القسطنطينية أول تقرير له عن لبنان واللبنانيين. وفيه استند إلى معطيات احصاء ١٨٦٢ الرسمي وما استقاه من الأدبيات الأوروبية الغربية. وفي وقت لاحق اغتنت معلوماته عن لبنان بشكل جذري بفضل ملاحظاته الشخصية.

لقد كان على معرفة بأعمال ق. بازيلي، إلّا أنه لم تكن لديه ملكة التبحُّر العميق الذي تميّز به سلفه في دراسته لتاريخ بلاد الشام. ومع ذلك فمعرفة بيتكوفيتش بالتركيبة السياسية والاقتصادية والسكانية المتصرفية جبل لبنان كانت دقيقة للغاية. فقد استند إلى أساس واقعي متين عندما كتب دراسته «لبنان واللبنانيون» واعتبرها «ثمرة نشاطي القنصلي الطويل الأمد في بيروت. وهو ما أتاح لي على الطبيعة أن أدرس المنطقة والناس بشكل مباشر وان أجمع المواد الاحصائية الضرورية من مصادرها الأولى».

نُشر كتاب «لبنان واللبنانيون» عام ١٨٨٥ (المجلد الثالث لعام ١٨٨٩) ضمن «مجموعة

مواد جغرافية وطوبوغرافية واحصائية عن آسيا». وبعد أربع سنوات نشر بيتكوفيتش في «المجموعة الارثوذكسية الفلسطينية» مقالة بعنوان «النصيريون ومعتقدهم الديني». (المجلد الثالث لعام ١٨٨٩). وبعد خمس سنوات أصدر كتاب: «سوريا، حوران وجبل الدروز»، ضمن منشورات الجمعية الفلسطينية الارثوذكسية الامبراطورية لعام ١٨٩٣، وكان المؤلف قد فكر بهذه الأعمال الثلاثة منذ السنة الأولى لإقامته في بيروت كقنصل عام فيها. وقد ذكر ذلك في أحد تقاريره القنصلية الذي بعث به إلى السفير الروسي في القسطنطينية عام ١٨٧٠. نشر ق. بيتكوفيتش أيضاً مقالات قصيرة في الصحف الروسية وقعها بحرف واحد هو حرف «ب». فقد ظهرت مثلاً في صحيفة «بشير الحكومة» في عام ١٨٨٧ مقالات دقيقة وتفصيلية له عن الاكتشافات الأثرية في مدينة صيدا: اكتشاف مدافن تضمنت نواويس فينيقية ويونانية. وفي هذه المقالات وبعطف كبير يصف بيتكوفيتش التدابير الحكومية للمحافظة على الاكتشافات الأثرية من السطو عليها من قبل هواة الآثار وجامعي التحف الأوروبيين (تراجع الأعداد ١١٨ لعام ١٨٨٧ و٦٦ و٧٥ و٧٧ لعام ١٨٨٨) ويصح الافتراض أن الأعمال المنشورة التي ورد ذكرها لا تشمل كل أعمال ق. بيتكوفيتش حول سوريا ولبنان، غير أن البحث في الوثائق الروسية ما بين ١٨٧٠ و١٨٩٠ لم يُؤدِّ حتى الآن إلى نتائج جديدة.

ثمة أمر واضح ان كتاب «لبنان واللبنانيون» أهم مؤلف وضعه ق. بيتكوفيتش في المسألة الشرقية ويبقى السؤال عن الفائدة الجوهرية التي يقدمها هذا العمل حول صورة جبل لبنان في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر.

ا. م. سميليكانسكايا

موسكو ٢٧ تشرين الأول ١٩٨٦

تقديم

الاستشراق العلمي والقنصل المؤرخ في كتاب «لبنان واللبنانيون»

الدكتور مسعود ضاهر

لماذا الاستمرار في إهمال المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث؟

لعبت المدارس الاستشراقية دوراً أساسياً في صياغة المقولات والفرضيات الأكثر تأثيراً في كتابة تاريخ المشرق العربي الحديث والمعاصر وذلك لأسباب عديدة ومتنوعة تحتاج إلى دراسة مستقلة. فبعض المستشرقين كانوا من أساتذة الجامعات الأوروبية وتربى على أياديهم، وتأثر بكتاباتهم الكثيرة ومناهجهم المختلفة الغالبية الساحقة من الباحثين وكتبة التاريخ العربي. وقد تركت المدرسة الاستشراقية الفرنسية بصماتها الواضحة على التأريخ اللبناني سنوات طويلة قبل فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، وفترة زمنية طويلة بعد رحيله عنهما ودخولهما في مرحلة الاستقلال السياسي. ذلك الواقع التاريخي يؤكد الدور الثقافي في عملية الاستتباع أو تشبه المغلوب بالغالب، حسب تعبير ابن خلدون. ورغم سطوع بعض الأسماء من المستشرقين الانكليز والألمان والإيطاليين ومن جنسيات أوروبية أخرى فإن غلبة الأسماء الفرنسية لا زالت واضحة حتى الآن، ولا زالت دراساتهم وأبحاثهم التاريخية الأكثر تناولاً، ويمتاز بعضها بفهم عميق لتطور المجتمع اللبناني خاصة، يضاهي ما كتبه المؤرخون اللبنانيون أنفسهم.

لا شك أن للروابط الفرنسية ـ اللبنانية القديمة والتي طالت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع اللبناني أثر واضح في بروز المدرسة الاستشراقية الفرنسية وتأثيرها في التأريخ اللبناني. فقد ساهم الحضور الكثيف للمصالح الفرنسية في هذه المنطقة، مقروناً بحضور ثقافي فاعل وإرساليات وغيرها في تعميق تلك الروابط ودفع الكثير من الكتّاب الفرنسيين لتدوين انطباعاتهم، ومذكراتهم، وإرسال تقاريرهم، ونبذة عن مشاريعهم إلى حكوماتهم. وعندما طبعت كل هذه الأعمال شكلت كمّاً

ضخماً من وثائق الأرشيف، السياسي والعسكري والاقتصادي، ومذكرات الرحالة، وتقارير القناصل، وأعمال الارساليات، وسجلات الأخويات والمؤسسات التبشيرية والأوقاف وغيرها. تلك كانت المحصلة الغنية جداً للوثائق الفرنسية حول تاريخ لبنان الحديث، لا بل تاريخ بلاد الشام كلها. ورغم أن شخصية المستشرق، وميوله الذاتية، وآراءه الخاصة تلعب دون شك دوراً بارزاً في تحديد آرائه الفكرية وكتاباته السياسية، لكنه بالضرورة نتاج مدرسة استشراقية ذات سمات خاصة بها ويتلاقى في داخلها مع عدد كبير من المستشرقين الذين جاءوا قبله أو عاصروه أو جاءوا بعده. وليس من السهل تحديد السمات المنهجية لأية مدرسة استشراقية تحديداً حصرياً لأن فيها الباحث المدقق، والمؤرخ المطلع، والأديب المتميز، والشاعر المبدع (نماذج ڤولني، ولامرتين، وجيرار دونرفال، وماسينيون، ودو ساسي، ورينان - وغيرهم الكثير من مستشرقي المدرسة الفرنسية) وفيهم كتبة التقارير من السفراء، والقناصل، ومندوبي البعثات، وجواسيس السفارات في الداخل والخارج، وأصحاب الرتب العسكرية وغيرهم. لذلك لا يستطيع مؤرخ منصف أن يدرج هؤلاء جميعاً في خانة استشراقية واحدة ويتعامل مع تراثهم السياسي والتاريخي والأدبي على مستوى واحد. وليس من السهل كذلك الاطلاع الدقيق على أبحاث هؤلاء جميعاً لأن قسماً منه بقي طي الكتمان (خاصة التقارير السرية)، وقسماً هاماً نشر في صحف ومجلات قديمة فقدت أو يصعب الاطلاع عليها الآن. فعلاقة المؤرخ مع التراث الاستشراقي إذاً تحدده ضوابط كثيرة وموانع غير قابلة للتخطي أحياناً. لذا تبدو الطريقة الأكثر علمية في هذا المجال أن يتعاطى المؤرخ مع ما هو منشور ويسهل الاطلاع عليه من تراث بعض المستشرقين على أن يحدد دراسته ضمن هذا الاطار دون أن يتخطاه إلى التعميم الشمولي ما لم تتسن له المعرفة التوثيقية الدقيقة والكافية بأكثر الأبحاث الاستشراقية قيمة، وأعمقها تحليلاً وذلك دون إسقاط المصادر الأخرى مهما كانت سطحية أو ذات طابع دعائي. لكن اللافت للنظر، في حالة الاستشراق الروسي حول تاريخ سوريا ولبنان الحديث، أنه لم يول أية عناية إذ تركزت معظم الترجمات عن الروسية إلى العربية حول الكتابات المعاصرة (دراسات كراتشكوفسكي، لوتسكي، سميليانسكايا، ليفين وغيرهم). في حين أن وثائق تاريخية نادرة حول تاريخ هذه المنطقة لم تحظ بأي اهتمام. ولا شك أن مسؤولية كبرى في هذا المجال تقع على عاتق طلبة الدراسات العليا في التاريخ، من سوريين ولبنانيين، خاصة الذين أكملوا علومهم في الاتحاد السوفياتي، ولم يستفيدوا من الكنوز الغنية للأرشيف الروسي - السوفياتي. علماً أن تحصيلهم العلمي الأكاديمي، واتقانهم للغة الروسية يضعهم في موقع المسؤولية المباشرة لتحمل أعباء هذه المهمة

العلمية البالغة الأهمية. وبثقة كبيرة نقول إن السنوات القادمة ستشهد بالتأكيد محاولات جديّة لسد هذا النقص الحاد في مكتبتنا التاريخية العلمية لأسباب عديدة أبرزها ذلك الغنى التراثي الذي لاحظناه في مكتبات موسكو، ولينينغراد، وطشقند وغيرها وهي تضم أكثر من عشرة آلاف مخطوطة عربية أو مكتوبة باللغة العربية، وأن بينها مخطوطات نادرة ومفقودة ولا رديف لها في أية مكتبة أخرى. هذا بالإضافة إلى مئات الكتب والدراسات العلمية المعمّقة، والمذكرات الشخصية، وتقارير الأرشيف الروسي الغني جداً، ومذكرات الرحالة، والتقارير العسكرية وغيرها من الأبحاث التي تقدم معرفة علمية تفصيلية حول مختلف جوانب التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي لبلاد الشام بشكل خاص، وللعالم العربي بشكل عام. وإذا كان من مصلحة المدرسة الاستشراقية الفرنسية، إبان سيطرتها المباشرة وغير المباشرة، أن تطمس التراث الاستشراقي الروسي حول تاريخ الأقطار العربية فإن من واجب المؤرخين العرب، على اختلاف أقطارهم، النهوض بهذه المهمة الوطنية والقومية العلمية وسيجدوا لهم بين المؤرخين السوفيات سنداً ودعماً كبيرين.

بعض سمات المدرسة الروسية للاستشراق حول بلاد الشام في القرن التاسع عشر

أثناء إعدادنا لسلسلة «المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث» لترجمتها ونقلها إلى العربية، تسنّى لنا الاطلاع على عدد لا بأس به من كتابات بعض كبار المستشرقين الروس في هذه المرحلة والتي سنصدرها تباعاً في عدة مجلدات أو كتب تضم أبحاثاً متنوعة قدمها عدد من المستشرقين الروس. لذلك نزعم أن الجوانب الأساسية التي استنتجناها من تلك الأبحاث تكاد تختصر، إلى حد بعيد، سمات مدرسة الاستشراق الروسي حول بلاد الشام في التاريخ الحديث. أبرز تلك السمات دون تفضيل بينها:

أ - التدريب الجيد للمستشرق قبل إرساله خارج روسيا القيصرية

فإلى جانب تفوقه العلمي في دراساته الأكاديمية وتمايز مستواه عن باقي أقرانه في المعهد والجامعة، كان المستشرق (ونخص بالذكر من نجح من المستشرقين وترك نتاجاً علمياً متميزاً أمثال كريمسكي، وبيتكوفيتش، وكراتشكوفسكي، وبازيلي وغيرهم من أعلام الاستشراق الروسي في القرن التاسع عشر) يتقن لغات عديدة من اللغات الحية ويلمّ بعدد كبير من اللهجات الشعبية المحكية في بعض المناطق العربية. حتى أن كريمسكي كان على علاقة بأكثر من ستين لغة ولهجة محكية وقام برحلات عديدة لدراسة اللهجات المحلية حتى أن بات خبيراً في

هذا المجال ويتلقى رسائل عديدة، وبشكل يومي، من زملائه المستشرقين وطلابه، لحل بعض الاشكالات اللغوية ولدراسة التقارب بين اللغات واللهجات، القديمة والحديثة، ومدى تبادل الكلمات فيما بينها، وأثر ذلك على التلاقح الثقافي والحضاري بين مختلف شعوب العالم. واعتبر كريمسكي، بحق، واحداً من أكبر علماء العالم في دراسة التلاقي بين الحضارات. لهذا خصته منظمة الأونيسكو بجائزة تكريمية بمناسبة عيد ميلاده المئوي عام ١٩٧١ واعتبرته عيداً ثقافياً لواحد من كبار رجال الثقافة المعترف بهم عالمياً.

ب ـ المستشرق المثقف والمنفتح على العلوم المعاصرة

كان معهد الاستشراق الروسي شديد الحرص على اختيار العناصر العلمية الكفؤة فيزودها بالمنح الدراسية الكافية، ويرسلها ببعثات متلاحقة للإطلاع على أوضاع البلدان التي يقوم بدراسة تراثها وتطورها، ويوعز إلى السفارات والقنصليات الروسية هناك بتأمين كل ما يلزم للمستشرق الشاب من حاجات أثناء دراسته، ومساعدته إلى الحد الأقصى، والاستفادة منه بهدف تدريبه المبكر، وإيكال بعض المهمات إليه كشراء الكتب والمخطوطات والآثار النادرة لنقلها إلى مراكز الاستشراق الروسي خاصة في لينينغراد وموسكو. ان قراءة متأنية لسيرة حياة كل من بازيلي، وكريمسكي، وبيتكوفيتش وغيرهم توضح بما لا يقبل الشك أن هؤلاء قد أعدّوا إعداداً جيداً لهذه المهمة. وأن بازيلي كان واحداً من ألمع القناصل الروس في المشرق العربي في القرن التاسع عشر وبقي في بيروت طيلة سنوات ١٨٣٩ ـ ١٨٥٣ وترك أبحاثاً علمية بالغة الأهمية أبرزها كتاب «سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني» الذي نشرته أكاديمية العلوم السوفياتية مجتزءاً عام ١٩٦٢ في ٣٢٦ صفحة ونأمل بإعادة نشره كاملاً نقلاً عن طبعة ١٨٦٢ الصادرة بجزئين في ٤٠٨ صفحات و٣٤٦ صفحة. وهو كتاب بالغ الأهمية ولا يعادله أي كتاب استشراقي آخر حول بلاد الشام في القرن التاسع عشر. كما أن كتاب كريمسكي حول «تاريخ الأدب العربي الحديث» الذي لم ينقل بعد إلى العربية، يعتبره كثير من الباحثين السوفيات المعاصرين، ومنهم الباحثة الكبيرة سميليانسكايا، من أهم الدراسات الاستشراقية العالمية حول الأدب العربي في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. ولم يتسن لنا بعد الاطلاع على كتاب بيتكوفيتش «سوريا، حوران وجبل الدروز» الصادر ضمن منشورات الجمعية الفلسطينية الارثوذكسية الامبراطورية لعام ١٨٩٣، لكن كتابه «لبنان واللبنانيون» الذي صدرت طبعته الأولى في بطرسبورغ عام ١٨٨٥، وصدرت ترجمته إلى

العربية هذا العام، يعتبر من أهم الوثائق العلمية التي تناولت تاريخ متصرفية جبل لبنان خلال سنوات ١٨٦١ ـ ١٨٨٢.

ج ـ التمايز عن المدرسة الاستشراقية الاستعمارية الغربية

إن من يطلع على رسائل كريمسكي يدرك، منذ البداية، أن المستشرق الروسي كان يملك حيّزاً من النقد تجاه السفراء والمسؤولين الروس لم يكن يملكه المستشرق الغربي، خاصة الفرنسي أو الانكليزي. لقد وجّه كريمسكي، أكثر من بازيلي وبيتكوفيتش لأنهما كانا قنصلين وفي موقع المسؤولية السياسية، انتقادات لاذعة للدبلوماسية الروسية وأظهر تقاعسها وإهمالها حتى في مجال نشر اللغة والثقافة الروسية داخل المدارس التي تمولها روسيا القيصرية نفسها. وان بعض المسؤولين الروس لم يتورعوا عن استخدام المال الروسي المجموع بالكوبيك (القرش الروسي) من فقراء روسيا لتوظيفه في دعم مؤسسات تسمي نفسها روسية أو مدعومة من روسيا لكنها تدرّس اللغة الفرنسية أو اللغة الانكليزية بدل الروسية. كما دعا غالبية المستشرقين الروس، ومن موقع التمسك بالدعوة الارثوذكسية، بضرورة تمتين الروابط بين ارثوذكس المشرق وروسيا القيصرية كما فعلت فرنسا مع الموارنة، والنمسا مع الكاثوليك، وانكلترا مع الدروز. فالاستشراق غير معزول عن السياسة ولا يمكن الفصل بينهما. لكن الواقع التاريخي جعل من المستشرق الفرنسي جزءاً لا يتجزأ من السلطة الثقافية المدعومة بالسلطة العسكرية والسياسية والاقتصادية والادارية. في حين وجد المستشرق الروسي نفسه، في بلاد الشام إبان القرن التاسع عشر، جزءاً من مشروع سياسي غير قابل للتحقيق. وان جماهير الطائفة الارثوذكسية تتقلص تباعاً بسبب انتقال العديد من أفرادها إلى طائفة الروم الكاثوليك أو إلى الطائفة البروتستانتية. لذلك لم يول كل من كريمسكي، وبيتكوفيتش، وبازيلي وغيرهم المسألة الطائفية أهمية كبيرة على رغم حنينهم الدائم إلى حماية روسية واسعة لجميع الارثوذكس في العالم العربي. فجاء الجانب الطائفي نقدياً أي انتقاداً لتقاعس السياسة الروسية عن حماية ارثوذكس الشرق. وتحولت دراساتهم إلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والادارية والسياسية بمدلولاتها الشمولية وليس لطائفة بعينها على غرار معظم المستشرقين الفرنسيين في تركيزهم على الموارنة أكثر من باقي الطوائف اللبنانية. لذلك يمكن القول إن أدبيات مدرسة الاستشراق الروسي في القرن التاسع عشر أكثر غنى وذات فائدة لا تقدر بثمن لدارسي التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام. نكتفي بهذه السمات العلمية الثلاث إذ سبق لنا وقدمنا محاضرة بعنوان «كريمسكي ومدرسة الاستشراق الروسي حول بيروت وجبل لبنان على

مشارف القرن العشرين» التي نشرت في مجلة «الطريق»، لندخل إلى عالم قسطنطين بيتكوفيتش في كتابه الرائع «لبنان واللبنانيون» كنموذج للاستشراق العلمي الروسي.

القنصل المؤرخ ومنهجية المستشرق العالم

يعتبر قسطنطين ديميتريفتش بيتكوفيتش Constantin D. Petkovich نموذجاً بالغ الدلالة في مدرسة الاستشراق الروسي حول بلاد الشام في القرن التاسع عشر. فهو واسطة العقد بين المستشرق الفذ بازيلي Basili والمستشرق العلامة كريمسكي. فقد تولى الأول قيادة العمل القنصلي في بيروت خلال سنوات ١٨٣٩ - ١٨٥٣، وعاصر الثاني بيروت في أواخر القرن التاسع عشر خلال أعوام ١٨٩٦ - ١٨٩٨. أما بيتكوفيتش فقد تولى قنصلية بيروت خلال سنوات ١٨٦٩ - ١٨٩٦. لكنه غادر بيروت قبل أشهر معدودة من قدوم كريمسكي إليها بسبب مرض مفاجيء أودى بحياته في أوديسا عام ١٨٩٧.

وتلاحظ سميليانسكايا في مقدمتها للطبعة العربية لكتاب «لبنان واللبنانيون» ان بين بازيلي وبيتكوفيتش أكثر من رابط. فكلاهما من أصل مقدوني، ومن أبناء كبار الملاكين هناك. وكانت عائلتاهما على علاقة وثيقة بالانتفاضات الوطنية التحررية اليونانية ضد السلطنة العثمانية. مع الإشارة إلى أن بيتكوفيتش كان في الجانب البلغاري من مقدونيا. وارتبط اهله ارتباطاً وثيقاً بالحركة التحررية البلغارية ضد السلطنة، ونفي ذووه إلى روسيا القيصرية حيث تعلّم وأبدى ميلاً شديداً للدراسات السلافية ثم ما لبث الظروف أن دفعت به نحو بلاد الشام للعمل القنصلي في بيروت بعد أن أمضى سنوات طويلة في دراسة اللغات والآداب والآثار السلافية وكتب دراسة مطولة حول «الجبل الأسود وسكانه» كانت نموذجاً نسج على منواله كتابه «لبنان واللبنانيون» وكتابه الآخر «سوريا، حوران وجبل الدروز»، ومقالته «النصيريون ومعتقدهم الديني» الذي يمكن ترجمته على غرار سابقيه «النصيريون وجبل النصيرية». وفي هذه الدراسات جميعها تأثير واضح للمدرسة الجغرافية التاريخية التي كانت سائدة خلال تلك المرحلة أي ربط التكون التاريخي لشعب من الشعوب، أو لطائفة من الطوائف، بأرض معينة غالباً ما تكون جبلاً متمايزاً عما يحيط به من المناطق الجغرافية حتى يسهل الكلام على الجبل - الملجأ، والجماعة التي تنشد الحرية والاستقلال في جبالها المنيعة، والأخلاق الفلاحية بنقاوتها في مواجهة التحلل الخلقي في السهول والمدن إلى آخر المفردات المألوفة عند مقارنة الجبل بالسهل.

لقد حمل قسطنطين بيتكوفيتش معه إلى مقر عمله القنصلي الجديد في بيروت ماضيه المثقل بالعداء للسلطنة العثمانية التي كانت السبب في تشريد أهله عن ديارهم البلغارية بسبب مواقفهم الوطنية التحررية وارتباطهم الوثيق بالانتفاضات المقدونية المتلاحقة ضد السلطنة في أواسط القرن التاسع عشر. وبحكم موقعه الجديد كقنصل لروسيا القيصرية الموقّعة على بروتوكول المتصرفية لعام ١٨٦١ والضامنة لحسن تنفيذه، كان على بيتكوفيتش أن يصارع يومياً نفوذ القناصل الآخرين، خاصة القنصل الفرنسي والقنصل الروسي بالإضافة إلى مراقبته المستمرة لمتصرف جبل لبنان - لتأمين مصالح الطائفة الارثوذكسية التي تدّعي روسيا القيصرية حمايتها، ولمنع المتصرف من أن يصبح أسير القرار العثماني منفرداً، أو ارتباطه بأي من القنصلين الفرنسي والانكليزي لموازنة الضغط العثماني.

لقد وفد بيتكوفيتش إلى جبل لبنان في مرحلة تاريخية بالغة الدقة اشتد فيها الصراع الاستعماري على المشرق العربي وكانت أبرز تجلياته في جبل لبنان. ولم يكن ذلك الصراع في إطار الهجوم على السلطنة العثمانية لتفكيكها وانتزاع ولاياتها فحسب بل أيضاً بهدف اقتسام مناطق النفوذ بين الفرنسيين والانكليز على امتداد الوطن العربي كله وليس في مشرقه فقط. لقد رأى بيتكوفيتش بعينه، ومن موقعه الفاعل كقنصل روسيا في بيروت، كيف يزداد النفوذ الفرنسي أولاً، والانكليزي ثانياً، في جبل لبنان على حساب السلطنة العثمانية من جهة وباقي الدول الموقعة على البروتوكول من جهة أخرى. ومن هذا الموقع بالذات حرص بيتكوفيتش على طلب أموال روسية تمكنه من مقارعة النفوذ الفرنسي والانكليزي في جبل لبنان ومنع أبناء الطائفة الارثوذكسية من الانتقال إلى صفوف الطوائف المسيحية الأخرى، خاصة الروم الكاثوليك والبروتستانت. فالقنصل الروسي آنذاك، هو، بالدرجة الأولى، ممثل لحامية الارثوذكسية في العالم ولا يمكن أن يتخلى للحظة واحدة عن هذا الدور أو يتقاعس عن دعم الزعامات الارثوذكسية اللبنانية، الدينية والمدنية على السواء. بل كان يطمح إلى لعب دور مماثل لما يقوم به القنصل الفرنسي مع الموارنة، والقنصل الانكليزي مع الدروز، حتى يشتد نفوذه ويوظف جماهير الطائفة الارثوذكسية، ومغتربيها، وزعاماتها في خدمة روسيا القيصرية ومشاريعها في المشرق العربي.

لذلك ما أنفكّ بيتكوفيتش يدعو في تقاريره، وكما ورد في كتابه بالذات، إلى مزيد من الأموال الروسية، والعمل على تجميع الارثوذكس، وفتح المدارس لأبنائهم، والاستفادة من أموال مغتربيهم، والإكثار من الزيارات إلى زعاماتهم، والظهور بمظهر المدافع عن مصالح

الطائفة الارثوذكسية لدى المتصرف، ومنع التعديات على حقوقها، وإظهار الغبن اللاحق بها عند تشكيل الشرطة في المتصرفية بنسبة سبعة لكل ألف نسمة من السكان، والكلام المتكرر حول التسلط الماروني على حقوق الارثوذكس للتفرد بالقرار المسيحي داخل المتصرفية، والرد على ذلك التسلط بأن الأرثوذكس هم الطائفة المسيحية الأكثر عدداً على صعيد المشرق العربي وبالتالي لا يجوز الكلام عليها كطائفة في جبل لبنان فحسب.

هذا الجانب الاستشراقي لا يعطي بيتكوفيتش أهمية تميزه عن باقي كتبة المدرسة الاستشراقية الغربية، خاصة الفرنسية منها. فعداؤه واضح للسلطنة العثمانية وكذلك اتهامه لها دوماً بالتواطؤ ضد السوريين واللبنانيين، وبتآمر مندوبيها، أي المتصرف، مع القنصلين الفرنسي والانكليزي بهدف تأمين المصالح العثمانية، ليس في جبل لبنان فحسب بل على صعيد السلطنة بكامل ولاياتها حيث المصالح الفرنسية والانكليزية تتزايد باستمرار. كما أن كلامه الدائم حول حقوق الطائفة الارثوذكسية ورفع الغبن اللاحق بها لحساب باقي الطوائف يدخل في إطار التنافس القنصلي وبالتالي التنافس الاستعماري للسيطرة على المشرق العربي. وكان من الطبيعي أن يزداد النفوذ الفرنسي على حساب نفوذ الدول الأوروبية الأخرى بحكم التوظيفات الكبيرة التي أقامها الفرنسيون في بلاد الشام وفي مقر السلطنة العثمانية نفسها وقدرت بمليارات الفرنكات الفرنسية في مختلف القطاعات كالبنوك والمرافىء، والشركات الخاصة وغيرها. أما الرساميل الروسية فكانت ضعيفة للغاية لأن أوضاع روسيا القيصرية كانت تسير من سيء إلى أسوأ في مختلف المجالات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكثرت هزائمها العسكرية، وتعمقت أزماتها الاقتصادية، وتكاثرت ديونها فباتت، على غرار السلطنة العثمانية، على قاب قوسين أو أدنى من الافلاس. وانحصرت أطماعها الاستعمارية في منطقة البلقان دون سواها حيث قدمت خدمات كبرى لحركات التحرر الوطني والقومي فيها من الحكم العثماني. لكن الجانب الاستشراقي في كتاب بيتكوفيتش «لبنان واللبنانيون» ضئيل الحجم ويكاد لا يتعدى بعض المقاطع أو الصفحات على أبعد تقدير. في حين احتل الجانب العلمي البحثي حيزاً كبيراً من الكتاب فأعطاه غنى وثائقياً قل أن حظي به كتاب وثائقي آخر طبع منذ مئة سنة ونيف وتناول مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية والإدارية والعسكرية والثقافية لمتصرفية جبل لبنان. في هذا المجال، نكاد نجزم أن هذا البحث الوثائقي هو الأول من نوعه، وهو فريد في دقة احصاءاته وتنوعها وشمولها، وسيصبح، بعدما صدر باللغة العربية، المصدر الأكثر أهمية لدراسة المتصرفية في

الفترة الممتدة بين أعوام ١٨٦١ ـ ١٨٨٢. فما هي مكامن الجدّة في هذا الكتاب؟

تتوزع موضوعات الكتاب على العناوين التالية:

ـ **لمحة سريعة عن جغرافية جبل لبنان** وأنهاره وغاباته ومناخه ومنتوجاته ولا يتعدى حجمها الصفحات الخمس.

ـ **سكان جبل لبنان: أصولهم وطوائفهم** وهذا القسم من أهم موضوعات الكتاب. فبالإضافة إلى لمحة سريعة حول الطوائف الست الكبرى في المتصرفية: الموارنة، الدروز، الروم الارثوذكس، الروم الكاثوليك، الشيعة، والسنّة يقدّم بيتكوفيتش إحصاء دقيقاً لم نقع على مثيل له في جميع الوثائق التاريخية المنشورة حول هذه المرحلة وهو مأخوذ عن الاحصاء الرسمي العثماني لعام ١٨٦٢. وقد تضمن الاحصاء ١٢ جدولاً تفصيلياً حول توزيع السكان الذكور في جبل لبنان عامة، وفي كل قضاء وناحية وقرية ومزرعة صغيرة. وقد وجدنا صعوبة كبرى في التعرف على أسماء بعض المزارع التي اندثرت والتي لا يعرفها الآن أبناء المنطقة بالذات. ولم يدخر المؤلف جهداً في كتابة أسماء القرى والمزارع الصغيرة التي لا يقطنها سوى شخصين أو ثلاثة أشخاص من الذكور وذلك للدلالة على حرصه الشديد لاعطاء جداول إحصائية تفصيلية بتوزيع السكان الشمولي والتفصيلي. وسيكون لهذه الجداول نفع عميم لا يستطيع تجاهله أي باحث في تطور السكان في لبنان منذ القرن التاسع عشر حتى الآن. وقد تجاوزت صفحات هذا القسم ٣٥ صفحة.

الأوضاع الاقتصادية لمتصرفية جبل لبنان

تضمن هذا القسم ثلاثة عناوين رئيسية هي: الزراعة، الصناعة، والتجارة، تنقسم بدورها إلى عناوين فرعية أبرزها توزع الملكية العقارية بين الأملاك الأميرية (البكاليك)، والأملاك المملوكة ملكاً خاصاً. ويقدم بيتكوفيتش في هذا القسم معلومات دقيقة حول انتشار كل من هذين النوعين في قرى ومناطق المتصرفية. ويدقق في رسم صورة متكاملة لأنواع المزارعين مع تحديد السمات الخاصة بكل فئة منهم وما تقدمه من عمل لقاء ما تحصل من الانتاج كالثلث والربع والخمس، والمزارعة، والمساقاة، والشراكة، والأجر النقدي، والعمل الموسمي. ثم يقدم جدولاً إحصائياً يبين نسبة ملكية الأرض إلى عدد السكان في متصرفية جبل لبنان بشكل عام، وعلى أساس كل قضاء ومركز إداري بشكل مفصل،

ويرفقه بجدول آخر بالملكية العقارية لكل طائفة على أساس مقاييس تلك المرحلة وهي الدرهم والقيراط وينتهي بتحليل الجداول المقدمة وصولاً إلى استنتاجات بالغة الأهمية ولم تفقد دلالاتها الاجتماعية حتى الآن.

ومن العناوين الفرعية أيضاً في الزراعة وصف دقيق لأبرز المنتجات الزراعية في المتصرفية مع جدول تفصيلي بكمية كل سلعة زراعية منتجة والسعر التقريبي لها خلال عام ١٨٧٩. ثم يرفقها بجدول آخر حول توزع الثروة الحيوانية في كل قضاء وذلك بأرقام تقريبية مع لمحة سريعة حول وجود الثروة المعدنية في مناطق المتصرفية والأسباب التي تمنع استخراجها من باطن الأرض، وإحجام الرساميل المحلية والأجنبية عن المشاركة في ذلك الاستخراج والتسويق. وفي نهاية القسم المتعلق بالزراعة يقدم بيتكوفيتش بعض الأفكار السريعة حول مستوى حياة السكان الريفيين في جبل لبنان وكيف أن انتاجهم من الحرير والسلع جعلهم في مرتبة متقدمة على سائر الريفيين في بلاد الشام.

في الجانب المتعلق بالصناعة يقدم المؤلف صورة مفصلة حول جميع الحرف الصناعية في مناطق المتصرفية خاصة الحرير، والصابون، والتبغ، وصب الأجراس، وحياكة النسيج، وصناعة الأحذية، والتطعيم بالذهب، وصناعة النبيذ والعرق، وصناعة الاسفنج وغيرها. أما في الجانب التجاري فيرسم لوحة متكاملة تقريباً حول ابرز أنواع السلع المصدرة من المتصرفية والمستوردة إليها وأسعار كل منها. كما يقدم صورة دقيقة لأسعار العملات الأجنبية خلال عامي ١٨٧٩ - ١٨٨٠ وأبرز أنواع مقاييس الوزن، ومقاييس الحجم، ومقاييس الطول، ومقاييس المساحة، وجدول تفصيلي بأسعار المواد الغذائية خلال عامي ١٨٧٩- ١٨٨٠، وأوضاع الطرقات في متصرفية جبل لبنان وتواريخ دقيقة لشق كل منها خاصة بعد اعطاء امتياز فتح الطرقات فيها للشركة الفرنسية المساهمة المسماة: «الشركة الامبريالية العثمانية لطريق بيروت - دمشق» عام ١٨٥٨. وقد بلغت صفحات هذا القسم ٣٤ صفحة.

الجهاز السياسي والاداري والمالي والعسكري في متصرفية جبل لبنان

يتحدث المؤلف في الجانب السياسي حول ولادة نظام المتصرفية ودور المتصرف وأعضاء مجلس الادارة وكيفية انتخابهم، ودور مخاتير القرى وشيوخ الصلح مع لمحة تفصيلية عن مجلس الإدارة الكبير للمتصرفية، ومجلس القضاء الأعلى، وحكم المالية، وحكم المساحة، وحكم التحريرات الأجنبية والترجمة، وحكم التحريرات التركية، وحكم التحريرات

العربية، وحكم مجلس الإدارة. أما في الجانب الإداري فيتحدث المؤلف عن وضع كل قضاء، وكيفية العمل فيه، والانعكاس الطائفي على ادارته، والتدابير الصحية مع تحليل دقيق لمساوىء العمل الإداري في المتصرفية وتقديم المقترحات اللازمة لإصلاحها والتي لم تفقد أهميتها حتى الآن وذلك بعد مرور أكثر من مئة سنة على صدور الكتاب للمرة الأولى بطبعته الروسية. ثم يفرد المؤلف صفحات إحصائية دقيقة حول مالية المتصرفية، وطرق الجباية فيها، ونفقات الإدارة مع جدول احصائي دقيق بمالية المتصرفية بين الواردات والصادرات لعام ١٨٧٩ - ١٨٨٠ مبرزاً نفقات المتصرف، والرسوم، ومداخيل املاك الدولة، ورسوم صيد الاسفنج، ورسوم المحاكم، ورواتب الموظفين وغيرها.

ويقدم بيتكوفيتش كذلك صورة تفصيلية لأوضاع الشرطة في جبل لبنان أو الضابطية، مبيناً أعدادها وتوزعها الطائفي والمناطقي، والرتب العسكرية المستخدمة، وكيفية تدريبها، ونسبة رواتبها، والأسباب التي تمنع استخدامها بين منطقة وأخرى مع جدول تفصيلي بملاك شرطة جبل لبنان خلال عام ١٨٧٩ - ١٨٨٠ الذي يكاد يكون أفضل جدول تنظيمي في هذا المجال من حيث إبراز الرتب، والعدد، والراتب الشهري، وتوزيع القوى العسكرية على كل طائفة. وهو جدول بالغ الأهمية وفريد في بابه. وبلغت صفحات هذا القسم العشرين صفحة تقريباً.

التعليم والآثار في متصرفية جبل لبنان

وفيه صورة تفصيلية حول نشأة التعليم الرسمي في جبل لبنان وسبل تمويله وذلك باقتطاع قسم من الموازنة و٥٪ من رواتب الموظفين أيام فرنكو باشا. لكن تلك الطريقة توقفت منذ عام ١٨٧٧ وعاد التعليم الرسمي إلى سابق عهده المتخلف لمصلحة المؤسسات التبشيرية والتعليمية الخاصة. ويعتبر هذا القسم من أفضل صفحات الكتاب وأكثرها علمية. ففيه إحصاء دقيق إلى جانب تحليل علمي يستوحي مصلحة جميع الطلاب وضرورة تلقيهم العلم، ورفض فكرة أن يكون التعليم مسؤولية الارساليات والمؤسسات الخاصة والطوائف. وفيه جداول كثيرة جاوزت العشرة تبين توزع المدارس والتلامذة تبعاً لكل قضاء، ولكل طائفة، وفيها الاحصاء الشمولي الى جانب الاحصاء التفصيلي. ولا شك ان بعض الأرقام والاسماء فيها بحاجة إلى تدقيق لكن المحتوى العام لها يجعلها في مصاف المصادر الأساسية التي لا غنى عنها لدراسة تطور التعليم في جبل لبنان. أما الآثار فاحتلت حيزاً سريعاً شدد

على ضرورة الاهتمام بها خاصة آثار نهر الكلب المعروفة. وبلغت صفحات هذا القسم قرابة العشرين صفحة.

الأديرة والمؤسسات الدينية في المتصرفية

يبدأ هذا القسم بلمحة خاطفة تناولت بداية تأسيس الأديرة في المنطقة وصولاً إلى وصف دقيق للأديرة الموجودة في المتصرفية خلال إقامة المؤلف فيها وتوزعها على كل طائفة. وتحتل الأديرة المارونية الحيز الأكبر من هذا القسم تليها الأديرة الكاثوليكية والارثوذكسية والأرمنية وجداول دقيقة بتوزع تلك الأديرة في جبل لبنان وفقاً لكل قضاء ولكل طائفة. وهي جداول كثيرة وبالغة الأهمية لكنها لا تخلو من بعض الثغرات البسيطة. ويطلق المؤلف أحياناً قلمه لرسم النزاع بين الارثوذكس والروم الكاثوليك وأثر ذلك النزاع في توسع ملكية بعض الأديرة لمصلحة طائفة على حساب أخرى. ويشير بسرعة خاطفة إلى المؤسسات الدينية الإسلامية في المتصرفية وهي قليلة الحجم والملكية ليستنتج بحق أن ملكية الأوقاف والأديرة ستصبح من المعضلات الرئيسية أمام تطور المجتمع اللبناني. ويقدم في نهاية هذا القسم صفحات قليلة حول الجاليات الأجنبية القليلة العدد في جبل لبنان. تبلغ صفحات هذا القسم قرابة الثلاثين صفحة.

خاتمة الكتاب

على امتداد عشر صفحات يستعيد بيتكوفيتش الكثير من النقاط الساخنة في الدراسة وكأن هذه الصفحات أرسلت كتقرير قنصلي لأحد المراكز السياسية الروسية حول أوضاع متصرفية جبل لبنان وآفاق تطورها. ورغم أن القارىء سيلاحظ تكراراً في المعلومات فإن هذه الخاتمة تبرز بشكل مكثف الأفكار الرئيسية للكتاب وهي تتضمن صورة سريعة لتطور الاتجاهات السياسية في جبل لبنان منذ سقوط الأسرة الشهابية عام ١٨٤٢ حتى عام ١٨٨٢ أي على امتداد أربعين سنة. يستعيد القنصل بيتكوفيتش باستمرار الصراع الأوروبي - العثماني في هذه المنطقة ويحمّله المسؤولية المباشرة عن المجازر التي حلت تباعاً بالشعب اللبناني المفكك والمنفعل دوماً بكل الاتجاهات الطائفية والسياسات الاستعمارية في المشرق العربي. ورغم الاستقرار الظاهر للمتصرفية بعد عشرين سنة على تطبيق بروتوكول ١٨٦١ يطرح المؤلف تساؤلاً كبيراً حول قدرة هذا النظام على الصمود أبان الأزمات الحادة: «وذلك يتوقف على التطور اللاحق للأحداث التاريخية وعلى مصير السلطنة العثمانية نفسها في أوروبا وآسيا».

كلمة أخيرة

حتى إصدار الوثائق العثمانية حول تاريخ بلاد الشام، والعمل على ترجمتها ونشرها باللغة العربية، تبقى الحاجة ملحة للاستفادة من مختلف الوثائق والمصادر الأخرى، محلية كانت أو خارجية. لذلك، وفي هذه المرحلة بالذات من الكتابة التاريخية المستندة إلى الأرشيف بالدرجة الأولى وبعض المصادر المحلية، يأتي كتاب بيتكوفيتش «لبنان واللبنانيون» ليسد نقصاً كبيراً في مجال دراسة تطور المجتمع في متصرفية جبل لبنان من مختلف جوانبه. الكتاب، في مدلوله العام والاتجاه السياسي الذي يرسمه، يدخل في إطار المدرسة الاستشراقية التي يشكل الاستشراق الروسي أحد أعمدتها الأساسية. لكن أهميته تكمن في البحث الموثق والمدعوم بعشرات الجداول الاحصائية حول السكان، والملكية العقارية، والمنتوجات الزراعية، والإنتاج الصناعي، والتبادل التجاري، والنفقات والواردات الحكومية، وتوزيع المدارس والأديرة وسواها. وهي احصاءات بالغة الأهمية لأنها نادرة ومنها ما هو فريد في بابه من جهة، ولكونها تنحصر في تحليل فترة زمنية لا تتجاوز العشرين سنة من عمر متصرفية جبل لبنان فسلطت عليها أضواء كاشفة بات من الممكن معها إعادة تقييم علمي مسنود بالأرقام لهذه المرحلة من تاريخ جبل لبنان.

ولسنا من دعاة تقديس الوثائق على غرار ما كانت تقول به المدرسة التجريبية الأوروبية في القرن التاسع عشر من «أن الوثائق مقدسة أما الرأي فمجاني». لكن الوثائق، المخطوط منها أو المنشور، بالإضافة إلى المصادر الأساسية والمراجع العلمية التي تمتاز بالتحليل المعمق والاستنتاجات العقلانية، والفرضيات العلمية التي تثبتها الوقائع التاريخية، هذه الركائز مجتمعة ضرورة علمية لتطور البحث التاريخي ودفعه نحو آفاق جديدة. لذلك يمكن القول إن كتاب بيتكوفيتش «لبنان واللبنانيون»، نظراً للمواصفات العلمية التي أشرنا إليها، سيحتل موقعاً متقدماً بين المصادر التاريخية حول المتصرفية. وهو يعطي لمدرسة الاستشراق الروسي سمات تميزها عن باقي المدارس الاستشراقية الغربية خاصة وان الجانب الاقتصادي - الاجتماعي فيه يؤهله لكي يتبوأ مكاناً بارزاً بين الدراسات الاجتماعية المبكرة حول تطور بلاد الشام في أحد مناطقها الهامة أي متصرفية جبل لبنان. وإذا ما استطعنا الحصول على كتابه الآخر «سوريا، حوران وجبل الدروز» الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٨٩٣ وتبين لنا، وذلك مرجح، أنه كتب بنفس المنهجية الاجتماعية حول تلك المناطق من بلاد الشام، يصبح نقله إلى اللغة العربية حاجة ملحة للبحث العلمي العربي عن هذه المرحلة. وكما أشارت الباحثة السوفياتية الكبيرة سميليانسكايا في مقدمتها لكتاب «لبنان واللبنانيون» إلى أهمية

كتابات المستشرق الشهير القنصل بازيلي والمستشرق القنصل بيتكوفيتش، نضيف أن نشر كتابات هذين القنصلين باللغة العربية سيقدم إضافات كثيرة في مجال التوثيق والتحليل وإبراز الوقائع التي طمسها المستشرقون الغربيون. وعند تكامل هذه السلسلة من «المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث» باللغة العربية، وخاصة بعد نشر كتب الرحّالة الروس الذين زاروا هذه المنطقة ووثائق الأرشيف الروسي الغنية جداً، ستحتل المدرسة الاستشراقية الروسية موقعاً بارزاً إلى جانب الوثائق الفرنسية ولن تفوقها أهمية سوى الوثائق العثمانية والوثائق المحلية التي تبقى حجر الزاوية لكل دراسة علمية حول تطور بلاد الشام في العصر الحديث.

مسعود ضاهر

بيروت في ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٦

سلسلة المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث

بعد كتاب كريمسكي «رسائل من لبنان ١٨٩٦ ـ ١٨٩٨»، وهو الكتاب الأول في هذه السلسلة الذي أضفنا إليه مذكرات عدة وحواشي متنوعة وأصدرناه بعنوان «بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين، دراسة في التاريخ الاجتماعي من خلال مذكرات العالم الروسي الكبير أ. كريمسكي»، نقدم للقارىء العربي كتاب القنصل بيتكوفيتش «لبنان واللبنانيون»، وهو الكتاب الثاني في هذه السلسلة التي خططنا لنشر مصادر هامة فيها تتناول تاريخ بلاد الشام الحديث من خلال مذكرات القناصل والرحالة والباحثين الروس أبان المرحلة العثمانية الطويلة في بلاد الشام، وذلك بقدر ما نستطيع الحصول عليه من وثائق ومصادر هامة في هذا المجال. وقد عمدنا في كتاب كريمسكي إلى نشر حواشي كثيرة تصلح لكل الكتب الصادرة في هذه السلسلة دونما حاجة إلى تكرارها إلا حيثما تدعو الحاجة إلى توضيحات وإضافات توضح النص الروسي وتغنيه وتكشف جوانبه أمام القارىء العربي. أما هذه الوثيقة الهامة الصادرة باللغة الروسية عام ١٨٨٥ فثمرة خبرة طويلة من العمل القنصلي والتوثيق الجيد، والدراسات المعمّقة، والاطلاع على بعض الأبحاث الأوروبية، حول تاريخ جبل لبنان. وهي واضحة كل الوضوح في كل ما ورد فيها لكنها تحمل الكثير من بصمات المدرسة الاستشراقية في استخدام التعابير غير العلمية والاتهامات التي لا أساس لها من الصحة. وحتى لا تتضاءل قيمة المعطيات التاريخية الواردة فيها، وهي معطيات بالغة الدلالة والأهمية، عمدنا إلى حذف بعض المقاطع التي لا تمت للعلم التاريخي بصلة مثل اتهام أبناء كل طائفة من الطوائف اللبنانية بنعوت فظة لا يشكل حذفها أي مساس بالمحتوى التاريخي للنص بل ينقّيه من بعض الأدران اللفظية الطفيلية التي علقت به. كذلك حاولنا تلافي تكرار بعض المقاطع والمعلومات بحيث جاء الكتاب أكثر تماسكاً. ونشير هنا إلى أن المقاطع المحذوفة كلها لا تتعدى الصفحتين إلى ثلاث صفحات ولا تتضمن أية معلومات تاريخية ذات قيمة. وحاولنا كذلك إدخال بعض الحواشي في باطن النص حتى تكون الفائدة أكبر وأعم ودمجنا بعض العناوين الفرعية حتى يمكن جمعها في فصول مبوّبة تبويباً علمياً. وأبدلنا النص الفرنسي للبروتوكول، المنشور في خاتمة الطبعة الروسية، بالنص العربي المنشور في كتاب ابراهيم الأسود «دليل لبنان» الصادر بعد فترة وجيزة تلت طبع كتاب بيتكوفيتش باللغة الروسية. وقد حافظنا بالكامل على روحية النص دون أي تعديل مع اعتماد المصطلحات التي كانت سائدة في تلك المرحلة كما وردت في كتاب «دليل لبنان» الذي نعتبر معلوماته بمثابة حواشي لا غنى عنها لفهم «لبنان واللبنانيون». وقد وجدنا صعوبة كبرى في التحقق من أسماء

بعض القرى والمزارع الصغيرة في متصرفية جبل لبنان. وبعد ان استنفدنا قراءة معظم الكتب التي تناولت أسماء القرى اللبنانية وتوزعها على الأقضية، اتصلنا بعدد من الزملاء الجامعيين، ومن أبناء أقضية جبل لبنان لضبط ما يمكن ضبطه منها. ومع ذلك لا زلنا نشعر بأن بعض الأسماء لتلك القرى والمزارع الصغيرة، منها ما اندثر ومنها لا يزال قائماً، لم تضبط بشكل كاف. ويحدونا الأمل الكبير أن يصحح لنا ذوو المعرفة الدقيقة هذه الأخطاء الصغيرة حتى تأتي الطبعات المقبلة أكثر دقة وأقرب إلى البحث العلمي بشكله الأمثل. فإلى هؤلاء جميعاً نقدم شكرنا مسبقاً، كما نقدم اعتذارنا عن كل خطأ ورد في هذه الطبعة بعدما عجزنا عن إصلاحه.

م. ض

مقدمة الطبعة الروسية ١٨٨٥

ارتبط اسم لبنان بعدد غير قليل من الآثار المقدسة الوارد ذكرها في التوراة التي تبرز الدور الهام لسكان لبنان القدماء. أما أرزه الشهير الذي لم يبق منه إلى اليوم سوى عجائز وقورات مهيبات فقد استخدم خشبه لبناء هيكل سليمان في القدس. لذلك ذاع صيت لبنان كجبل مقدس على الدوام وذكر اسمه ويذكر بالاجلال لدى جميع الشعوب الشرقية ولا سيما بين المسيحيين. كانت جبال لبنان ملجأ أميناً للمسيحيين منذ بدء مطاردتهم وغدت حصناً منيعاً لا للمسيحيين وحدهم بل لجميع الملل والطوائف التي تعرضت للملاحقة والاضطهاد بسبب أديانها ومعتقداتها. وهذا ما يفسر سبب تلاقي جميع الطوائف والمذاهب المسيحية وغير المسيحية في لبنان: الارثوذكس والموارنة والكاثوليك والأرمن والسريان والمسلمين السنّة والشيعة والدروز.

وحيال استمرار الخطر الخارجي العام تعايشت كل هذه المِلل والطوائف الدينية، مع تباين أصولها ومعتقداتها، بسلام ووفاق ووقفت متكاتفة ضد العدو المشترك. إلّا أن الحروب والنزاعات والمشاحنات الداخلية فيما بينها ذرّت قرنها عندما بدأت السلطنة العثمانية، بالدسائس وليس بالقوة السافرة، تحاول اخضاع لبنان لسيطرتها المباشرة. فوجدت بعض الدول الغربية العظمى في ذلك فرصة سانحة لتثبيت نفوذها السياسي في سوريا وللتدخل في مختلف النزاعات الخفية والمشاركة فيها لصالح إحدى الملل المتخاصمة.

حتى القرن الحادي عشر كانت تقطن جبل لبنان بشكل أساسي جماعات من المسيحيين الموارنة والارثوذكس بزعامة رؤسائهم الروحيين والمدنيين. وفي نهاية ذلك القرن نزح الدروز إلى مناطق جبل لبنان الجنوبية والشوف وهم من اتباع الخليفة الفاطمي المصري الحاكم بأمر الله بعد طردهم وملاحقتهم من قبل الحكام المسلمين، فوجدوا ملجأ أميناً لطائفتهم في حصون حوران ولبنان المنيعة. ولا بد من الافتراض ان هذا النزوح قد تم دون أي اعتراض

من قبل المسيحيين اللبنانيين الذين رأوا في الدروز في ذلك الوقت حلفاء موثوقاً بهم ضد الحكام المسلمين الذين كانوا يضطهدون المسيحيين والدروز على حد سواء.

وسرعان ما ندم المسيحيون، لا سيما الموارنة، ندماً شديداً لأن الدروز توقفوا عن اعتبار المسلمين خطراً خارجياً يتهددهم وبدأوا يخططون للسيطرة على جبل لبنان بدعم من العثمانيين ولإخضاع الموارنة فيه.

حتى ١٧٨٨ لم يكن جبل لبنان يخضع لأية سلطة موحدة بل مقسماً إلى مقاطعات يحكمها المشايخ والأمراء. فالجزء الشمالي الذي يقطنه المسيحيون كان تحت حكم الموارنة. والجزء الجنوبي، وكان سكانه خليطاً من المسيحيين والدروز، كان تحت حكم الدروز الذين حصلوا على السلطة بدعم من الباشاوات العثمانيين في صيدا أوعكا.

وفي ذلك العام اختير الأمير الشاب بشير الثاني حاكماً، وهو من آل شهاب المتحدرين من سلالة النبي محمد، واعتنق الديانة المسيحية على المذهب الماروني. وبعد أن اعترف به والي عكا أحمد باشا الجزار تمكن الأمير بشير الذي تميز بالذكاء والحزم، من التغلب على جميع منافسيه من أقربائه. وعرف كيف يتعامل مع الباشاوات الأتراك ويستميلهم بالمال والهدايا الثمينة حتى تمكن من بسط سلطانه ليس فقط على ربوع جبل لبنان كلها بل أيضاً على سهل سوريا (البقاع) وظل يحتفظ بالسيطرة المطلقة حتى عام ١٨٤٠. وشكل اعتناق الأمراء الشهابيين للمسيحية نقطة تحول هامة في تاريخ السيطرة المارونية، إذ تدعّمت مواقع الموارنة على جبل لبنان في مواجهة الدروز، لكنها تسبّبت في منازعات دموية داخلية وعرضت جبل لبنان لهزات تتجدد باستمرار.

حكم الأمير بشير جبل لبنان قرابة ثلاثة وخمسين عاماً معتمداً على تأييد ولاة عكا خاصة الجزّار وعبدالله باشا، ووالي مصر محمد علي الذي سيطر على سوريا. لكن الأمير الشهابي فقد السلطة بعد أن تقدمت به السن بسبب مناصرته لابراهيم باشا المصري وبعد أن استعاد السلطان سيطرته على سوريا بفضل تدخل الدول الأوروبية العظمى.

وخلف الأمير بشير (الثاني) قريبه الامير بشير قاسم الشهابي (بشير الثالث) فكان مسالماً ومستقيماً لكنه لا يملك شيئاً من المزايا الضرورية التي لا بد للحاكم اللبناني أن يتمتع بها ولا سيما في تلك الفترة العاصفة التي تلت طرد المصريين من سوريا وجبل لبنان عندما استغل الانكليز والنمساويون الفرصة لفرض نفوذهم على البلاد. كان للمسيحيين اللبنانيين ولا سيما

الموارنة ورؤسائهم الروحيين فضل كبير في إعادة حكم السلطان إلى سوريا وجبل لبنان على أمل أن يحصلوا لقاء ذلك على امتيازات وحقوق معينة. وكانت فرنسا ترغب بأن تستعيد هيبتها في سوريا بعد أن اهتزت بقوة أثناء السيطرة المصرية، فأيدت علناً مطالب الموارنة. اما انجلترا فعملت بعد طرد المصريين، على توسيع نفوذها السياسي في هذه المنطقة. ولما لم تجد لذلك تربة صالحة في المناطق المارونية ركّزت اهتمامها على الدروز الذين ساءهم التزايد السريع لنفوذ الموارنة السياسي. لكن نفي الأمير بشير الثاني بعد عزله من السلطة وطرد المصريين مَكَّنَ زعماء الدروز المبعدين من العودة إلى جبل لبنان. فعملوا على استعادة نفوذهم السابق وممتلكاتهم المصادرة. وتحت ستار التبشير بالمسيحية بين الدروز استغلت بريطانيا خدمات الارساليات الاميركية للتدخل في شؤون الدروز. كذلك قدمت الحماية المباشرة لبعض الأفراد من العائلة الجنبلاطية التي كانت أغنى العائلات وأكثرها نفوذاً بين الدروز. ومنذ ذلك الحين أضيف إلى الأسباب الداخلية للخلافات والخصومات بين أهم طائفتين في لبنان وهم الدروز والموارنة، عامل خارجي قائم على أساس التنافس بين دولتين غربيتين عظميين.

وكانت نتيجة ذلك التنافس الداخلي والخارجي أن اندلعت الحرب الداخلية في لبنان عام ١٨٤١ وتمكن فيها الدروز من ابعاد الشهابيين عن حكم جبل لبنان إلى الأبد وتدعيم نفوذ الباب العالي فعينت السلطنة والياً من قبلها في محاولة لتثبيت سلطتها المباشرة على جبل لبنان.

وبموافقة الدول العظمى قُسِّم لبنان عام ١٨٤٢ إلى قائمقاميتين واحدة للنّصارى وأخرى للدروز. حكم القائمقامية الأولى قائمقام مسيحي من عائلة أبي اللمع الدرزية الأصل ثم اعتنقت المسيحية على المذهب الماروني على غرار الشهابيين. وحكم القائمقامية الثانية قائمقام درزي كان أميراً من آل ارسلان. وتم تعيين القائمقامين من قبل والي صيدا واعتبرا تابعين له.

لكن نظام الحكم الجديد لم يرض الموارنة المتطلعين إلى عودة الشهابيين لحكم جبل لبنان ولا الدروز المتمسكين بحقوقهم الاقطاعية المفروضة على المسيحيين القاطنين في قائمقاميتهم. وفي عام ١٨٤٥ اندلعت بينهما حرب جديدة جرَّت ويلات كثيرة وخربت البلاد وانتهت بتدخل جديد من قبل الدول العظمى. وتم تثبيت نظام الحكم المزدوج من جديد بعد الحد

من امتيازات كبار المُلّاك الدروز على مسيحيي المقاطعات المختلطة. ثم هدأ الوضع في جبل لبنان لفترة قصيرة لأن بذور الخلافات بين العائلات المتنازعة ظلت حيَّة بانتظار فرصة مناسبة لتجدد الصدامات الدموية.

وفي عام ١٨٦٠ تضرج جبل لبنان بالدماء مرة أخرى. ففي ذلك العام، وباشتراك مباشر من الجنود الأتراك، اقدم الدروز على المذبحة الشهيرة ضد المسيحيين والتي أدت إلى ارسال فيلق من القوات الفرنسية إلى بيروت وتعيين لجنة دولية أوروبية وضعت نظاماً جديداً تدار بموجبه المتصرفية اللبنانية ذات الحكم الذاتي في الوقت الحاضر. وبفضل هذا النظام تمتع جبل لبنان بالاستقرار منذ عشرين عاماً. ورغم استمرار التنافس بين الموارنة والدروز، وبمعزل عن النفاق الذي يعتمده الحكام في معاملتهم للموارنة والدروز معاً، فلدينا الثقة التامة أن أية صدامات مسلحة في جبل لبنان على غرار صدامات الأعوام ١٨٤١ و١٨٤٥ و١٨٦٠ لن تتكرر في المستقبل.

يعالج الكتاب الذي أقدمه بعنوان «دراسات عن جبل لبنان» موضوع المتصرفية التي أنشئت وفقاً للنظام الذي وضعته اللجنة الدولية الأوروبية. وهذه «الدراسات» ثمرة عملي القنصلي لفترة طويلة في بيروت مما أتاح لي دراسة الأرض والناس على الطبيعة وجمع المواد الاحصائية الضرورية من مصادرها الأولى بشكل مباشر. أما المعطيات الاحصائية والمعلومات المستقاة من مصادر رسمية والتي تم التثبت من دقتها فقد حصلت عليها من شخصيات محلية وثيقة الاطلاع وواسعة المعرفة.

لذلك يحدوني أمل كبير بأن هذه «الدراسات» التي تعتبر أول بحث علمي باللغة الروسية عن جبل لبنان ستكون موضع اهتمام قراء اللغة الروسية الذين سيجدون فيها الفائدة للتعرف عن كثب على جبل لبنان المجلل بالبياض الذي شاركت روسيا في تقرير مصيره مشاركة سياسية والذي يقطنه عشرات الألوف من أخوتنا في العقيدة من الذين يعتبرون روسيا الحامية الوحيدة لهم.

بيروت في ١٥ تشرين الأول ١٨٨٥ **ق. بيتكوفيتش**

لمحة سريعة عن جغرافية جبل لبنان وأنهاره وغاباته ومناخه ومنتوجاته

يمتد جبل لبنان أو الجبل الأبيض من طرابلس شمالاً حيث ينبسط سهل حماه الفسيح الذي يخترقه النهر الكبير وكان يدعى قديماً **ايلوتوروس** ليصب في البحر، ثم يتجه بخط متواز مع شاطىء البحر في سلسلة جبال لا تنقطع وتقترب كثيراً من البحر في بعض الأماكن ولا سيما بين طرابلس وبيروت ثم ينتهي عند نهر القاسمية الذي كان يدعى قديماً نهر **ليونتيس** بالقرب من مدينة صور. أما أهم قمم هذه السلسلة الممتدة من الشمال إلى الجنوب فهي: جبل المكمل الذي يبلغ ارتفاعه (٣٠٦٣ متراً) أو (١٠٢٠٠ قدماً) وفقاً لتقدير الحملة الطوبوغرافية الفرنسية في العامين ١٨٦٠ و١٨٦١ وهو أعلى جبل في سوريا، ثم جبل المنيطرة وجبل صنين ويبلغ ارتفاعه (٢٦٠٨ أمتار) وجبل الكنيّسة (٢٠٣٠ متراً) وجبل الباروك وجبل نيحا (١٨٥٠ متراً).

تتغطّى قمم جبال لبنان بالثلوج بدءاً من شهر تشرين الثاني والتي تذوب في الصيف باستثناء جبلي المكمل وصنين اللذين تبقى قمتاهما مكللتين بالثلوج حتى نهاية شهر آب. ويبلغ طول سلسلة جبال لبنان قرابة الستين ميلاً أي ٤٢٠ فرسخاً واتساعها حوالى ١١ ميلاً أو ٧٧ فرسخاً. ويستغرق اختراق لبنان طولاً من الشمال إلى الجنوب ٥٠ ساعة على مطية سفر وعشر ساعات لاختراقه عرضاً. ينحصر موقعه الجغرافي بين الدرجة ٣٠,٢٠ والدرجة ٣٤,٤١ عرضاً شمال خط الاستواء وبين خطي الدرجة ٣٠,٤٠ درجة و٣٤ درجة إلى الشرق طولاً.

تتألف سفوح جبل لبنان من عدد كبير من سلاسل الجبال المنحدرة والمتدرجة نحو البحر الأبيض المتوسط غرباً ونحو سهل البقاع شرقاً مكونة عدداً لا يحصى من الأودية والوهاد ولا سيما في الجهة الغربية حيث تنساب فيها سيول وجداول جبلية تغمرها خضرة متنوعة رائعة. وبفضل هذه المنحدرات المتدرجة وبفضل غزارة الينابيع التي تتلاقى على ارتفاعات متفاوتة

بدءاً من شاطىء البحر حتى رؤوس القمم الصخرية العارية تناثرت القرى والأديرة على مستويات متفاوتة على طول شاطىء البحر وفي الهضاب والمرتفعات وعلى سفوح الجبال المتدرجة وأطرافها واستقرت على جنبات الأودية العميقة. وفي ظروف المناخ الشديد التنوع شكل جبل لبنان المرتفع ملجأ وحماية لسكان هذه المناطق موفراً لهم كل سبل العيش. وفي مجال التغنّي بلبنان وجماله قال الشعراء العرب بحق انه يحمل الشتاء على هامته والربيع على كتفيه والخريف في صدره والصيف يرقد عند قدميه بمحاذاة شاطىء البحر الأبيض المتوسط.

وتنساب جميع أنهار لبنان على سفوحه الغربية وتصب في البحر الأبيض المتوسط. وأهمها: **نهر عكار** الذي ينبع من منطقة تقع شمال شرق قضاء عكار، **ونهر عرقة** وينبع من المنطقة نفسها، **ونهر البارد** وينبع من جبال عكار، **ونهر قاديشا** أو **نهر أبو علي** الذي يخرج من جنوب اهدن تحت هضبة يتألّق عليها أرز لبنان الشهير، **ونهر العصفور ونهر ابراهيم** (نهر **أدونيس** قديماً) الذي ينبع من جبل المنيطرة بالقرب من قرية أفقا (أفيقا قديماً)، **ونهر الكلب** (**ليكوس** قديماً) الذي يخرج من مغارة عميقة واسعة في جبل صنين، **ونهر بيروت ونهر الدامور** (**تاميروس** قديماً)، **ونهر الأوّلي** (**بوسترينوس** قديماً)، **ونهر الزهراني** (نهر **صيدون** قديماً) وهو آخر نهر لبناني جنوباً بالقرب من مدينة صيدا. ولا توجد أنهار هامة على سفوح لبنان الشرقية المطلة على سهل البقاع باستثناء بضعة جداول صغيرة تصب في **نهر الليطاني - القاسمية** (**ليونتيس** قديماً) وفي **نهر العاصي** (**أورونتيس** قديماً).

كان لبنان في الأزمنة الغابرة مكسوّاً بغابات غنية من الأشجار المتنوعة لم يبق منها الآن إلّا بقايا قليلة. ومن المعروف أن الخشب اللبناني استخدم في بناء هيكل سليمان في القدس ولا سيما شجر الأرز الشهير الذي بقيت منه حتى الآن نماذج معدودة على هضبة منبسطة ترتفع ١٥٠٠ متراً عن سطح البحر فوق قرية اهدن ولا تزال بضخامة حجمها تثير إعجاب السائحين الوافدين من أوروبا وأميركا. ويبلغ عدد أشجار الأرز الباقية على هذه الهضبة ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ أرزة تميَّزت منها أربعون بجمالها، بينما اثنتا عشرة أرزة قديمة تلفت النظر بضخامة حجمها وبالتخصيص أربع منها قارب محيط دائرتها الثلاثة عشر متراً. أما اليوم فلبنان يكاد يكون أجرد تماماً. والبقية الباقية من الغابات صمدت هنا وهناك على بعض المرتفعات الشاهقة وفي الأودية السحيقة. بيد أن هذه الأشجار الضاربة جذورها في عمق التاريخ تتناقص شيئاً فشيئاً من جرّاء قطع الأشجار بشكل لا يقبله عقل ولا يخضع لأية رقابة من أجل تجهيز حطب الشتاء وتدفئة معامل غزل الحرير التي تكاثر عددها في السنوات

الأخيرة بدرجة كبيرة. وبالإمكان مشاهدة الغابات اليوم في قضاء عكار وجبل بشرّي وكسروان والمتن وبعض مناطق الشوف على طرف لبنان الجنوبي. وهي تتألف أساساً من أشجار الصنوبر والشوح، كما تشاهد أشجار الأرز والسنديان والجوز والزّان والدردار والقيقب.

أما مناخ لبنان فمتنوع جداً. ففي المناطق العالية في عكّار وجبّة بشرّي وكسروان والباروك يكون الشتاء بارداً قارساً. أما على شاطىء البحر والشريط المحاذي له فهو معتدل تماماً بحيث ان الثلج لا يتساقط إلّا نادراً ولا يدوم إلّا لساعات قليلة. وفي الصيف يكون الطقس حاراً بشكل ملحوظ على الساحل وفي الأودية والمناطق المنخفضة عموماً بحيث ان درجة الحرارة ترتفع في شهري تموز وآب إلى ما بين ٣٠ و٣٥ درجة بميزان ريومور Réaumur، وفي المناطق الوسطى يكون المناخ منعشاً يميل إلى البرودة، أما على القمم فهو بارد. وفي المناطق الساحلية والمنخفضة يحين موسم الحصاد في شهر أيار، وفي المناطق الوسطى في حزيران. أما في المرتفعات العالية فيتم الحصاد في شهري تموز وآب. الخريف وجزء من الشتاء والربيع أفضل الفصول في الشريط الساحلي البحري والمنخفضات. أما في المناطق العالية فأفضل الأوقات هي أشهر الصيف وحتى أيلول وتشرين الأول. تسقط أول أمطار خريفية في منتصف أيلول أو أواخره وتستمر حتى شهر نيسان. أما كانون الثاني وشباط فهما عز موسم هطول الأمطار بحيث ينهمر المطر في الأماكن المنخفضة ويتراكم الثلج على الجبال العالية. ومن شهر نيسان حتى نهاية أيلول يكون الطقس جيداً عموماً. إلّا أن لبنان في هذا الوقت غالباً ما يلتف بعباءة من الضباب وفي الليل يتغطّى بالندى الغزير الذي ينعش النباتات ويقويها. جبال لبنان غنية بينابيع المياه العذبة والسواقي والجداول التي تساعد على زراعة وتربية مزارع التوت والحدائق وبساتين الخضار.

وترتبط منتوجات لبنان الطبيعية مباشرة بمناخه وهي بالتالي متنوعة جداً بحيث تشاهد فيه نباتات الإقليمين: الجنوبي الحار والشمالي البارد. فعلى ساحل البحر وفي الأودية تنمو أشجار النخيل والموز في حين تنتشر على الجبال أشجار الشوح الشمالية.

ومن الحبوب وغيرها من المزروعات الغذائية يشاهد في لبنان: القمح، والشعير، والجودار، والشوفان، والذرة، والذرة البيضاء والعدس، والحمص، والفول، والبطاطا وغيرها. ومن أنواع الخضار: الملفوف والخس والسبانخ والكرفس (البقلة) والبصل والبقدونس والثوم والفلفل واللفت والجزر والشمندر والأرضي شوكي والهليون والبطيخ والشمام والقرع والخيار والبندورة والباذنجان

والباميه وغيرها. ومن النباتات التي تصنَّع: الكتَّان والقنَّب (التيل) وقصب السكر والتبغ بكميات كبيرة والمجففات وثمار البلّوط وغيرها. ومن الثمار: البلح (النخيل) والموز والليمون الحامض والبرتقال والرمّان والسفرجل والخوخ والاجّاص والتفاح والمشمش والدرّاق والأناناس والزيتون بكميات كبيرة ومزارع واسعة من التوت والجوز والبندق والتين بأعداد كثيرة والعنب وغيرها. ومن الحيوانات التي تعيش في لبنان، بالإضافة إلى الحيوانات الداجنة كالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والماعز هناك كذلك الحيوانات البريّة كالدب والذئب والثعلب على أنواعه والماعز البرّي والخنزير البرّي والأرنب وغيرها.

وبالإضافة إلى الطيور المنزلية هناك: الحجل ودجاج الأرض (الشنقب) والشحرور والعندليب والنسر والصقر والغراب والعقعق والباشق وغيرها. وتنتشر في لبنان أيضاً تربية النحل لصنع العسل الذي يمتاز بنوعيته الممتازة والشمع بكميات قليلة للاستهلاك المحلّي.

وتختزن أرض لبنان معادن الحديد والفحم الحجري، لكن أي تدابير لم تُتخذ حتى الآن لاستخراج هذه المعادن واستثمارها بسبب عدم توفر الرأسمال اللازم لذلك. وأخيراً لا بد من القول إن أحداً لم يجرِ أي بحث علمي جيولوجي لتربة لبنان.

متصرفية جبل لبنان ذات الحكم الذاتي

استدعت مذبحة جبل لبنان لعام ١٨٦٠ التي سقط فيها آلاف المسيحيين من الموارنة والارثوذكس والروم الكاثوليك على أيدي الدروز والجنود الأتراك، كما هو معلوم، تدخل الدول الأوروبية العظمى. فأرسلت وحدة من القوات الفرنسية إلى بيروت مع لجنة دولية برئاسة وزير الخارجية العثمانية آنذاك فؤاد باشا لإعداد نظام خاص لجبل لبنان يثبِّت الإدارة الذاتية على الأسس التي كانت قائمة سابقاً.

وضعت اللجنة الدولية تقسيماً إداريّاً جديداً للمتصرفية قاعدته الأقضية والنواحي حل مكان نظام القائمقاميتين المارونية والدرزية السابق. اعتبرت اللجنة أن لا ضرورة لتعيين حدود جبل لبنان بدقة مع سناجق طرابلس وبيروت ودمشق المتاخمة إنما يكفي تقسيمه إلى أقضية تحدد بالاسم، وهذا ما أدّى ولا يزال إلى سوء تفاهم وصدامات بين سكان قرى الحدود وادارات جبل لبنان والسناجق المتاخمة.

أ - حدود جبل لبنان

تضم متصرفية (أو متصرفلك) جبل لبنان جميع الجبال اللبنانية العالية المشار إليها سابقاً، وتعانق شواطىء البحر باستثناء سواحل مقاطعة عكار والمدن البحرية طرابلس وبيروت مع ضواحيها والقلمون وصيدا ومقاطعتها. ورغم عدم توفر خارطة طوبوغرافية خاصة بولاية جبل لبنان العامة حتى يومنا هذا، إلاّ أنه بالأمكان رسم حدودها بصورة عامة على الوجه التالي: من الجهة الشمالية الشرقية تبدأ الحدود التي تفصل الزاوية عن مقاطعة عكار التابعة لطرابلس من الضفة اليمنى لنهر البارد فوق قرية بشعنين على مسافة ساعتين ونصف من مدينة طرابلس وتتجه إلى الجنوب بمحاذاة شاطىء البحر على مسافة قصيرة منه ثم تدور حول جبل تربل وتلامس البدّاوي ومدينة طرابلس وبساتينها وتنحدر نحو شاطىء البحر حتى تصل

إلى قرية القلمون التابعة لسنجق طرابلس فتمر بجانبها ثم تسلك الشاطىء حتى مصب نهر بيروت. وبعد أن تجتاز حدود جبل لبنان وضواحي بيروت القريبة تنحدر من جديد إلى محلة الجناح على شاطىء البحر الرملي حتى نقطة قريبة من ضريح الامام الأوزاعي. ومن هناك يشكل شاطىء البحر الحدود الغربية لمتصرفية جبل لبنان حتى مصب نهر الأوّلي (بوسترينوس قديماً) على مسافة نصف ساعة مشياً من مدينة صيدا. ومن مصب هذا النهر يلتف خط الحدود حول مدينة صيدا وبساتينها ويتجه شرقاً على سفوح آخر مرتفعات جبل لبنان فيبتعد عن شاطىء البحر تدريجياً مخترقاً قرى الميّة وميّة ودرب السين ومغدوشة ثم ينعطف قليلاً نحو الجهة الجنوبية الشرقية إلى نهر الزهراني. ومن هناك ترتفع الحدود باتجاه الشمال فتمر بين قريتي طمبوريت وزفتا حاضنةً الحسّانية وقيتولي بينما تبقى قرية جباع خارج حدود جبل لبنان وتصل إلى قرية زحلتا. ومن هذه النقطة تنعطف بحدة نحو الجهة الجنوبية الشرقية على سفح الجبل الشرقي الذي يطل على جباع فتزنّر جبل الريحان الذي يفصله عن جبل عامل واد سحيق. ومن أطراف جبل الريحان تتجه الحدود نحو الشمال الشرقي فتمر بالقرب من قرية كفريّا ثم تسلك طريقاً متعرّجاً على سفح الجبل حتى تصل إلى طريق بيروت دمشق الرئيسية عند نقطة المديرج. ومن هناك يمتد خط الحدود إلى الشمال فيمر خارج ضواحي مدينة زحلة ويتابع سيره شمالاً فيحضن قرية شمسطار ثم يعود إلى سلسلة جبال لبنان الرئيسية حتى طريق بعلبك ـ الأرز فيعبرها بالقرب من بركة اليمّونة ثم عبر جبل الأرز وعبر قمة فم الميزاب. ومن هذه النقطة تنعطف الحدود نحو الغرب فتمر بين قضائي الضنيّة الذي يتبع سنجق طرابلس وجبل بشرّي وتصل إلى سهل اهدن ثم ترتفع من جديد نحو الشمال ملتفة حول قضاء الزاوية وتأخذ الضفة اليمنى للنهر البارد قرب قرية دير الحملة.

وتنتشر في أرجاء المتصرفية الواقعة في إطار الحدود المرسومة آنفاً قرى كثيرة يسكنها المسلمون التابعون لسنجق طرابلس مثل قرى عردات وأيوب وممبوخ وعلما ومرياطة في قضاء الزاوية كما أن هناك قرى في قضاء بعلبك مثل شمسطار، والهرمل (المدينة) وسكانها من الشيعة الذين يتبعون متصرفية جبل لبنان. هذه القرى والأراضي كانت سبباً دائماً لمتاعب الإدارات المعنية، ولسوء فهم متبادل بينها.

ب ـ التقسيم الجغرافي

تضم مناطق متصرفية جبل لبنان الأقضية والنواحي التالية: الزاوية، جبّة بشرّي، الكورة

السفلى، الكورة العليا، البترون، جبيل ـ المنيطرة، الفتوح، كسروان، المتن، الساحل، الغرب، الجرد، العرقوب، الشحّار، المناصف، الشوف، اقليم الخرّوب، جزّين، إقليم التفاح.

ج ـ التقسيم الاداري

يتألف سكان جبل لبنان من أربع طوائف دينية رئيسية هي: الموارنة، الارثوذكس، الروم الكاثوليك، والدروز بالإضافة إلى أقليات من البروتستانت والمسلمين السنّة والمسلمين الشيعة أو المتاولة. وانطلاقاً من الطوائف الرئيسية الأربع، وعلى أساس أن أكثرية السكان في كل منطقة تعني أن يكون ثلث عدد سكانها من طائفة معينة أو تعود إليها ملكية ثلث مساحة الأراضي فيها، قررت اللجنة الدولية التي وضعت نظام جبل لبنان لعام ١٨٦١ تقسيم المتصرفية إلى سبعة أقضية إدارية أو قائمقاميات: واحدة للمسيحيين الارثوذكس، وواحدة للروم الكاثوليك، وواحدة للدروز وأربعة للمسيحيين الموارنة.

وقد شملت تلك القائمقاميات المناطق التالية:

١) **قائمقامية الارثوذكس**: وتضم قضاء الكورة والشريط الأسفل وبعض المناطق القريبة التي تسكنها أكثرية أرثوذكسية.
٢) **القائمقامية المارونية الأولى**: وتشمل اجزاء جبل لبنان الشمالية التي تضم جبّة بشرّي والزاوية وبلاد البترون.
٣) **القائمقامية المارونية الثانية**: وتشمل بلاد جبيل وجبل المنيطرة وكسروان حتى نهر الكلب.
٤) **القائمقامية المارونية الثالثة**: وتضم المتن بما فيه الساحل المحيط بسهل بيروت والقاطع وصليما.
٥) **القائمقامية المارونية الرابعة**: وتضم جزين واقليم التفاح.
٦) **قائمقامية الدروز**: وتشمل المناطق الواقعة جنوبي طريق بيروت ـ دمشق حتى قضاء جزين.
٧) **قائمقامية الروم الكاثوليك**: وتضم مدينة زحلة ومنطقتها.

وحملت تلك القائمقاميات التسميات الادارية التالية: الارثوذكسية في الكورة، المارونية

الأولى في البترون، المارونية الثانية في كسروان، المارونية الثالثة في المتن، المارونية الرابعة في جزين، الدرزية في الشوف، الكاثوليكية في زحلة.

يشكل الارثوذكس طائفة متجانسة في الكورة، لكنهم يختلطون بالطوائف الأخرى في باقي القائمقاميات باستثناء جزين وأكثريتهم في المتن والبترون.

ويشكل الموارنة معظم سكان أقضية البترون وكسروان والمتن وجزّين كما يختلطون بباقي الطوائف في جميع الأقضية الأخرى وأكثرهم في قائمقامية الشوف الدرزية ومدينة دير القمر ذات الحكم الذاتي.

ويشكل الروم الكاثوليك غالبية سكان مدينة زحلة ومنطقتها لكنهم يختلطون أيضاً بباقي الطوائف في القائمقاميات الأخرى باستثناء جزين والكورة وأكثرهم في الشوف والمتن.

البروتستانت، وهم المرتدّون عن الكنيسة الارثوذكسية، يقطنون الشوف والمتن وكسروان ولا يزيد عددهم في جبل لبنان كله عن ٥٠٠ نسمة.

ويشكل الدروز طائفة متجانسة في الشوف لكنهم يختلطون أيضاً مع الطوائف الأخرى في المتن وعددهم هناك لا بأس به.

ويقطن المتاولة أو المسلمون الشيعة جميع أقضية جبل لبنان مختلطين بالطوائف الأخرى، لكن معظمهم يعيشون في كسروان والبترون وجزّين.

ويتوزع المسلمون السنّة أيضاً في جميع قائمقاميات جبل لبنان لكن أكثريتهم تقطن في الشوف والكورة.

سكان جبل لبنان: أصولهم وطوائفهم

ينتمي سكان جبل لبنان إلى عرق واحد وإلى أصل واحد ولا يتميزون عن بعضهم لا من حيث اللغة ولا السحنة ولا اللباس. فكلهم سوريون يتكلمون لغة واحدة هي العربية. أما من حيث المعتقدات الدينية والطقوس والطوائف فهم منقسمون إلى جماعات ومذاهب متباينة. فمنهم الارثوذكس والروم الكاثوليك والموارنة ومنهم الدروز والمسلمون الشيعة والسنّة. ولما كانت هذه الجماعات، المسيحية وغير المسيحية، تمارس طقوسها الدينية الخاصة بها. ففي عاداتها وحتى في أمانيها الخاصة وطموحاتها ومشاعر العطف والكره عندها، في كل ذلك، هي جماعة متماسكة كأنها اتحاد مرصوص فريد في نوعه يمثل جماعة مميَّزة ومعترف بها رسمياً يطلق عليها العثمانيون اسم «الملّة» بينما يدعوها العرب السوريون باسم «الطائفة».

ينقسم سكان جبل لبنان إلى ست ملل أو ست طوائف: الارثوذكس والروم الكاثوليك والموارنة والدروز والمسلمون الشيعة والمسلمون السنّة.

ولما كانت الطائفتان الأخيرتان قليلتي العدد، فهما لا تشكلان في جبل لبنان وحدتين اداريتين مستقلتين بل تنضويان تحت القائمقامية الدرزية والقائمقاميات المسيحية.

وليست الدراسة الاتنوغرافية (السلالية) التي نقدمها هنا عن سكان جبل لبنان سوى وصف لطوائف دينية مختلفة تؤلف مجموع سكان جبل لبنان. وعلى أساس الترتيب الذي اعتمدناه في تعداد القائمقاميات وتوزيعها أرى لزاماً عليّ أن أتناول في البحث طائفة الروم الارثوذكس أولاً لأنها طائفتنا نحن أيضاً ونهتم بها بالدرجة الأولى.

أ ـ طائفة الروم الارثوذكس

لا يختلف سكان جبال لبنان الارثوذكس في أصولهم السلالية عن المسيحيين السوريين

الآخرين من المذهب الأرثوذكسي الشرقي والذين يقطنون المدن الساحلية أو القرى الداخلية في سوريا. فهم يتكلمون اللغة ذاتها ولهم الحقوق والعادات نفسها. وإذا كان ثمة ما يميّزهم فهي قوة بنيتهم الجسدية التي تلازم أهل الجبال عادة وتمتعهم بصفات البسالة والجرأة وعزة النفس فيتفوقون بذلك على أهل السهول.

استوطن الارثوذكس جبل لبنان للدوافع نفسها التي حملت الطوائف الدينية الأخرى على البحث عن ملجأ للاحتماء من الملاحقة والاضطهاد بسبب المعتقد الديني من قبل السلطة المسيطرة في سوريا.

قبل تطبيق نظام جبل لبنان الجديد أي قبل ١٨٦١ كانت السيطرة للموارنة والدروز فقط. أما السكان الارثوذكس فلم تكن لهم وحدة إدارية مستقلة بل كانوا يخضعون لزعماء الموارنة والدروز ويشاركونهم في الدفاع عن الجبل ضد الأعداء الخارجيين. وإبان الحروب الداخلية كانوا يفضلون بين الطرفين المتصارعين من تكون كفته راجحة فيقفون إلى جانبه. وفي العام ١٨٦١، وبفضل إصرار المفوض الروسي غ. نوفيكوف ومساعيه، اعترفت اللجنة الدولية لسكان جبل لبنان الأرثوذكس بحقوق سياسية على قدم المساواة مع الطوائف الأخرى وقدمت لهم وحدة إدارية خاصة بهم هي قائمقامية الارثوذكس في الكورة في الطرف الشمالي الغربي من جبل لبنان حيث تعيش تجمعاتهم الأساسية. وبالإضافة إلى رئيس القضاء وهو القائمقام كان في الكورة أيضاً اثنان من مدراء مراكز الأقضية من الارثوذكس بينما كان الثالث مسلماً سنياً.

كان عدد الارثوذكس القاطنين في قائمقامية المتن المارونية يفوق عددهم في الكورة لكن الرأي استقر على الاكتفاء بتعيين مدير ارثوذكسي واحد في الشوير لأن سكان المتن من الارثوذكس لا يشكّلون وحدة سكنية متجانسة كما أن غالبة ملكية الأراضي فيها كانت بأيدي الموارنة. فمن أصل ستة مدراء هناك خمسة من الموارنة. وفي قائمقامية البترون المارونية يعيش عدد كبير من الارثوذكس كما هو الأمر في قائمقامية الشوف الدرزية. ولم يكن للارثوذكس في هاتين القائمقاميتين ممثلون في الإدارة للأسباب التي ذكرناها. لذلك أصبحت للارثوذكس كجماعة وكطائفة إدارتهم الخاصة وهم يتمتعون بأهمية سياسية في قائمقاميتهم الكورة فقط حيث يعيشون جنباً إلى جنب مع الموارنة والمسلمين السنّة لكنهم يفوقونهم عدداً بنسبة أربعة أضعاف الموارنة وثمانية أضعاف المسلمين السنّة.

كجماعة لم يسبق للارثوذكس ان خاضوا أية حرب في جبل لبنان لا ضد الموارنة ولا ضد الدروز بل عاشوا بسلام ووفاق ولا سيما مع الموارنة إذ لم يكن يفصل بينهم تعصب ديني بدليل الكنائس والأديرة الارثوذكسية والمارونية التي كثيراً ما تشاهد في جبل لبنان متلاصقة وأحياناً تحت سقف واحد. والزواج المختلط بين الطائفتين لم يكن حالة نادرة وبالتالي لم يكن ليساعد على الخصومات أو الخلافات العائلية. والعادة ان الأطفال المولودين من مثل هذا الزواج يعمّدون على مذهب الأب. ولم تكن القيادات الروحية الارثوذكسية والمارونية غريبة عن بعضها البعض فكانت تتجنّب التورط في مناقشات دينية وعاشت بوفاق وسلام محاولة الايحاء بمثل هذه المشاعر لرعاياها. وتميّز اللبنانيون الارثوذكس، كسائر الارثوذكس في العالم، بعدم التعصب في الدين ولم تتغير مواقفهم بالنسبة للموارنة بل ظلوا يعتبرونهم أخوة لهم. على أن الموارنة، للأسف، تغيّروا في المدة الأخيرة بالنسبة للارثوذكس لأسباب سأذكرها فيما بعد. أما علاقة الارثوذكس بالدروز في المناطق التي يعيشون فيها معاً فقد ظلت ثابتة دون تغيير إذ لا مجال هنا للحزازات المذهبية أو التعصب الديني. فدين الدروز لا يسمح بانتشار البروتستانتية وبالتالي فإن المسيحيين القاطنين بينهم مطمئنون تماماً.

قبل عام ١٨٦٠ عمل الارثوذكس في فلاحة أراضي مشايخ الدروز في الشوف على قاعدة حقوق الاقطاعيين. وبعد أن ألغيت حقوق كبار الملاّك ظل الارثوذكس كسابق عهدهم يعيشون بسلام ووفاق مع الدروز الذي يُكنّون لهم عواطف الود أكثر مما يكنّون للموارنة نظراً للخصومات السياسية بين الدروز والموارنة.

لم يكن للارثوذكس في السابق أي دور سياسي هام في جبل لبنان، لذلك لم تتمكّن الارستقراطية الارثوذكسية من الاستمرارية كباقي ارستقراطيات الدروز والموارنة الذين ظهر بينهم عدد كبير من المشايخ والأمراء. كان الارثوذكس يعيشون حياة بسيطة ويرضون بالقليل. وكانوا متواضعين محبّين للعمل. من الناحية المسلكية، كان الارثوذكس في حياتهم الخاصة والعائلية أكثر حزماً وتشدداً من الموارنة والروم الكاثوليك. واللبنانيون الارثوذكس مرتبطون بروسيا شأنهم في ذلك شأن سائر الارثوذكس في الشرق. وهم يعتبرون القيصر الروسي قيصراً لهم ويقرون بفضل روسيا عليهم في حصولهم على المنزلة السياسية التي يتمتعون بها الآن في جبل لبنان. وقد اعتادوا اللجوء ولا زالوا يلجأون علانية إلى القناصل الروس لطلب الحماية عندهم. ثم ان متصرفي جبل لبنان يعترفون لنا رسميّاً بحق التدخل والوساطة والشفاعة في جميع الشؤون والقضايا المتعلقة بالحقوق والامتيازات الممنوحة

للارثوذكس بموجب نظام جبل لبنان. وتنحصر جهود الارثوذكس كلها في السعي للحفاظ على هذه الحقوق والامتيازات، إذ ان أطماعهم السياسية لا تعدّى ذلك لأنهم، بالنظر إلى وضعهم، لا يستطيعون التفكير بالسيطرة على جبل لبنان الذي كان ويظل دائماً موضع منافسة بين الموارنة والدروز. لا يطمح الارثوذكس إلّا إلى العدالة وأن يُعاملوا دون تحيُّز من قبل الجميع. علاوة على ذلك فإن الارثوذكس يشغلون المرتبة الثانية بعد الموارنة من حيث عدد السكان في جبل لبنان. أما من حيث الشجاعة وثبات العزيمة فهم لا يختلفون عن الدروز بشيء وهم خارج حدود جبل لبنان اخوة في العقيدة كثيرون بينهم متمولون أصحاب ملايين ولا سيما في مدن بيروت وطرابلس وصيدا ودمشق وغيرها. لذلك فإن وضعهم في جبل لبنان ذو أهمية سياسية من هذه الناحية. كما ان الطائفتين المتنافستين المارونية والدرزية تشعران بضرورة كسب صداقتهم والاتحاد معهم.

وفقاً للاحصاء الرسمي الذي أُجري في جبل لبنان لعام ١٨٦١ بلغ عدد الارثوذكس ١٣٩٧٧ من الذكور و٢٨٠٠٠ من الذكور والإناث كما هو ظاهر في الجداول المذكورة لاحقاً. ومنذ ذلك التاريخ لم يجر أي احصاء جديد. وأخذاً بعين الاعتبار المناخ الجيد والهدوء الذي خيّم على جبل لبنان وما نتج عن ذلك من ازدهار مادي، وعادة الزواج في سن مبكرة عند اللبنانيين أي منذ سن الرابعة عشرة يتبيَّن لنا أن عدد السكان الارثوذكس في فترة السنوات العشرين المنصرمة قد ازداد. ولو اعتمدنا على فرضية الزيادة السنوية البالغة واحد في المائة على الأقل لتبيَّن أن تعداد الارثوذكس هو الان ما بين ٣٣٠٠٠ إلى ٣٥٠٠٠ نسمة من الذكور والاناث.

ب ـ طائفة الروم الكاثوليك

الروم الكاثوليك هم من الارثوذكس السوريين الذين انفصلوا عن الكنيسة الارثوذكسية الشرقية واعترفوا برئاسة البابا في روما وأسسوا طائفة دينية أو ملة خاصة بهم هي طائفة الروم الكاثوليك.

لا يرجع ظهور الكاثوليك اللبنانيين والسوريين عامة إلى مجمع فلورنسا بل إلى ما بعد ذلك بفترة طويلة وبالتحديد إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر عندما ظهر الانشقاق بين بطريرك انطاكية أثاناسيوس ومتروبوليت حلب جيراسيموس الذي اعتبر مؤسس طائفة الروم الكاثوليك. فقد انفصل هذا الأخير عن البطريرك بسبب خلاف شخصي بينهما وأعلن اعترافه

برئاسة البابا في روما دون أن يغيّر شيئاً من طقوس الكنيسة الارثوذكسية وبذلك لم يلاحظ الشعب عملية الانتقال إلى الكثلكة. ووقف إلى جانبه في أول الأمر مطران صيدا وعدد كبير من أغنياء التجار ذوي النفوذ من سكان مدينتي حلب وصيدا معتمدين على الحماية التي وفرها لهم القناصل الفرنسيون. ومع بروز الخلافات داخل الطائفة الارثوذكسية عند انتخاب كل بطريرك جديد، وبسبب مكائد اليسوعيين، وفي ظروف الحرب اليونانية وما ترتب عليها من اضطهاد العثمانيين للكنيسة الارثوذكسية تزايد عدد الكاثوليك بنسبة كبيرة. ورغم ان المطارنة المنشقين انتخبوا بطريركاً من بينهم حمل لقب بطريرك انطاكية، ورغم سيطرتهم على اثنين من أديرة جبل لبنان الشهيرة، دير المخلص ودير مار يوحنا الشوير فإن الحكومة العثمانية امتنعت لمدة طويلة عن الاعتراف بالرئاسة الروحية للروم الكاثوليك وبكنيستهم المنفصلة عن الكنيسة الارثوذكسية. لكن الروم الكاثوليك السوريين كرسوا انفصالهم رسمياً عن الارثوذكس كطائفة مستقلة باسم طائفة الروم الكاثوليك على أن يمثلهم في القسطنطينية البطريرك الأرمني الكاثوليكي الجديد الذي أعلنته الحكومة التركية رئيساً لجميع الطوائف الكاثوليكية في الشرق.

وإبان الحكم المصري على سوريا (١٨٣٢ ـ ١٨٤٠) كان على رأس الكنيسة الكاثوليكية البطريرك مكسيموس الذي انتخبه مجمع الأساقفة الكاثوليك في جبل لبنان وحمل لقب بطريرك الروم الكاثوليك لإنطاكية والاسكندرية والقدس. وخلال رئاسته تصلب موقف الكاثوليك على حساب الكنيسة الارثوذكسية. وبتشجيع من اليسوعيين الذين عادوا مجدداً إلى سوريا في ذلك الحين تمكّن الكاثوليك من ضم عدد كبير من كنائس الأرياف والحاق جميع رعاياها بطائفتهم. وقد سهل عليهم ذلك لأن رجال الدين الكاثوليك لا يتميَّزون في ملابسهم عن زملائهم من الارثوذكس، مما حمل بطريرك انطاكية الارثوذكسي ميفوديوس على مطالبة السلطة العثمانية بمنع رجال الدين الكاثوليك من اعتمار القلنسوة المعترف بها لرجال الدين الارثوذكس فقط ولم يعتمرها الكاثوليك إلّا بعد اعتراف السلطة العثمانية بهم كطائفة منفصلة عن الارثوذكس إذ كانوا قبل ذلك الحين يضعون العمّة السوداء على رؤوسهم. وبسبب هذه القلنسوة دبّت الخلافات بين البطريركين واستمرت قرابة الاثني عشر عاماً وكلفت الطرفين الكثير من العناء والمال ولم تنته إلّا بوساطة السفارتين الروسية والفرنسية وباستحداث قلنسوة جديدة في شكلها ذات ثماني زوايا خاصة لرجال الدين الروم الكاثوليك.

ومع انتهاء الحكم المصري على سوريا خف تزايد الروم الكاثوليك على حساب الكنيسة الارثوذكسية ودبت الخلافات في أوساطهم. فأعيد عدد كبير من الكنائس إلى الطائفة الارثوذكسية كما عاد كثير من الكاثوليك إلى أحضان الكنيسة الارثوذكسية. وتوقفت العداوة العنيفة التي استمرت طويلاً بين الطائفتين. وفي العام ١٨٥٩، وفي أعقاب نشوب خلافات بينَ الروم الكاثوليك أنفسهم حول تنفيذ رغبة البابا باعتماد التقويم الغريغوري في طقوسهم، ظهرت بينهم حركة قوية للعودة إلى أحضان الكنيسة الارثوذكسية. ومن جديد عاد عدد من رجال الدين والوجهاء في جبل لبنان ودمشق وبيروت وصيدا وغيرها من المناطق إلى صفوف الطائفة الارثوذكسية. وقدمت حكومتنا لهذه الحركة تأييداً قويّاً فأنفقت مبالغ طائلة من المال لتقديم المعونات وبناء الكنائس لهؤلاء العائدين. بيد أن نتائج هذه المسألة التي أثارت ضجة كبرى في ذلك الوقت لم توازِ، للأسف، تضحياتنا وما انفقناه عليها، وذلك بسبب ظهور وحدة من القوات الفرنسية في بيروت وجبل لبنان. فأثارت ردة فعل مؤيدة لدى الكاثوليك أو بسبب تبدُّل القناعات مجدداً وطابع عدم الثبات عندهم. لذلك عادت غالبية العائدين إلى الطائفة الارثوذكسية والتحقت من جديد بالكاثوليكية واعتمدت التقويم الغريغوري.

وبعد اعتمادهم هذا التقويم حصل نوع من التداخل الطقسي بينهم وبين الموارنة، وأصبح الكاثوليك يرتادون الكنائس المارونية. لكن الموارنة كانوا يستخفون بهم ويتجنبونهم، ففضل الكاثوليك اللاتين عليهم. كما ان الدروز لم ينظروا إليهم بعين العطف أو الثقة التي نظروا بها إلى الارثوذكس.

تعيش غالبية الروم الكاثوليك في جبل لبنان. ويقطنون أيضاً حلب ودمشق وبعلبك ومدن سوريا الساحلية ومصر. ووفقاً للاحصاء الرسمي للعام ١٨٦٢ بلغ عددهم ٨٧٠٣ نسمة من الذكور أو ١٧٤٠٦ نسمة من الذكور والاناث. ومع فرضية الزيادة السنوية في عدد السكان والبالغة واحد في المائة يكون الآن حاصل عددهم على مدى العشرين سنة الماضية قرابة ٢١٠٠٠ نسمة من الجنسين.

وباستثناء القائمقامية الارثوذكسية في الكورة يعيش الروم الكاثوليك في جميع أقضية جبل لبنان الإدارية الأخرى. لكن أكبر تجمع لهم موجود في مدينة زحلة ومنطقتها حيث يشكلون وحدة إدارية مستقلة في جبل لبنان وهي قائمقامية الروم الكاثوليك.

وتقطن أعداد لا بأس بها من الروم الكاثوليك في قائمقامية الشوف الدرزية وفي

قائمقاميتي المتن وجزّين المارونيتين ولا سيما في جزين حيث تجمعهم الأكبر. ولذلك كان أحد المديرين في هذا القضاء كاثوليكياً أما الآخر فكان مارونياً.

يحتل الروم الكاثوليك المرتبة الأخيرة من حيث تعداد الطوائف في جبل لبنان التي حصلت بموجب نظام ١٨٦١ على أقضيتها الإدارية، ومع ذلك فهم يتمتعون بنفوذ أوسع، ووزن أكبر مما يتمتع به الارثوذكس في إدارة جبل لبنان العامة بفضل كفاءاتهم العلمية ومواهبهم الكثيرة. فهم يجدّون ويجتهدون في دراسة العربية والتركية واللغات الأوروبية ومؤهلون لأن يتبوَّأوا في ادارة جبل لبنان المركزية وظائف هامة يستغلونها لدعم مصالح أبناء طائفتهم.

ولما كان الروم الكاثوليك في جبل لبنان يقرّون برئاسة البابا في روما فقد طالبوا بحماية القناصل الفرنسيين أسوة بالموارنة، وقُدِّمت لهم تلك الحماية فعلاً. لكن المعتمدين الفرنسيين لم يعيروا الروم الكاثوليك في جبل لبنان الاهمية السياسية التي خصّصوا الموارنة بها.

على أن القناصل النمساويين أخذوا من وقت لآخر يبذلون محاولات حثيثة لبسط حمايتهم الخاصة على الروم الكاثوليك بحجة أن تجمعاً سكانياً من السلاف الكاثوليك يعيش على أرض النمسا، لكن تلك المحاولات لم تجدِ نفعاً. ليست للروم الكاثوليك أهداف خاصة بهم كطائفة ولا يمكن أن تكون لهم أي اطماع سياسية في جبل لبنان. كذلك فجهودهم كانت منصبة للمحافظة على الحقوق والامتيازات التي منحت لهم بموجب نظام جبل لبنان والتوصل إلى أكثر ما يستطيعون من الوظائف الهامة في الإدارة المركزية.

ج - الطائفة المارونية

ثمة آراء وتفسيرات كثيرة بشأن أصل الموارنة كأمة قائمة بذاتها ومعتقدها الديني. وتختلف تلك الآراء والتفسيرات باختلاف مصادرها وما إذا كان كاتبها مارونياً أو ارثوذكسياً. وما من شك ان الموارنة يتحدرون من السوريين اتباع شريعة موسى أو من الوثنيين عبدة الأصنام الذين اعتنقوا الديانة المسيحية في القرون الأولى بعد الميلاد، ثم انفصلوا كطائفة دينية في القرن السادس إبّان الخلافات والاضطرابات الناتجة عن صراع المذاهب المسيحية.

ورغم تعدد الحقائق التاريخية التي تشهد أن الموارنة كانوا على غرار النساطرة وبعض الطوائف المسيحية الأخرى، أصرّ مؤرخو الكنيسة المارونية على اعتبار الراهب مارون قدّيساً وعلى اثبات أن اسلافهم لم يكونوا يوماً من اتباع المشيئة الواحدة ولم يتفرّعوا عن الارثوذكسية

بل كانوا في شراكة روحية دائمة مع روما. ويقول مطران بيروت الماروني يوسف الدبس في كُتيِّب نشره في باريس تحت عنوان «موارنة لبنان»: «كان الموارنة دائماً كاثوليكيين منذ عهد الرسل وحتى أيامنا هذه. وقد تحدَّروا من السوريين الذين اعتنقوا المسيحية منذ فجر ظهورها. وفي ذلك الزمان عندما كانت الهرطقة والانشقاقات تثير النزاع بين شعوب الشرق كلها وتدفعها الى التقاتل فيما بينها بقي الموارنة وحدهم ثابتين في الحفاظ على طقوس الكنيسة الشرقية مخلصين لقداسة عرش روما دون أي تردد ومن غير انفصال عنها إلى الأبد. فتعرضوا بسبب ذلك كله لملاحقات لا تحصى، ولإضطهادات لا توصف من جانب الخطأة».

عندما ظهر الصليبيون في سوريا في نهاية القرن الحادي عشر وجدوا في الموارنة أنصاراً لهم مخلصين ورفاقاً شجعاناً، فأهرق مئات الموارنة دمهم كمقاتلين في صفوف قوات الملك الفرنسي لويس القديس. وبعد طرد الصليبيين من سوريا في منتصف القرن الثالث عشر بقيت منهم عائلات كثيرة ما لبثت أن انصهرت بالطائفة المارونية. ولا تزال حتى يومنا هذا عائلات وأفراد بين الموارنة تُذكِّر أسماؤهم وملامح وجوههم بعنصر الفرنجة القديم. وبسبب تحالفهم مع الصليبيين الإفرنج عانى الموارنة كثيراً من انفصالهم عن العرب الذين قرروا الانتقام منهم على مساعدتهم للأوروبيين فاجتاحوا مناطقهم ودمَّروها مراراً ولا سيما كسروان عام ١٢٨٢ وجبل بشرّي عام ١٣٠٧. واستمرت هجمات العرب على جبل لبنان حتى منتصف القرن الخامس عشر فأدّت إلى إضعاف الموارنة وتقليص عددهم إلى درجة كبيرة. وقد جاء في كتيّب متروبوليت بيروت يوسف الدبس الوارد ذكره آنفاً انه بسبب الحملات الصليبية تحمَّلت الطائفة المارونية ويلات كثيرة، إلاّ أنها استحقت بذلك الحماية الفرنسية كما تدل على ذلك الخدمات الكثيرة التي قُدِّمت لبطريرك الموارنة ومطارنتهم ومشايخهم من قبل الملوك لويس القديس ولويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر.

وأثناء حكم السلطان سليمان الثاني (١٥٦٦ ـ ١٥٧٣) اضطر الموارنة من جديد للدفاع عن جبالهم قبل أن يخضعوا نهائياً للسلطات العثمانية في العام ١٥٨٨ في عهد خليفته مراد الثالث وأرغموا على دفع الجزية السنوية مع احتفاظهم، على كل حال، بادراة شؤونهم الذاتية الداخلية.

منذ القرن الحادي عشر أخذ الموارنة في جبل لبنان يتقربون من الدروز الذين توغّلوا هم أيضاً في جبل لبنان هرباً من اضطهاد المسلمين بسبب عقيدتهم على غرار العديد من الطوائف الأخرى. وعُقد تحالف بين الموارنة والدروز فأخذوا يشاركونهم في جميع الحروب

جنباً إلى جنب على أرض سوريا ولبنان. وتمركزت الطائفة المارونية في الجزء الشمالي من جبل لبنان وتمركز الدروز في الجزء الجنوبي منه.

حكم مشايخ كل طائفة وامراؤها مقاطعاتهم حكماً ذاتياً بعد دفع مبالغ طائلة للولاة الأتراك في طرابلس وعكا. وبرز من الموارنة مشايخ من آل الخازن وحبيش، ومن الدروز أمراء من آل معن، وعند انتهاء حكم المعنيّين اختار الدروز الأمير بشير شهاب في العام ١٧٩٧ وهي أسرة من أبرز عائلات حاصبيا. فجمع الأمير الشهابي بين يديه زعامة الدروز والموارنة معاً وأصبح ذا سلطة مطلقة على جبل لبنان حتى ١٨٤٢، حين قُسِّم جبل لبنان من جديد إلى قائمقاميتين مارونية ودرزية دامتا حتى مذبحة عام ١٨٦٠.

لكن انتقال الأمير بشير الثاني ومعه بعض الأمراء الدروز إلى المسيحية على المذهب الماروني قاد إلى تدعيم نفوذ الموارنة إلى درجة كبيرة في جبل لبنان علماً أنهم كانوا يتفوقون بعددهم وثرواتهم على جميع الطوائف الأخرى التي تجاورهم أو تعيش بينهم.

صحيح ان الوالي العثماني كان يحكم جبل لبنان بما فيه المسيحيين، إلاّ أن الموارنة كانوا يعتبرون بطريركهم بمثابة زعيمهم الشعبي الذي يتمتع بوزن وأهمية كبيرين إلى جانب المطارنة وذلك في القضايا الكنسية كما في الشؤون المدنية.

كانت الجماعة المارونية تخضع لبطريركها ومطارنتها خضوعاً تاماً وتنظر باحترام كبير إلى المشايخ والأمراء وجميع أبناء العائلات الارستقراطية العريقة التي تكاثرت وتزايد عددها. فقد بلغ عدد الأمراء الشهابيين وحدهم مثلاً أكثر من خمسين بينهم أمراء فقراء يعملون نُسَّاخاً وكَتَبةً في المكاتب التجارية أو المصرفية أو يقتنون عربات خيل للتأجير. على ان الامراء والمشايخ من الموارنة الفقراء لم يعودوا يتمتعون في جبل لبنان بالوزن السياسي السابق، لأن الزعماء الروحيين استغلّوا اخطاء الارستقراطيين أي الأمراء والمشايخ فانتزعوا منهم نفوذهم واملاكهم.

الموارنة الحاليون قليلو الشبه بالموارنة أيام القديس مارون. وهم يتخلفون في الشجاعة والاقدام عن الدروز والارثوذكس فقد بدوا ضعفاء خلال الأحداث الدموية في العام ١٨٦٠. والناس البسطاء منهم يمتازون بالفظاظة ويؤمنون بالخرافات. أما أفراد الطبقات الوسطى والعليا فمتقلبو المزاج مع ميل إلى الافراط في حب الظهور والتعصب. ومن الناحية المسلكية يلاحظ بين الموارنة والروم الكاثوليك قدر من الاباحية والخلاعة، أكثر مما يلاحظ

لدى الطوائف الأخرى في جبل لبنان.

عندما تكون للموارنة حاجة ما يهرعون إلى جميع قناصل الدول الأوروبية العظمى، بيد أنهم يعتبرون فرنسا حاميتهم الشرعية. كما أن القناصل الفرنسيين يشفعون لهم رسمياً لدى المتصرف في جميع القضايا والشؤون المتعلقة بمصالح أو حقوق رجال الدين الموارنة والطائفة المارونية.

واستناداً إلى ماضيهم التاريخي وتفوقهم العددي وثرواتهم الاجتماعية يدّعي الموارنة ان جبل لبنان وطن لهم، وان سيادتهم عليه يجب أن تكون فوق كل سيادة. وفي سبيل ذلك يحاولون الامساك بناصية الحكم باستمرار فيعتدون على مصالح الطوائف الأخرى وحقوقها. يقيمون مع الروم الكاثوليك علاقات وئام ظاهري فقط ولا اتفاق بينهم وبين الارثوذكس نظراً لتعصب الموارنة وتحريض رؤسائهم الروحيين. أما عداؤهم السياسي الذي أثارته دسائس الحكومة العثمانية فبارز بشكل خاص لدى الدروز الذين كانوا في وقت سابق يسيطرون على جبل لبنان بأكمله.

لم يكن للموارنة وجود إلا في جبل لبنان حيث يعيشون الآن وليس منهم من يقطن أية منطقة أخرى في السلطنة العثمانية باستثناء عدد قليل جداً في بعض المناطق الساحلية ودمشق ومصر.

وفقاً لإحصاء ١٨٦٢ الرسمي بلغ عدد الموارنة ٥٧٥٤٨ نسمة من الذكور أو ١١٥٠٩٦ من الجنسين. وإذا أخذنا بعين الاعتبار زيادة عدد السكان السنوية وهي واحد في المائة يكون حاصل مجموع الموارنة خلال السنوات العشرين الأخيرة ١٤٠ ألف نسمة من الذكور والاناث. وبعد عام ١٨٦٠ ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية على تزايد عدد الموارنة في جبل لبنان بشكل كبير، ويمكن أن تكون نسبة الزيادة السنوية في عدد السكان الموارنة قد فاقت الواحد بالمائة. ويقدر مطران بيروت الماروني يوسف الدبس في كتّيبه «موارنة لبنان» ان عددهم في جبل لبنان بلغ ٣٠٠ ألف نسمة موزعين على المناطق التالية: في أبرشية جبيل والبترون ٦٠ ألفاً، وفي أبرشية بيروت التي تشمل مدينة بيروت وجزءاً من جبل لبنان ٥٠ ألفاً، وفي أبرشية صور وصيدون ٤٧ ألفاً، وفي أبرشية بعلبك وكسروان ٤٠ ألفاً، وفي أبرشية طرابلس ٣٥ ألفاً، وفي أبرشية قبرص التي تشمل قبرص وجزءاً من جبل لبنان ٣٠ ألفاً، وفي أبرشية دمشق ٢٦ ألفاً، وفي أبرشية حلب والاسكندرون ومرسين وطرطوس ٥

آلاف وفي مصر وغيرها من المناطق التي لا تشملها الأبرشيات ولكن تتبعها، بلغ عددهم خمسة آلاف فيكون مجموعهم ٢٩٨ ألفاً. لكن هذه الأرقام وضعت على نحو عشوائي ولا تستند لأية معطيات إحصائية. وقد بولغ فيها عمداً لإثارة اهتمام الرأي العام الفرنسي لصالح الموارنة، علماً بأن المطران يوسف الدبس كان في العام ١٨٧٥ يجمع التبرعات في فرنسا.

ولأغراض التجارة وكسب المال كان الموارنة وغيرهم من مسيحيي جبل لبنان ينتقلون بشكل مؤقت أو بصورة دائمة إلى مدن سوريا الساحلية ولا سيما بيروت وطرابلس وصيدا. لكن مثل تلك الهجرة لم تكن لتسبب نقصاً محسوساً في عدد الطوائف القاطنة في جبل لبنان لأنها في الغالب لا تشمل ألّا عدداً ضئيلاً من العمال أو العاملات.

يقطن الموارنة كل ارجاء جبل لبنان أي جميع أقضيته الإدارية السبعة لكن أكبر تجمع سكني لهم يتمركز في قائمقاميات كسروان والمتن والبترون المارونية ثم في قائمقامية الدروز في الشوف ودير القمر حيث أنه من أصل اثني عشر مديراً هناك ثمة ستة موارنة، وأخيراً في قائمقامية جزين المارونية. أما أقل نسبة لهم فهي في قائمقامية الكورة الارثوذكسية وقائمقامية زحلة الكاثوليكية. وهم يختلطون بالدروز في المتن وفي الشوف خاصة حيث يصل عددهم إلى ١٧ ألف نسمة من الجنسين ويملكون عدداً لا بأس به من العقارات والممتلكات.

د ـ طائفة الدروز

الدروز من أصل عربي وجاءت دعوتهم من مصر. اعتنقوا مذهب الحاكم بامر الله، الخليفة الفاطمي الذي حكم مصر في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر.

تعرض اتباع هذه الطائفة الجديدة للملاحقة والاضطهاد من قبل الحكام المسلمين فانتقلوا إلى سوريا التي أصبحت الملاذ التقليدي لحركات الانشقاق والهرطقة، فنزلوا أول الأمر في حوران ومناطق سلسلة جبال لبنان الشرقية ثم انتقلوا إلى أماكنهم الحالية في جبل لبنان.

يؤمن الدروز بوحدانية الله الذي هو فوق كل وصف ولا تدركه الاحاسيس ولا تستطيع التعريف به كلمة الإنسان. ويؤمنون أن الخليفة الحاكم بأمر الله اختفى عن الأرض بأعجوبة وسوف يظهر مرة أخرى تجلله القوة والعظمة ليثبّت ملكه على الأرض. كما أنهم يؤمنون بأن أرواح الناس كلها خلقت من روح عالمية واحدة ليست بدورها إلّا احدى مخلوقات الله الأولى، وان عدد الأرواح يبقى كما هو وأن الأرواح تستمر هي ذاتها ولكنها تنتقل من جسد

إنسان إلى جسد إنسان آخر.

يعتبر الدروز أن مؤسسي دينهم خمسة وزراء أو خمسة من نوّاب الحاكم بأمر الله وهم: حمزة واسماعيل الدرزي ومحمد القاضي وأبو الخير وبهاء الدين. وهم ملتزمون بالاحتفاظ بكل ما له علاقة بدينهم بسرية مطلقة ولهذه الغاية لا يمارسون تقريباً أية طقوس أو مراسم دينية علنية.

ينقسم الدروز دينيّاً إلى فئتين هما: العُقّال والجُهّال. يتميَّز العُقّال عن الجُهّال بملابسهم فهم يرتدون عباءة أو سترة من الصوف مخططة بالأبيض والأسود مع عمامة بيضاء على الرأس. وهم يظهرون في حياتهم اليومية بمظهر المتشدد في الاخلاق والوقار والجدّية. وتقبل النساء أيضاً في فئة العقّال. أما أعلى درجة في المقامات فهي درجة شيوخ العُقّال ومفردها شيخ العقل، ومنهم ثلاثة: واحد من اليزبكية ومقر إقامته بعقلين، والثاني من الجنبلاطية في العرقوب، والثالث في حاصبيا وهو يرأس دروز حوران. أما عدد العُقّال بالنسبة للجُهّال فيبلغ نسبة واحد إلى عشرين. وليس لدى الجُهّال أي اهتمام بالدين بل يتركون أمر العبادة والسريّة وممارسة الطقوس للعقّال ويعاملونهم بكل اجلال وطاعة ولا سيما كبار العقّال اي شيوخ الدين.

يجتمع العُقّال في خلواتهم كل يوم خميس إذ يتذكرون انه في مثل هذا اليوم اختفى الحاكم بأمر الله وأنه سيظهر على الأرض من جديد يوم الخميس أيضاً. وفي هذه الاجتماعات التي تقام للصلاة تحضر النساء أيضاً وينتهي الاجتماع بتناول طعام مشترك يتألف من الفاكهة المجففة كالتين والزبيب واللوز والجوز والبندق.

لا يمارس الدروز التبشير بعقيدتهم لأنهم يؤمنون بأن عدد اتباع ديانة الحاكم بأمر الله محدود لا يتغير وأن الأبواب مقفلة أمام أي دخيل جديد منذ عهد بعيد.

يتميز الدروز بالشجاعة والبسالة، ولا يصبرون على ضيم، وهم مستعدون باستمرار للانتقام حتى بالدم إذا ما تعرضوا لأية مهانة مهما كانت صغيرة. ويكنّون احتراماً بالغاً لكل من تحدَّر من عائلات المشايخ والأمراء العريقة فيميزونه ويقدمونه في جميع المناسبات.

انقسم الدروز في جبل لبنان إلى حزبين سياسيين هما: حزب القيسيين وحزب اليمنيين ونشأت بينهما عداوة مستمرة. بلغ الدروز ذروة مجدهم أثناء حكم فخر الدين المعني الثاني،

ثم حكمهم الأمراء الشهابيون وهم مسلمون سنّة اعتنق بعضهم المذهب الماروني في القرن الثامن عشر. لكن منطقة الدروز أصبحت في عهد الأمير ملحم وأخيه الأمير منصور الشهابي وابنه الأمير يوسف مسرحاً لاضطرابات متتالية بسبب الخلافات بين الحزبين الجنبلاطي واليزبكي، وبسبب تدخل والي عكا أحمد باشا الجزّار في شؤونهم ومكائده ضدهم. وفي عام ١٧٨٩ وصل إلى الحكم الأمير بشير الشهابي الثاني وهو أمير مسلم اعتنق المسيحية، فتمكن من تثبيت سلطته على كل سكان جبل لبنان من الدروز والموارنة على حد سواء.

من العائلات الدرزية الارستقراطية القديمة ذات النفوذ نشير إلى الأسر التالية: أبو نكد، وعماد، وعبدالملك، وتلحوق، وزين الدين، وحمادة، وارسلان (أمراء)، وعبدالصمد، وجنبلاط. ومع أن العائلة الجنبلاطية ليست قديمة العهد في جبل لبنان، إلا إنها تمكنت من جمع ثروة طائلة عرفت بفضلها كيف تلعب دوراً هاماً في زعامة الدروز بصورة مستمرة حتى يومنا هذا. كان مشايخ الدروز من كبار مُلّاك الأراضي في الجزء الجنوبي من جبل لبنان حيث كان السكان الدروز والمسيحيون يعيشون ويعملون كأرقاء في هذه الأراضي قبل أن تلغى حقوق الاقطاعيين الدروز (المقاطعجية) في عام ١٨٦١.

منذ ان استوطن الدروز جبل لبنان حتى الأربعينات من القرن الحالي تقريباً ظلوا يعيشون في وئام مستمر مع الموارنة وشاركوهم في الدفاع عن جبالهم ضد الأعداء الخارجيين. ولم تبدأ الخصومات والعداوات بينهما إلاّ أثناء الحكم المصري على سوريا عندما دخل الانكليز في صراع مع الفرنسيين الذين وقفوا إلى جانب المصريين. آنذاك قرر الانكليز منازعة الفرنسيين على النفوذ في جبل لبنان فعرضوا حمايتهم على الدروز وحرضوهم وقدموا لهم الدعم ضد الموارنة المرتبطين دينياً بفرنسا. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المسألة اللبنانية قضية أوروبية دولية وبدأ التدخل السياسي والتناقضات والنزاع بين دول أوروبا على النفوذ والسيطرة مما أشعل اشتباكات دموية متواصلة توجت بمذبحة ١٨٦٠. ومنذ ذلك التاريخ أخذ الدروز يعترفون بحماية انكلترا لهم ويلجأون إلى شفاعة القناصل الانكليز، وبات متصرفو جبل لبنان لا يرفضون وساطات المندوبين الانكليز وشفاعاتهم في كافة الشؤون المتعلقة بحقوق الدروز ومصالحهم. وأقام الانكليز بشكل خاص علاقة وثيقة مع عائلة جنبلاط الثرية التي تتمتع بنفوذ قوي بين الدروز ليس فقط في جبل لبنان بل وفي حوران أيضاً.

يميل الدروز في الوقت الحاضر للتقارب مع سكان جبل لبنان الارثوذكس أكثر من ميلهم

للتعاون مع الكاثوليك أو الموارنة خاصة، إذ تفرق بينهم خصومات وعداوات عنيفة. الدروز أقل من الموارنة عدداً وثروة لكنهم يتنافسون معهم للسيطرة على الإدارة اللبنانية. لذلك يحاولون اجتذاب الارثوذكس إلى جانبهم وكذلك المسلمين السنّة والشيعة. وتقف هاتان الطائفتان الصغيرتان على الدوام إلى جانب الدروز وتتفقان معهم في كل أمر يتعلق بمقاومة النفوذ الماروني. وليس لدى الدروز أي أمل بالسيطرة على الإدارة كلها في جبل لبنان، كما كان الأمر في العهود الغابرة، لذلك فإن جل طموحاتهم السياسية تتركز على حرمان الموارنة من امكانية السيطرة الكاملة على جبل لبنان وفي الوقت نفسه يحاول الدروز ما أمكنهم شل نفوذ الموارنة بتشجيع من القناصل الانكليز.

يقيم الدروز في اثنتين فقط من قائمقاميات جبل لبنان هما: قائمقامية الشوف الدرزية وقائمقامية المتن المارونية. لكن الشوف هي منطقة سيطرتهم الوحيدة. فمن أصل اثني عشر مديراً في هذه القائمقاميّة ثمة ستة مدراء دروز. أما في قائمقامية المتن فرغم أن عددهم كبير نسبياً وان عدد الارثوذكس قليل فإن احد المدراء (المديرلك) الستة ليس درزياً بل ارثوذكسياً. ويعيش الدروز في القضائين الإداريين المذكورين بالاختلاط مع الموارنة والارثوذكس والروم الكاثوليك وكذلك مع الشيعة والمسلمين السنّة.

وفقاً لإحصاء ١٨٦٢ الرسمي بلغ عدد الدروز في جبل لبنان ١٢٢٨٠ نسمة من الذكور و٢٤٤٦٠ من الذكور والاناث. وخلال العشرين سنة المنصرمة لم تكن نسبة تزايد عددهم متفقة مع زيادة عدد السكان الموارنة والارثوذكس والروم الكاثوليك، بل لوحظ بينهم تقلص في عدد السكان بدلاً من التزايد خلال هذه الفترة. وباستثناء عائلة جنبلاط فإن كل العائلات الدرزية تقريباً التي كانت تتمتع بنفوذ وثروة مادية قبل قيام إدارة جبل لبنان أصيبت بالفقر ورزحت تحت ديون باهظة لا يمكن سدادها فاضطرت إلى بيع أملاكها. ثم ان عدداً كبيراً من الدروز هاجر خلال تلك الفترة إلى حوران أو إلى أقرب المتصرفيات الدمشقية وهي متصرفية حاصبيا وراشيا طلباً للرزق. ويلاحظ أن الدروز لا يميلون إلى الإقامة في المدن الساحلية أو غيرها.

ويقدر عددهم حالياً في جبل لبنان بحوالي ٢٨ ألف نسمة من الجنسين أي أقل من الموارنة بست مرات. لكن الدروز، بالإضافة إلى جبل لبنان، يعيشون بأعداد كبيرة في أقضية حاصبيا وراشيا وحوران (جبل الدروز). أما تعدادهم خارج حدود جبل لبنان فيتراوح بين ٢٠ و٢٥ ألف نسمة من الجنسين. وقد ورد في مقال نشر في باريس عام ١٨٦٣ تحت عنوان

«الأمة الدرزية لهنري غيز Henri Guys انه كان بمقدور دروز حوران آنذاك أن يقدموا ٣٠٠٠ مسلحاً ودروز حاصبيا وراشيا ١٥٠٠ مسلحاً. أما دروز جبل لبنان فكان باستطاعتهم تقديم عشرة آلاف مسلح. وان عدد الدروز بلغ آنذاك بين ٤٨ و٥٠ ألفاً من الذكور والاناث. وفي كتاب Esquise de la Syrie للمؤلف نفسه صدر في العام ١٨٤٦ ورد رقم عام لعدد سكان جبل لبنان هو ٣٠٠٩١٩ نسمة منهم ١٨٩٠٣٩ موارنة و٣٦٦٦٠ روم كاثوليك و٢٤٨٩٥ روم ارثوذكس و٩٠٧١ دروزاً و٩٧٠١ متاولة أوشيعة.

هـ ـ المسلمون السنة

السنّة في جبل لبنان جزء من السكان السوريين المسلمين الذين يعود أصلهم إلى عائلات العرب الفاتحين والسوريين المقيمين الذين اعتنقوا الاسلام. وهم لا يتميزون بشيء عن باقي المسلمين السوريين القاطنين في مدن سوريا الساحلية أو في مناطقها الداخلية. وهم يشاهدون بأعداد قليلة في جميع قائمقاميات جبل لبنان، لكن أكبر تجمع لهم يعيش في قائمقامية الشوف الدرزية حيث لهم مدير (مديرلك) واحد. كما أن تجمعاً كبيراً للسنّة يقطن قائمقامية الكورة الارثوذكسية حيث هناك مدير سني واحد في الكورة الشمالية من أصل ثلاثة مدراء في قائمقامية الكورة كلها.

وعلى أساس احصاء ١٨٦٢ بلغ عدد السنّة الذكور في جبل لبنان ٣١٧٧ نسمة أو ٦٣٥٤ من الذكوروالإناث. وبإضافة الزيادة في عدد السكان خلال العشرين سنة المنصرمة يكون حاصل عدد السنّة في جبل لبنان قرابة ٧٥٠٠ نسمة تقريباً. ليست لسكان جبل لبنان السنّة أية طموحات سياسية فهم والشيعة يتكتلون حول الدروز. وهم راضون بوضعهم إذ لا يخضعون للتجنيد الاجباري مثل باقي المسلمين السنّة في سوريا، كما أنهم يدفعون أتاوات وضرائب ضئيلة لا تذكر.

و ـ الطائفة الشيعية

ينتسب الشيعة إلى أصل سوري وهم يتكلمون اللغة العربية ويعتنقون الدين الإسلامي.

كان عدد الشيعة في القرن الماضي كبيراً جداً في جبل لبنان وفي سوريا عموماً. وكان عصرهم الذهبي في عهد ضاهر العمر وهو من قبيلة زيدان القوية، وأقام لنفسه مقاطعة شبه مستقلة في الجليل (في ولاية عكا الآن). في منتصف القرن الثامن عشر تحالف مع الروس

الذين كان أسطولهم آنذاك يمخر عباب البحر الأبيض المتوسط. وبعد وفاة ضاهر العمر حلّت نكبات قاسية بالشيعة، فقد لاحقهم والي عكا أحمد باشا الجزّار واضطهدهم فضعفوا ولم يعد بمقدورهم أن يلعبوا دوراً أساسيّاً مؤثراً في النزاعات بين الطوائف السورية. وهم في الوقت الحاضر لا يشكلوا تقريباً طائفة مستقلة كباقي جيرانهم اللبنانيين.

يعيش الشيعة مشتتين في جميع قائمقاميات جبل لبنان، لكن أكبر تجمع لهم يشاهد في الأقضية المارونية: كسروان والبترون وجزّين والمتن. ففي كسروان هناك اثنان من المدراء الشيعة من أصل سبعة، وفي البترون مدير (مديرلك) واحد، ومدير واحد في كل من الهرمل وجبل المنيطرة وجزّين.

وعلى أساس احصاء ١٨٦٢ بلغ عدد الشيعة ٤١٤٢ نسمة من الذكور أو ٨٢٨٤ من الجنسين. ومع تزايد عدد السكان في العشرين سنة المنصرمة بلغ عددهم قرابة ١٠٥٠٠ نسمة. وليست لهم طموحات سياسية في جبل لبنان بل يدعمون الدروز والمسلمين السنّة.

توزيع السكان الذكور في جبل لبنان على الأقضية والنواحي الإدارية عام ١٨٦٢

اسم القضاء والناحية الادارية	بروتستانت	شيعة	روم كاثوليك	ارثوذكس	دروز	موارنة	مسلمون سنة	المجموع في المراكز الادارية	المجموع في الاقضية
١) قضاء الكورة									
أ) ناحية الكورة الوسطى	–	٢٠	–	٣٥١٨	–	٧٢٩	١٢٦	٤٣٩٣	–
ب) ناحية الكورة الشمالية	–	–	–	٢٧٥	–	١٧٨	٢٧٢	٧٢٥	–
ج) ناحية القويطع	–	–	–	٦٩٠	–	٦١	١٤١	٨٩٢	–
المجموع	–	٢٠	–	٤٤٨٣	–	٩٦٨	٥٣٩	٦٠١٠	٦٠١٠
٢) البترون									
أ) ناحية تنورين	–	٣٠	٢٢٧	٦٩٢	–	١٥٩٠	٤٠	٢٥٧٩	–
ب) ناحية قنات	–	١٢٦	–	٥٠	–	١١٩٩	–	١٣٧٥	–
ج) ناحية حصرون	–	–	–	–	–	١٢٨٥	–	١٢٨٥	–
د) ناحية اهدن	–	–	–	٣٤	–	٢٥٠٢	–	٢٥٣٦	–
هـ) ناحية الزاوية	–	٣٢	–	٢٤٦	–	٣٠٦٤	٤٤	٣٣٨٦	–
و) ناحية بشري الشمالية	–	–	–	–	–	٢١١٨	–	٢١١٨	–
ز) ناحية بشري الجنوبية	–	–	–	١١٦	–	١٤٥٥	٨٢	١٦٥٣	–
ح) ناحية الهرمل	–	٧٦٤	–	–	–	–	–	٧٦٤	–
المجموع	–	٩٥٢	٢٢٧	١١٣٨	–	١٣٢١٣	١٦٦	١٥٦٩٦	١٥٦٩٦
٣) كسروان									
أ) ناحية جرد كسروان	–	–	٣١	–	–	١٨٤٥	–	١٨٧٦	–
ب) ناحية غزير	–	–	–	–	–	١١٤٣	–	١١٤٣	–
ج) ناحية جونية	–	–	١٨	–	–	١٤٠٢	–	١٤٢٠	–
د) ناحية الزوق	٧ أرمن	–	٢٤٣	–	–	١٤٦٠	–	١٧١٠	–
هـ) ناحية غوسطا	–	–	–	–	–	٢٤٧١	٢٠	٢٤٩١	–

تابع

اسم القضاء والناحية الادارية	بروتستانت	شيعة	روم كاثوليك	ارثوذكس	دروز	موارنة	مسلمون سنة	المجموع في المراكز الادارية	المجموع في الاقضية
و) ناحية الفتوح	–	٤١٣	–	–	–	٢٨٣٦	–	٣٢٤٩	–
ز) ناحية جبل المنيطرة	–	١٢٦٧	–	–	–	٣٢٦	–	١٥٩٣	–
ح) ناحية جبيل العليا	–	٢٤	–	–	–	٢٦٧٧	٨٧	٢٧٨٨	–
ر) ناحية جبيل السفلى	–	٤٥	–	٥١٩	–	٣٠٧٣	٨٨	٣٧٢٥	–
المجموع	٧ أرمن	١٧٤٩	٢٩٢	٥١٩	–	١٧٢٣٣	١٩٥	١٩٩٩٥	١٩٩٩٥
٤) قضاء المتن									
أ) ناحية الساحل	١٠	٣٣٨	١٢٤	٥٣١	–	٢٥٣٦	١٨	٣٥٥٧	–
ب) ناحية المتن	١٠	٢٠	١٧٢	٩٨٩	٣٥٥	٣٤٠٦	–	٤٩٥٢	–
ج) ناحية القاطع	–	–	١٦٨	٤٤١	–	٣٦١٩	–	٤٢٥٨	–
د) ناحية المتن الأعلى	٧	٥٦	١٩٣	٧٤٦	١٩٧٥	٣٠٣٣	–	٦٠١٠	–
هـ) ناحية الشوير	١٠	–	٧٠٦	١٢٦٥	–	٤٥	–	٢٠٢٦	–
و) ناحية بسكنتا	–	–	٢٨١	٩٣١	–	١١٤٦	–	٢٣٥٨	–
المجموع	٣٧	٤١٤	١٦٤٤	٤٩٠٣	٢٣٣٠	١٣٨١٥	١٨	٢٣١٦١	٢٣١٦١
٥) قضاء الشوف									
قصبة بعقلين مركز القائمقام	–	–	–	–	٦٤٩	٧٤	–	٧٢٣	–
أ) ناحية الشوف السويجاني	–	–	١٢٥	–	١١٣٣	٢١٨	–	١٤٧٦	–
ب) ناحية الشوف الحيطي	–	–	٥٩٠	٥٦	٢٠٠٨	١٨٧	–	٢٨٤١	–
ج) ناحية العرقوب الاعلى	٣١	–	٧٠	٨٠	٣١٤	١٥٨	–	٦٠٣	–
د) ناحية العرقوب الجنوبي	–	–	٢٠٩	–	٨٩٠	٣٢٤	–	١٤٢٣	–
هـ) ناحية العرقوب الشمالي	–	–	٣	٩٥	١٢٨	٦٦٨	١١	٩٠٥	–
و) ناحية الجرد الجنوبي	١٨	–	٥٥	٥٤٩	–	١٤٧٠	–	٢٠٩٢	–
ز) ناحية الجرد الشمالي	–	–	٢٩	٨٤	١١٠١	١٤٣	٩	١٣٦٦	–
ح) ناحية الغرب الشمالي	٤٤	٤٣	٢١٩	٢٠١	٥	١٠٠٤	–	١٥١٩	–
ط) ناحية الغرب الجنوبي	–	٣٤	٢٣	٩٩	٩٧٨	١٦٢	–	١٢٩٦	–
ي) ناحية الغرب الأعلى	١٧	–	٢٦	١٠١١	١٥١٨	١٩٧	–	٢٧٦٩	–
ك) ناحية المناصف	٢٦	–	٢٥	١٣٥	٥٣٦	١٣٦٢	٢٦	٢١١٠	–

تابع

اسم القضاء والناحية الادارية	بروتستانت	شيعة	روم كاثوليك	ارثوذكس	دروز	موارنة	مسلمون سنة	المجموع في المراكز الادارية	المجموع في الاقضية
ل) ناحية الشحّار	–	–	١٢٢	٦٧	٥٦١	٤١٥	–	١١٦٥	–
م) ناحية اقليم الخروب	–	١٩٥	٣٩٨	١٣	–	٩٩٦	٢٠٩١	٣٦٩٣	–
المجموع	١٣٦	٢٧٢	١٨٩٤	٢٣٤٣	٩٨٢١	٧٣٧٨	٢١٣٧	٢٣٩٨١	٢٣٩٨١
قصبة دير القمر التابعة للمديرية الوسطى	–	–	١٨٠	–	١٤	١١٦٦	–	١٣٦٠	١٣٦٠
المجموع	١٣٦	٢٧٢	٢٠٧٤	٢٣٤٣	٩٨٣٥	٨٥٤٤	٢١٣٧	١٣٦٠	٩٠٢٠٣
٦) قضاء جزين									
قصبة جزين	–	٢٩١	٥٢٦	–	٢٥	٢٣٦٨	٨٦	٣٢٩٦	–
أ) ناحية اقليم التفاح	–	٤٤	٩٨٢	–	–	٦١٣	–	١٦٣٩	–
ب) جبل الريحان	–	٣٨٥	١٢	–	–	١١٠	–	٥٢٧	–
المجموع	–	٧٢٠	١٥٢٠	–	٢٥	٣٠٩١	٨٦	٥٤٤٢	٥٤٤٢
٧) زحلة									
مدينة زحلة وضواحيها	–	١٥	٢٩٤٦	٥٨١	–	٦٨٤	٣٦	٤٢٦٢	٤٢٦٢
المجموع العام	١٨٠	١٤٢١	٨١٨٤	٧٨٢٧	١٢١٩٠	٢٦١٣٤	٢٢٧٧	٩٩٩٢٧	٩٩٩٢٧

توزيع السكان الذكور في جبل لبنان على الأقضية والنواحي الادارية والقرى والمزارع

اسم القضاء والمركز الاداري والقرية والمزرعة	عدد السكان
١) قضاء الكورة	
أ) ناحية أميون	
بلدة أميون	٧٤٦
كفر حزير	٢٦٥
كفرشخنا	٧
شكا	٣٢٢
الهري وكفريا	٣١
بزيزا	١٤٢
دار بشمزين	٥٨
دار بعشتار	٢٤٠
المجموع	١٨١١
ب) ناحية الكورة الوسطى	
كوسبا	٤٤١
مزرعة نهر بوعلي	١٢
كفرصارون	٦٨
كفرعقا	٢٢٧
بدّبا	٨٢
بصرما	٢٠٢
بشمزّين	٣١٢
عفصديق	١٠١
زكرون	٢٤
انفه	٣٢٥
فيع	٢٠٤
قلحات	١٤٠
بترومين	١٠٩
بطرّام	٢٦١
دير البلمند	٣
عابا	٧١
المجموع	٥٨٢
ج) ناحية الكورة الشمالية	
المزرعة	١٤
كفتون	٨٣
راس مسقا	٤٦
بديهون	٢٨
كفرقاهل	٦١
دده	٢٢٨
بلّا	٦٨
النخلة	١١١
بتوراتيج	٤٧
بزعون	٣٩
المجموع	٧٢٥
د) ناحية القويطع	
كفتون	٥٢
حامات	٢٦٦
وجه الحجر	٦٧
كفريّا	٦٥
راس نحاش	٦٤

كفر حتّى	٩
بتعبورة	١٣٢
بدنايل	٢٦
كفرحاتا	١٤٩
اجد عبرين	٦١
المجموع	٨٩٢
٢) قضاء البترون	
أ) ناحية البترون	
البترون	٧٥٠
مزرعة كرانعو	١٧
سمار جبيل	٨٦
كفر حي	٤٠
اده	١٢٢
عبرين	٢٤٤
عبدللي	٢٣٩
رشكيدا	٢٦
شبطين	١٥٦
جربتا	٦٤
كفيفان	١١٠
جران	١٠٠
مزرعة عرطز الفتوحات	١٨
صغار مع المزارع	٨٨
شويت العليا والسفلى	١٥
بسبينا	١٦
مزرعة ترحانا وغوما	١١٢
سلعاتا	٢٣
دريا	٦٧
كور الجندي	٩٠
جبلا	٢١
كفرعبيدا	٨٦
كفرحي	٨٨
راشانا	٢٥
تحوم	٨٠
بجدرفل	١١٠
مزرعة مراح شديد	٢٤
تولا	١٥٩
كبّا	١٢٨
اجدبرا	٥٩
حلتا	٥٢
صورات	٦٧
بقسميّا	٧٥
مزرعة ضهر ابو ياغي	٨
مزرعة كفر خلص	٩
الكراسي	١٢
المجموع	٣٨٨٦
ب) ناحية جرد البترون	
تنورين	٥٦٢
محمرش	٤٠
مزرعة العلالي	١٧
بشعلي	١٠٧
داعل	٢٥
دير مار يوحنا دوما	٧
شاتين	١١٤
حوب	١١
قرية آسيا	١٠٢
مزرعة رام	١٢
بشتودار	٤٨
مزرعة يارينا	٧
كفرحلدا	١١١
مزرعة حارة بيت شلالا	٧٣
مزرعة مراح الحاج	١٢
مزرعة وطى حوب	٢١
قرية كفور العربي	٢٥٣
دوما	٦٥٢

مزرعة مار ماما	١٢
مزرعة المرح	٢٣
حردين	١٩٤
مزرعة حارة بيت كسّاب	٢٥
مزرعة بستان العصي	٢٥
راشانا	٢٩
حدثون	٥٠
مزرعة الدوق	٤٥
دريا	٢٧
المجموع	٢٥٧٩

ج) ناحية بشرّي

بشري وضواحيها	٧٦٩
حدشيت	٣٨٢
ايطو	١٥٩
كفرصغاب	٣٤٤
مزرعة دير قزحيا	
مع مزارع الفراديس، النهر	
حارة سبعل بقوفا	٢٠٧
سرعل	١١٠
بان	١٤٧
المجموع	٢١١٨

د) ناحية حصرون

حصرون	٤٢٩
حدث الجبّة	٢٧٧
بقاع كفرا	٢١٢
بقرقاشا	١٩٥
بزعون	١٧٢
المجموع	١٢٨٥

هـ) ناحية اهدن

اهدن وقرية زغرتا	٩٨٥
راس كيفا	١٢٠
اجبع	٤٦
مزرعة دير الحرف	١٩
قرية تولا	١٠٦
مزرعة أسلوت	٤٩
البحيري	٥٧
مزرعة مراح تولا	٦٢
مزرعة التفاح	٩٦
قرية عين طورين	١٩٤
مزرعة مرح	٣٦٤
سبعل	١٤٨
كفرفو	٨٥
بسلوقيت	٩١
كرم سدّه	١١٤
المجموع	٢٥٣٦

و) ناحية قنات

قنات	٣٣٤
مزرعة بنشعي	
وعين عكرين	٧٠
بزحليون	٩٢
مزرعة دير بلاّ	١٨
مزرعة بحبوش	٨٠
مزياره	٥١
مزرعة زغرتا المتاولة	٣٤
بيادر رشعين	٤٧
مزرعة الحميص	٤
بلوزا	٥١
الزكزوك	٣٦
قنيور وبيت منذر	٥٥
مجدليا	٧٩

عبدين	٤٤
طورزا	٢١٤
مزرعة المدقوم	١١
مزرعة الصعبيين	٧٠
نيحا	٨٥
مزرعة عسّاف	٥٠
المجموع	١٣٧٥

ز) ناحية الزاوية

كفريا شيت	٧٩
مزرعة دير قزحيا	٢٣
كفرزينا	١٢٢
كفرحورا	٩٠
مزرعة الصيّاد	٣٨
أصنون	٩١
كفرشخنا	٥٣
الخالدية	٢٠
كفر حاتا	٥٦
كفر دلاقوس	٧٨
أرده	١٤٧
عشاش	٩٥
داريا	٢٢٤
عرجس	١١٥
بوسيط	٢٢
كفريّا	٢٨
مزرعة مغر الاحول	١٩
حالات	١٠٩
بسبعل	٢٠
رشعين	١٢٥
بشنين	٣٧
مجدليا	٤١
مرياطة	٢٢
المجموع	١٦٥٣

ح) ناحية الهرمل

قصبة الهرمل وضواحيها	٧٦٤
مجموع قضاء البترون	١٥٦٩٦

٣) قضاء كسروان

أ) ناحية غزير

غزير وضواحيها	١١٤٣

ب) ناحية غوسطا

غوسطا	٣٠٢
فيطرون	١٣٨
عشقوت	٢٧٢
مزرعة بقعاتا عشقوت	٣٤
مزرعة وطى الجوز	٤٧
رعشين	٧٣
أغبه	٢٧
درعون	٣٣٧
مزرعة دير حريصا	١٨
مزرعة السيدة	١٦
عرمون	٢٧٧
مزرعة حبّاطه	٦٩
شحتول	٢١٠
عين الدلبة	٢٤
بطحة	٨٦
بزمار	٣٨
معراب	٧٢
دلبتا	٣١٧
الجديدة	١٣٤
المجموع	٢٤٩١

ج) ناحية جرد كسروان

مزرعة كفرذبيان	٨٠٥
وطى الخربة	٢٤
قرية بقعتوتة	١٠٨
بقعاتة كنعان	١٥٥
فاريا	٧٣
حراجل	١٢٠
مزرعة حارة حراجل	١٠
ميروبا	١٨٠
ريفون	١٦١
القليعات	٢٤٠
المجموع	١١٨٧٦

د) ناحية الزوق

زوق مكايل	٨٣٣
زوق مصبح	١٦٢
عجلتون	٢٩٤
مزرعة بلّونة	٤٠
مزرعة بيت كريدي	٨
مزرعة داريا	٣٥
مزرعة الشروق الفوقا	١٠٤
عينطورة	٩٩
عين الريحانة	٢٠
جعيتا	١١٥
المجموع	١٧١٠

هـ) ناحية صربا

صربا	٢٤٠
شننعير	٢١٠
ساحل علما	٢٦١
حارة صخر	٢٢٢
مزرعة شويا	٣٢
غزير	٤٥٥
المجموع	١٤٢٠

و) ناحية الفتوح

وطى اليان والحرف	
وكفر ياسين	٢٢٦
الصفرا	١٨٠
البوار	١٤٠
العقيبة	٣٨
بقاق الدين	٣٧
فتقا	١١٨
مزرعة غدراس	٣٣
قلعة الحمرا	٢٢
قرطبا	٢٣٢
مزرعة جورة الفوقا	٢٥
جورة التحتا	٢٦
زيتون	٦١
المعاملتين	٩٥
الزعيترة	٩٨
العذرا	١٠٥
مزرعة الدفني	٥٤
مزرعة دير مارأدما	
كفار جريق	٥٤
الحصين	٥٣
العبرة	٦
قمهز التحتا	٢١
أفقا وعين حيصة	٨١
مزرعة فرات	٨
مزرعة دير مارعبدا	
هرهريا	٨٦
مزرعة القطّين	٢٤
مزرعة الغينة	٥٤
جورة الترمس	١١٣
مزرعة بجاره	٧

مزرعة الرويس	١٢
مزرعة عين جوبا	١٢
مزرعة عين شجاع	١٨
الغويبة وبيت برّو	٢٨
حروشيت	٤٨
مزرعة نهر الدهب	٤٤
المشاتي	١١
يحشوش	٢٩١
مزرعة عين الحانوت	١٩
مزرعة شوّان	١٤
مزرعة بزّمار	٩
بزحل	١٣٩
مزرعة غوشريّا	٤١
مزرعة حاجي علي	٦٧
جورة بدران	١١١
غبالة وقلعة الريس	٢٢٨
مزرعة نهر الحزين	٢٦
لاسا	١٢٨
مزرعة شواتا	١٢
كفرشيّان	٥٣
الغابات	١١
المجموع	٣٢٤٩

ز) ناحية جبة المنيطرة

مزرعة بشلّه	١٤
الفيدار العليا	٢٦
بشتليدا وعين شميسه	١٣
قرية ججولا	١٣٩
مزرعة حمار الصغير	٢٢
قرية راس اسطا	٩٦
علمات	١٢٦
مزرعة أدما	١١
زبدين	٩٨
الحصون	٥٣
المغيري ومزرعة عبود	
ومار سركيس	٢٨٤
مزرعة السياد	٨٦
المجدل	١٩
المنيطرة	١٠
بيت مشّيك	١٥
حسنعاد	١٥
عين الدلبة	
عين جرين والقلعة	٦٥
طورزيا	١٧
نبع طورزيا	٨
مزرعة الصوانة	٢٩
فراط	١٠
مشّان	١٨
زمرد	١٨
فرحت	٤١
شمسطار	٣٥٩
مزرعة كفرشيوع	١
المجموع	١٥٩٣

ح) ناحية جبيل الأسفل

جبيل	٤٥٤
جورة القطين وبكركز	٢٥
معاد مع الدير	٩٦
شموت	٣٤
بجة	١٤٨
مزرعة عين كفاع	٦٥
الريحانة	١٥
غبالين	١٥
فغال	٨٧
كفركدة	٦٠
البربارة	٨٩
بخعاز	٤٢
شيخان	٤٣

المنصف	١٩١
غرزوز	٧٨
جبليّة	٨٣
مزرعة الجميل	٧
عمشيت	٥٠٥
مزرعة بورشرين	٢٠
مزرعة نهر ابراهيم	٧٩
حالات	١٦٤
مزرعة فتاح الخير	٦
مزرعة جلب المراح	٢١
شابين الفوقا	٢
شابين التحتا	١٣
مزرعة مهرين	١٩
سيران	٢
بلاط	١٧
دير مستيتا	١٥
قرطبون	٢٤
كفركلاس	١١
الحرف الفوقا	٦
الحرف التحتا	٩
عنايا	٣
مضاميط	١٦
السبيل	١٥
الجليسة	٩
صوراتا	٢٦
ادّه	٧٣
كفر حتّى وبيت الغزال	١٣
مزرعة كفرمسحون	١٧
كفرقواس	٢
البريج	٨
مزرعة دير مار سمعان	
كفريون	١١
كفرزبونا	٧
جنجل	١٢
حبوب	٢٣
الراموط	١٩
بجرّين	١٥
عبيدات	١٨٩
مزرعة غرفين	١٦
جدايل	٦٧
عيدمون	١٥
كوراهوا	٤
حصارات	١٧١
شامات وخربة هليون	٢٩
مزرعة بحديدات	٣٢
بيت حبّاق	٣٢
دملصا	٣٠
حصرايل	٦٩
مزرعة غلبون	١٤٥
مزرعة الكفر	٧٦
وطى البان	١٤
وادي ماحامين	٥
ساقية الخيط	١٢
الصوانة	٥
وادي النمور	٤
مزرعة دير ماريوحنا	٤
المجموع	٣٧٢٥

ط) ناحية جبيل الأعلى

العاقورة	٣٤٦
اللهيب	٢٧
سرعاتا	٦٠
اهمج	١٠١
مشمش	٢١٢
لحفد	٢٦٢
جاج	٢٤٧
مزرعة سقي لحفد	٩٣
ترتج	٢٣٤
مزرعة دير ميفوق	٧٤
مزرعة دير فتري	٨

قرية حاقل	١٤٣
مزرعة الخاربة	٥٠
هابيل	٥٧
مزرعة كفون	٨١
جديدة	٢٤
بنتاعل	٧٧
فتري	٥٠
بشلّي	٩
مزرعة دير مار مارون	٢
مزرعة التحتا	١٠
كفر حيّان وحدوه	٢٢
قرطبا	٥٩٩
المجموع	٢٧٨٨
مجموع سكان كسروان	١٩٩٩٥

٤) قضاء المتن

أ) ناحية المتن الأعلى

حمانا	٥٣٩
الشبانية	٢٨٨
قبيّع	١٣٥
القريّة	٣٢
الخريبة	٥٠
رأس الحرف	١٢٣
مزرعة دير مار	
الياس الكحلونية	٤٢
بعلشميه	١١٩
رويسات البلّوط	٧٧
مزرعة دير مار	
الياس قتالة	٣
الهلالية	٧١
العبادية وخان الاسفار	٤٧٩
شويت	١١٣
عاريا	١٥٥
المزيرعة	١٨
عين موفق	٤
فالوغا	٣١٠
مزرعة جوار الجمهور	١٣
بحالا	٢٧
بتخنيه	١٧٥
القلعة	٦٣
بمريم	٦٥
بتبيات	٤٣
الخلوات	٤٥
دير خونا	٢٨
قتالة	٦٥
مزرعة بتعلين	٨
الشبانية	٦
دير الحرف	٩٨
القصيبة	٨٥
زندوقة	٢٨
رأس المتن	٥٣٠
مزرعة بطلينّ	٦
مزرعة قرطاضة	٣٣
الكنيسة	٧٥
أرصون	٢٢٦
مزرعة جورة أرصون	٣٥
دليبه	٥٦
قرية حاصبيا	٥٠
قرية ترشيش	١١٥
حزرتا	٤٨
وطى المروج	٩٥
الفريكة	١٩٤
صليما	٥٥٤
العربانية	١٦٤
بزبدين	٣١٠
كفرسلوان	٢١٧
المجموع	٦٠١٠

ب) ناحية المتن الشمالي

زرعون	٦٥
مزرعة عين الصفصاف	٥٤
مزرعة دير ميخائيل بنابيل	١٤
مزرعة عين الزيتونة	٢٤
بنابيل	٢١
المروج	٨٤
مرجبا	٥٩
الوطى	٧
مجدل ترشيش	٢٠
شيحا ونبع أبوضرغم	٤٧
المتين	٦١١
رومية	٢٣٢
عينطورة	٣٣٩
بيت مري وبكفرين ودير القلعة وعين سعادة والعين البادرة	٥٠٥
المنصورية	٣٣٨
مزرعة دوار العيرون	٤٥
برمانا	٤٦٩
جورة البلوط	١٢٧
مزرعة دير قزحيا	٥٥
نابيه	٢٥١
مزرعة قناية برمانا	٦٣
مزهر	٤
المسقى والغابة	١٥٢
مزرعة العيون	٤٧
سهيلة بعبدات	٥٢
بعبدات	٤٣٣
بحنس	١٥١
مزرعة دير مار موسى	٣٠
مزرعة شرين	١
الخلّة	٢٧
الزاهريه	١٠
قناية	٢٥
القعقور	٦٦
سن الفيل	٥٣
برج حمود	٦٠
البوشرية	٦٦
مزرعة عوكر	١٤
مزرعة سد البوشرية	١٤
الجديدة	٤٢
حارة شلهوب	٤٣
الدكوانة	٣١
مزرعة جل الديب	١٩
جل الماء الحلوة	١٠
مزرعة وازن	١٠
العامرية	٩
بقنايا	٤٥
مزرعة مار روكز	١٥
القبّاريّة	٢٥
المنكالي	٥
بياقوت	٤٤
الغويسية	٩
المكلس	٢٥
الديشونة	٧
بصاليم	١٠٩
مزرعة الزلقا	٤١
المجموع	٤٩٥٢

ج) ناحية القاطع

انطلياس	٣٧
قرنة الحمرا	١٩٨
مزرعة الفريكة	٨٨
عين علق	٤٣
المياسة	٦٩
المطيلب	٢٧
بيت شباب	١٠٥٧
قرية مزرعة يشوع	٢٧١
قرية عين الخروبة	٥٧
قرية عين حملايا	١١٥
ساقية المسك وبحر صاف	٢٩١
مزرعة دير شمرا	٨٨
قرنة شهوان	١٧٥
مزرعة الحضيري	١٥
مزرعة حارة البلّانة	١٣
زوق الخراب	٢٥
زكريت	١١١
ديك المحدي	١٢٨
بيت الشعار	٩٢
مزرعة بيت الككّو	٤٤
عين عار	١٠١
مزرعة العطشانة	٦
الجوار	٢١
الشاوية	٤٧
مزرعة شويّا	٨٨
مزرعة عين التفاحة	٢٧
وادي شاهين	٥١
قاطع الساحل	٨
مزرعة دير ماربطرس	١١
أبو ميزان	٧٧
الضبيه	٥
النقاش	١١
قرية بكفيا	٥٤٧
محيدثة	٣١٢
مزرعة الغبيّط	٢
المجموع	٤٢٥٨

د) ناحية الشويرا

الشوير	٩٤٣
عين السنديانة	٢٥٩
الخنشارة مع دير مار يوحنا الطبشي	٣٤٥
بتغرين	٤٧٩
المجموع	٢٠٢٦

هـ) ناحية بسكنتا

بسكنتا	١٤٨١
عين القبو	٥٠
مزرعة المشرع	٢٢
كفر عقاب	١٧٥
وادي الكرم ومزرعة دير مار سمعان	٦٠
قرية زبوغا	١٧٠
مزرعة كفرتيه	٤٣
مزرعة دير مار متر ونبع السفيلة	٤
مزرعة نهر بقعاتا	٤٦
قرية قاع الريم	١٥٣
وادي العرايش	١٥٤
المجموع	٢٣٥٨

و) ناحية الساحل

كفرشيما	٣٩٣
الحدث	٤٨٠
بسابا	٤٤
حارة حريك	٢٤٦
الشيّاح	٢٨٥
الليلكي	٨٨
برج البراجنة	٤٤٣
مزرعة تحويطة الغدير	٥٩
وادي شحرور التحتا	٤٠٠
وادي شحرو الفوقا	٢٤٣
حارة البطمة	١٠٣

مزرعة سبنيه ووادي الضبع	١١٧
بعبدا	٤٠١
بسابا	٢٥
بطشاي	٥٩
مزرعة اللويزة والزيرة	٥٥
عين الرمانة	١٢
حارة الست	٤١
تحويطة النهر	٦٣
المجموع	٣٥٥٧
مجموع سكان قضاء المتن	٢٣١٦١

٥) قضاء الشوف

أ) ناحية الشوف السويجاني

قصبة بعقلين	٧٢٣
الجديده	٧٠
السمقانية عين النور	١٠١
عينبال	١٦٤
عترين	١١٥
غريفة	٤٤٩
مزرعة الشوف	٤٨٨
مزرعة الكحلونية	٨٩
المجموع	٢١٩٩

ب) ناحية الشوف الحيطي

باتر	٢٣٩
نيحا	٤٢١
جباع	١٤١
بعدران	٢٤٩
مرستي	٧٢
عين قنيا	١٦٢
عماطور	٣٧٦
حارة جندل	١١٦
بطمة	١٨٩
خريبة	١٤٤
المختارة	٢٥٣
معاصر الشوف	٤٧٩
المجموع	٢٨٤١

ج) ناحية العرقوب الأعلى

عين زحلتا	١٨٦
بمهرين	٢٥٢
أغميد	١٠٧
الورهانية	٥٥
مزرعة كفرا	٣
المجموع	٦٠٣

د) ناحية العرقوب الشمالي

عين داره	٣٢٢
العزّونية	٤٨
كفرنيس	٧٤
مجدل معوش	٢٨٨
مزرعة الشميسة	
مزرعة الجبال	٩
وادي الست	٦٩
البيرة وخريبة	٥٣
مزرعة بوارج	١٠
الشاكرية التحتا	١٠
المريجات	٢٢
المجموع	٩٠٥

هـ) ناحية العرقوب الجنوبي

بتلون	١٨٠
باروك	٤١٢
فريديس	١٨٠
عين عزيمة	٢٦
كفرنبرخ	٢٢٦
بريح	١٥١
عين وزين	١٣٢
مزرعة الفواره	٤٦
المجموع	١٤٢٣

و) نـاحيـة الغرب الأقصى

الشويفات	١٣٦٨
مزرعة عين كسور	٦٦
الفساقين	٤١
عرمون	٤٤٦
مزرعة سرحمول	٤٣
بشامون	٣٠٢
دير قوبل	١٥٤
عين عنوب	٣٤٩
المجموع	٢٧٦٩

ز) ناحية غرب النصارى

بمكّين	١٠٥
القماطية	٩٣
مزرعة عين الرمانة	٦٠
بخشتيه	٣٦
عين الجديدة	٢٠
الكحالة ورجّوم	١٩١
بسوس	٢٣٦
مزرعة حارة سليم	٢٣
بدادون	١٧٠
حومال	٩٧
مزرعة بليبل	٦٩
دفون	٨٣
رمحالا	١٥١
مزرعة الرجة	١٨
سوق الغرب	١٠٧
مزرعة بحواره	٦٠
المجموع	١٥١٩

ح) ناحية الغرب الدرزي

عاليه	٤٠٥
كيفون	٢٤
عيناب	١١٣
شملان	٥٧
عيتات	١٧٣
بيصور	٢٣٣
مجدليا	١٩٧
الغابون	٩٤
المجموع	١٢٩٦

ط) ناحية جرد النصارى

بحمدون	٥٢٢
كفرعميّه	١٥٨
بطلّون	٦٥
مزرعة حب الرمان	١٨
عين الفرديس	٢٠
عين الجوزة	٦
عين الرمانة	٦٤
مزرعة سلفايا	١٢
عين الحلزون	٥٣
التاغرانية	٣٣

النهري	١٧
مزرعة المغارة	١٨
رشميا	٥٠٩
شرتون	٢٦٨
مزرعة مرج شرتون	١٤
رويسة النعمان	١١٠
عين تراز	٩٠
مزرعة شوريت	٥٠
بسرّين	٣٧
عين مرعي	٢٨
المجموع	٢٠٩٢

ي) ناحية الجرد الدرزي

شانيه	٩٣
بتاتر	٤٣٢
العزونيّة	٢٧
مجدل بعنا	٢٠٣
شارون	٢٦٠
مزرعة وطى شارون	٢
بدغان	
وادي بدغان	١٠٨
المشرفه	٩٨
الرملية	١٣٣
المجموع	١٣٦٦

ك) ناحية المناصف

كفرقطره	١٧٨
دير بسينا	٥٠
الكنيسة	٥٦
عمّيق	٤٤
مزرعة دير كوشة	٤٢
مزرعة كفرحمل	٣٤
بشتفين	١٥٢
كفر فاقود ومزرعة	
بحيري وجران	١٨٧
قرية دير بابا	٩٦
مزرعة الطيبه	٤
غابة جافيار	٧
كفرحيم	٧٤
دميت	٣٦
بنواتي	٢٧
وادي بناحليه	٣٥
سرجبال	١٤
بقيعة	٥
الجاهلية	١٤٤
المجموع	١١٥٨

ل) ناحية الشحار

كفرمتى	٣٧٢
عبيه	٤٣٨
بنيّه	١١٢
مزرعة تقي الدين	١٠
عين درافيل	٨٠
الجليلية	٣٠
قرية دقون	١٢٨
بعورتا	٨٦
البوم	٧٠
معلقة الدامور	٤٣٥
الناعمة	٧٨
مزرعة فتوحات الناعمة	٨٥
سلفايا ومزرعة العتيقة	١٩٤
المجموع	٢١١٠

م) ناحية اقليم الخروب

بسابا	١٠٦

مزرعة الحجاج	٧
الزهور	٤
خربة	٨
جدرا	٥٣
حارة السدة	٢٨
الزيات	١٣
بكيفا	٤٤
مزرعة دير المخلص	٦
مزرعة دير بابا	٥
جون	٢٤٩
البرغوتية	٢٢
حصروت	٨٨
عانوت	١٨٤
داريا	١١٢
الزعرورية	١١٢
مزرعة عين الحور	١٨
بنمري	٨
بكشتين	١١
البرجين	١٠١
الدبيه	١٥٣
مزرعة المشيه	٤
عين الاسد والشميس	٢٤
الجية والمقصبة	١٥٦
قرية برجا	٤١٩
بعاصير	١١١
مزرعة المرج	٧
ضهر المغارة	٣
مزرعة شمعرين	٨
بزنيا	١٤
مزارع صغيرة	١٤
	٤
	١١٠
	٦٤
	٤١
مجدلونا	٦٤
الجميلية	١٧
اسكندرونة	٦
المشرفه	١٢١
الرميلة	١١٩
الوردانية	٥٩
كترمايا	١٧٦
مزبود	١٢٨
دهون	٤٢
شحيم	٥٩٨
وادي الزينة	١٥
مزرعة المحتقرة	٣١
الكرايكة	٩
وادي بسري	٤
المجموع	٣٦٩٣

٦) قضاء جزّين

أ) ناحية جزّين

جزين	٧٢٠
روم	١٤٥
وادي جزين	١٢٥
مزرعة الطيّونة	٧
ريمات	٤
كفرحونة	٣٢٠
بكاسين	٣٩٤
عاريا	٧٢
حرف الداكن	٦
حيداب	٣٣
كرخا	٤١
شقاديف	١١
دير المزيرات	٢٠
مزرعة بحنين	٣١
الغبّاطية	٣
رخا	٣

النهري	١٧
مزرعة المغارة	١٨
رشميا	٥٠٩
شرتون	٢٦٨
مزرعة مرج شرتون	١٤
رويسة النعمان	١١٠
عين تراز	٩٠
مزرعة شوريت	٥٠
بسرّين	٣٧
عين مرعي	٢٨
المجموع	٢٠٩٢

ي) ناحية الجرد الدرزي

شانيه	٩٣
بتاتر	٤٣٢
العزونيّة	٢٧
مجدل بعنا	٢٠٣
شارون	٢٦٠
مزرعة وطى شارون	٢
بدغان	
وادي بدغان	١٠٨
المشرفه	٩٨
الرملية	١٣٣
المجموع	١٣٦٦

ك) ناحية المناصف

كفرقطره	١٧٨
دير بسينا	٥٠
الكنيسة	٥٦
عمّيق	٤٤
مزرعة دير كوشة	٤٢
مزرعة كفرحمل	٣٤
بشتفين	١٥٢
كفر فاقود ومزرعة	
بحيري وجران	١٨٧
قرية دير بابا	٩٦
مزرعة الطيبه	٤
غابة جافير	٧
كفرحيم	٧٤
دميت	٣٦
بنواتي	٢٧
وادي بناحليه	٣٥
سرجبال	١٤
بقيعة	٥
الجاهلية	١٤٤
المجموع	١١٥٨

ل) ناحية الشحار

كفرمتى	٣٧٢
عبيه	٤٣٨
بنيّه	١١٢
مزرعة تقي الدين	١٠
عين درافيل	٨٠
الجليلية	٣٠
قرية دقون	١٢٨
بعورتا	٨٦
البوم	٧٠
معلقة الدامور	٤٣٥
الناعمة	٧٨
مزرعة فتوحات الناعمة	٨٥
سلفايا ومزرعة العتيقة	١٩٤
المجموع	٢١١٠

م) ناحية اقليم الخروب

بسابا	١٠٦

مزرعة الحجاج	٧
الزهور	٤
خربة	٨
جدرا	٥٣
حارة السدة	٢٨
الزيات	١٣
بكيفا	٤٤
مزرعة دير المخلص	٦
مزرعة دير بابا	٥
جون	٢٤٩
البرغوتية	٢٢
حصروت	٨٨
عانوت	١٨٤
داريا	١١٢
الزعرورية	١١٢
مزرعة عين الحور	١٨
بنمري	٨
بكشتين	١١
البرجين	١٠١
الدبيه	١٥٣
مزرعة المشيه	٤
عين الاسد والشميس	٢٤
الجية والمقصبة	١٥٦
قرية برجا	٤١٩
بعاصير	١١١
مزرعة المرج	٧
ضهر المغارة	٣
مزرعة شمعرين	٨
بزنيا	١٤
مزارع صغيرة	١٤
	٤
	١١٠
	٦٤
	٤١
مجدلونا	٦٤
الجميلية	١٧
اسكندرونة	٦
المشرفه	١٢١
الرميلة	١١٩
الوردانية	٥٩
كترمايا	١٧٦
مزبود	١٢٨
دلهون	٤٢
شحيم	٥٩٨
وادي الزينة	١٥
مزرعة المحتقرة	٣١
الكرايكة	٩
وادي بسري	٤
المجموع	٣٦٩٣

٦) قضاء جزّين

أ) ناحية جزّين

جزين	٧٢٠
روم	١٤٥
وادي جزين	١٢٥
مزرعة الطيّونة	٧
ريمات	٤
كفرحونة	٣٢٠
بكاسين	٣٩٤
عاريا	٧٢
حرف الداكن	٦
حيداب	٣٣
كرخا	٤١
شقاديف	١١
دير المزيرات	٢٠
مزرعة بحنين	٣١
الغبّاطية	٣
رخا	٣

غبالة	٩
القبع	٣٦
مزرعة الشاخة	٩
خرايط صباح	٣٠
الميدان	٢٦
مشموشة	١٦
جل ناشي	٢
تعيد	٨
بيت الدين اللقش	٥٥
ماروست البرانيه	١٠
قرية بنواتي	٨٤
الكفر	٢٢
مزرعة عين الشقرا	١٢
جوار الصوص	٤
سنيا	٨٢
البابا	٧
ماروست الجوانية	٤
اناان	٢٣
قرية قطَين	٥٩
صفاريه	٦٧
داريا	٣٣
قلعة الحسن	
وروس الفرنج	٧
مليخ لويزة	١٣٢
الحسين	٤٠
المسخنة	٢٢
صيدون	٦
بسري	٢٩
عازور	١١٤
دير مشموشة	٢٦
مراح المكنونية	٤٦
قتالة	٤٦
حيطورة	٥٥
قرية قيتولي	٢٣٤
المجموع	٣٢٩٦

ب) ناحية اقليم التفاح

كفرفالوس	٧٤
الصالحية	١٥٨
بيرتي	١٤٣
بعنقودين	٦٠
مزرعة الشواليق	٣٢
كفر جره	٦٧
قرية لبعا	١٠٠
وادي الليمون التحتا	١٣
وادي الليمون الفوقا	١٦
مراح قيزان	٤
قتالي	٣٤
كفر شلال	١٦
بيصور	٢٥
كفر تعلا	٥٤
المغرتية	١٤
الاصطبل	١٨
الهلالية	٤٩
الجرمق	٧٠
درب السيم	١٦٠
مزرعة جنسنايا	٣٩
العريض	٩
النبابية	٥
البيرانية	٣٠
مجدليون	٤٦
مغدوشة (نصف هذه القرية تابع لصيدا)	٧٦
زغدرايا	٢٦
عين الدلب	٣٦
مراح بو شديد	٣٩
عبرا	٥٣
وادي بعنقودين (نصفها تابع لصيدا)	١٨
الميه وميه	٧٩
كفر جره	٤٤
حسانية الفوقا	٢١
حسانية التحتا	١١
المجموع	١٦٣٩

ج) ناحية جبل الريحان

العيشية	٢٨
الوردية	٦
الوازعية	١٨
غرمتى العرقوب	١٥٠
الجرمق	٦٩
مزرعة السويرة	٢٢
اللويزة	٣
حيتولة	١٦
الريحان	١٧٠
مزرعة القطراني	١٣
سورتي وخازن	٧
قروح وشبيل	٥
المجموع	٥٠٧
مجموع سكان قضاء جزين	٥٤٤٢

٧) قضاء زحلة

مدينة زحلة وضواحيها	٤٢٦٢
المجموع	٤٢٦٢

٨) ناحية دير القمر التابعة للادارة المركزية

دير القمر	١٠٣٩
بيت الدين	١٧٦
معاصر بيت الدين	٣١
وادي الدير	٢٦
مزرعة بعقلين	١٦
دير دوريت	٧٢
المجموع	١٣٦٠

المجموع العام

الكورة	٦٠١٠
البترون	١٥٦٩٦
كسروان	١٩٩٩٥
المتن	٢٣١٦١
الشوف	٢٤٠٠١
جزين	٥٤٤٢
زحلة	٤٢٦٢
دير القمر	١٣٦٠
المجموع	٩٩٩٢٧

توزيع السكان الذكور في جبل لبنان وفقاً لمعتقداتهم الدينية في الأقضية

١) الارثوذكس	
الكورة	٤٤٨٣
البترون	١١٣٨
كسروان	٥١٩
المتن	٤٩١٣
الشوف	٢٣٤٣
جزين	—
زحلة	٥٨١
دير القمر	—
المجموع	١٣٩٧٧

٢) روم كاثوليك	
الكورة	—
البترون	٢٢٧
كسروان	٢٩٢
المتن	١٦٤٤
الشوف	١٨٩٧
جزين	١٥٢٠
زحلة	٢٩٤٦
دير القمر	١٨٠
المجموع	٨٧٠٦

٣) الموارنة	
الكورة	٦٠١
البترون	١٣٤١٣
كسروان	١٧٢٣٣
المتن	١٣٨١٥
الشوف	٧٣٧٨
جزين	٣٠٩١
زحلة	٦٨٤
دير القمر	١١٦٢
المجموع	٥٧٣٧٧

٤) الدروز	
الكورة	—
البترون	—
كسروان	—
المتن	٢٤١٨
الشوف	٩٨٢١
جزين	٢٥
زحلة	—
دير القمر	١٤
المجموع	١٢٢٧٨

٥) المسلمون السنّة	
الكورة	٥٣٩
البترون	١٦٦
كسروان	١٩٥
المتن	١٨
الشوف	٢١٣٧
جزين	١٧٦
زحلة	٣٦
ديس القمر	—
المجموع	٣٢٦٧

٦) المسلمون الشيعة	
الكورة	٢٠
البترون	٩٥٢
كسروان	١٧٤٩
المتن	٤١٤
الشوف	٢٧٢
جزين	٧٢٠
زحلة	١٥
دير القمر	—
المجموع	٤١٤٢

٧) بروتستانت		المجموع العام	
الكورة	—	ارثوذكس	١٣٩٧٧
البترون	—	روم كاثوليك	٨٧٠٦
كسروان	٧	موارنة	٥٧٣٧٧
المتن	٣٧	دروز	١٢٢٧٨
الشوف	١٣٦	مسلمون سنة	٣٢٦٧
جزين	—	مسلون شيعة	٤١٤٢
زحلة	—	بروتستانت	١٨٠
دير القمر	—		
المجموع	١٨٠	المجموع	٩٩٩٢٧

تدل الجداول المشار إليها آنفاً أن الموارنة يتفوقون في عددهم على جميع الطوائف الأخرى القاطنة في جبل لبنان. فمن أصل ٩٩٩٢٧ نسمة هم مجموع عدد السكان الذكور في جبل لبنان وفقاً لإحصاء عام ١٨٦٢ الرسمي هناك ٥٧٣٧٧ نسمة من الموارنة، أما العدد الباقي فيتشكل منه مجموع الارثوذكس والدروز والروم الكاثوليك والشيعة والمسلمون السنّة. وعلى أساس عدد السكان يفترض أن يحتل الارثوذكس المرتبة الثانية بعد الموارنة. لكنهم، باستثناء الكورة، لا يشكلون في أي قضاء آخر تجمعاً كبيراً لأنهم مشتتون ويعيشون مختلطين بالطوائف الأخرى. أما الدروز فرغم عددهم القليل، إلّا أنهم بالنظر إلى الدور الذي كانوا يلعبونه في جبل لبنان في وقت سابق وبفضل زعمائهم أصحاب الأملاك الزراعية الغنية والشاسعة، وبفضل روح التعاون التي يتميزون بها، يشكلون الطائفة الأقوى والأكثر نفوذاً بعد الموارنة. ففي جبل لبنان الآن تياران سياسيان رئيسيان أو معسكران متعاديان: فمن جهة يقف الموارنة بزعامة بطريركهم مع عدد كبير من الأمراء الشهابيين (وهم مسلمون سابقون) وأبي اللمع (دروز سابقون)، ومن جهة أخرى يقف الدروز بزعامة الأمراء من آل ارسلان وأغنياء جنبلاط مع عدد كبير من شيوخ العائلات الاقطاعية العريقة التي اتحدت مؤخراً.

لم يتمكن الموارنة في عام ١٨٦١ من الحصول على منصب الحاكم العام أو المتصرف

بزعامة أمير ماروني من آل شهاب يحكم جبل لبنان، فأخذوا يعملون على احتلال أفضل المناصب في الإدارة اللبنانية وبذلك يفرضون نفوذهم القوي على المتصرف.

أما الدروز فلم يصل بهم طموحهم لدرجة التفكير بالتفرد في حكم جبل لبنان، لكنهم أخذوا يعملون على منع الموارنة من تحقيق أهدافهم ويحاولون ما أمكنهم شل نفوذ الموارنة في الادارة اللبنانية أو فرض نفوذ درزي مماثل ومواز لنفوذهم.

حتى ١٨٦١ لم يلعب الارثوذكس أي دور سياسي في جبل لبنان ولا طموح لهم الآن أيضاً للسيطرة. ويكمن دورهم الأساسي في المحافظة على حقوقهم وامتيازاتهم التي اعترف لهم بها نظام جبل لبنان وعدم السماح بأي اعتداء عليهم من قبل الدروز والموارنة، لا سيما الموارنة الذين يعتبرون جبل لبنان وطناً خاصاً بهم. ويتحدد الدور الاساسي للارثوذكس في جبل لبنان على أساس حماية روسيا لهم وموقعهم في النزاع القائم بين الموارنة والدروز إذ لا يمكن لأي منهما أن يتجاهل صداقة الارثوذكس أو عداءهم له.

أما الروم الكاثوليك، فرغم أنهم أقل عدداً من الارثوذكس ولا يتمتعون بثقة الموارنة ولا الدروز، إلّا أن لهم نفوذاً في الإدارة اللبنانية يفوق نفوذ الارثوذكس، ويُعزى ذلك إلى زعمائهم الروحيين وإلى العدد الكبير من المثقفين وذوي الكفاءة في أوساطهم.

ويتمتع الشيعة والمسلمون السنّة في جبل لبنان بحقوق وامتيازات متساوية للطوائف الأخرى، لكن تأثيرهم ضعيف على مجرى التحرك العام للأمور في جبل لبنان. وليست لهم أية طموحات سياسية خاصة لكنهم يميلون إلى الدروز أكثر مما يميلون إلى المسيحيين.

أما البروتستانت فإن العدد الأكبر منهم كان من أوساط الروم الارثوذكس إذ تمكّنت البعثات الأميركية والانكليزية من استمالتهم عن طريق المدارس والاعانات المالية. لكنهم لم يشكّلوا حتى الآن طائفة دينية خاصة في جبل لبنان وليست لهم أهمية سياسية في الإدارة المحلية.

ومنذ عام ١٨٦٢ لم يجر في جبل لبنان أي احصاء جديد لعدد السكان. وحتى يومنا هذا لا تزال الإدارة تعتمد الأرقام التي كانت تحدد آنذاك عدد السكان الذكور عند تحصيل ضريبة النفوس.

وفقاً للمعطيات التي زوّدني بها المتصرف رستم باشا وبعض موظفي إدارة المتصرفية،

ظل عدد سكان جبل لبنان يتزايد خلال السنوات العشرين المنصرمة بنسبة ٢٪ بفضل النظام والهدوء المستتبّين. وقد بلغ الآن ٢٨٠,٠٠٠ نسمة من كلا الجنسين.

ويتوزع هذا العدد وفقاً للطوائف الدينية على الشكل التقريبي التالي:

الطائفة	العدد	
موارنة	١٦٨٥٠٠	نسمة
ارثوذكس	٣٩٥٠٠	نسمة
دروز	٣٠٠٠٠	نسمة
روم كاثوليك	٢٢٠٠٠	نسمة
مسلمون شيعة	١١٣٠٠	نسمة
مسلمون سنّة	٨١٠٠	نسمة
بروتستانت وأرمن	٦٠٠	نسمة
المجموع	٢٨٠٠٠٠	نسمة

لقد ازداد عدد الدروز بنسبة ضئيلة بالمقارنة مع الطوائف الأخرى اذ بعد تحطيم النظام الاقطاعي انتقل جزء كبير من أملاك الدروز إلى أيدي المسيحيين ولا سيما إلى أيدي أغنياء بيروت. ولذلك فإن عدداً كبيراً من العائلات الدرزية لا تزال تنزح سنوياً إلى حوران والجولان للبحث عن وسائل العيش في أراضٍ صالحة للزراعة وخصبة أكثر من أراضي جبل لبنان.

وأخذ المسيحيون والموارنة بشكل خاص يغادرون جبل لبنان أيضاً للبحث عن وسائل العيش في مدن الساحل وفي دمشق حيث عملوا في خدمة المنازل والمهن المختلفة والحرف الصغيرة. ففي بيروت وحدها بلغ عدد العاملين في المنازل أربعة آلاف خادم وخادمة من مسيحيي جبل لبنان. ويشاهدون أيضاً في مصر حيث يعملون في تجارة التبغ، وفي منطقة عكار ووادي البقاع حيث يستأجرون الأرض ويستغلونها، وحيث يبلغ عددهم أكثر من ٢٥٠٠ شخصاً.

يرتدي اللبنانيون، من مسيحيين وغير مسيحيين، الملابس ذاتها ولا فارق بينهم في ذلك.

ولا يتميَّز داخل الدروز إلّا الشيوخ العُقّال الذين يرخون ذقونهم ويعتمرون العمائم البيضاء وربطة الرأس ويرتدون القمباز المخطط بالأبيض والأسود. أما الدرزيات فلا يتميّزن بملابسهن عن المسيحيات ولكنهنّ يغطين وجوههن بالخمار أو بكم الثوب عندما يلتقين بغريب، لا سيما إذا كان من المسيحيين. ولا يحتفظ الدروز بأجنحة خاصة في منازلهم «للحريم» كما يفعل المسلمون، لكن الطلاق عندهم مسموح ويتم بسهولة، أما تعدد الزوجات فممنوع. والدرزيات إذا خرجن من البيت، مهما كان الداعي لذلك، يطلبن الإذن من رجالهن الشرعيين الذين لا بد أن يجيبوا «اذهبي وعودي». ومن أجل طلاق الزوجة يكفي أن لا يتلفظ الزوج بالنصف الثاني من الجملة أي أن يقول «اذهبي» ولا يتبعها بكلمة «وعودي» حتى يتم الطلاق.

الأوضاع الاقتصادية لمتصرفية جبل لبنان

١ ـ الزراعة

توزع الملكية العقارية في المتصرفية

بعد الاصلاح الذي أدخله نظام ١٨٦١ تحددت ملكية الأرض في جبل لبنان ضمن شكلين فقط هما: **الاملاك الاميرية** (بكاليك) التي تعود للحكومة وتتكون من الأراضي المشاع التي لم يمتلكها أحد أو المصادرة من قبل الحكومة بعد الكوارث والنزوح، **والأملاك الخاصة** (الملك) التي تعود للأديرة والكنائس والأمراء والشيوخ والسكان.

كانت معظم الأملاك والقرى الأميرية منتشرة في قائمقامية الكورة الارثوذكسية ثم في قائمقاميتي البترون وكسروان المارونيتين. ففي الكورة تعتبر بكاليك بالكامل كل من قرى بشمزّين وبطرّام وفيع وأنفه وزكرون ودار بشمزين ودير بعشتار وبزيزا وكفرقاهل. وتعتبر نصف بكاليك أي أن ملكيتها تعود للحكومة وللأهالي كل من قرى كفر عقّا وبدبّا وبترومين وبصرما وبكفتين والهري وبدنايل وراس نحاش وكفر حتّى وبتعبورة واجد عبرين.

وفي البترون تعتبر نصف بكاليك أيضاً قرية مجدليا بكاملها وجزء من مزرعة بيت شلالا. ويعتبر بكاليك قضاء الهرمل بكامله.

وفي كسروان تعتبر بكاليك قرية شمسطار وعدة مئات من أشجار الزيتون في قرية عين كفاع حيث هناك عدد من أشجار الزيتون التابعة للحكومة التي تحصل على ثلاثة أرباع المحصول في حين يحصل المنتفعون بالأرض على الربع الباقي.

وتنقسم البكاليك إلى نوعين: حقول زراعة القمح والتبغ، وبساتين الأشجار المثمرة. وتنقسم بساتين الأشجار بدورها إلى ثلاث فئات: أ) البساتين التي تضم أشجار الزيتون

والتوت والسفرجل والعنب وغيرها، وهي ملك للحكومة. ب) البساتين التي تعود ملكيتها إلى الحكومة والأهلين بالمشاركة. ج) البساتين التي يملكها الأهلون وحدهم.

يعتني مفتشو البكاليك بمزارع الفئة الأولى وفلاحتها وزراعتها لحساب الخزينة ويعود مدخولها للحكومة ويعرض محصولها للبيع بواسطة مجلس جبل لبنان الإداري. على أن هذا النوع من المزارع قليل الحجم ودخل الخزينة منه لا يتجاوز العشرين ألف قرش في السنة. أما انتاج مزارع الفئة الثانية فيعرض للبيع وتكون الافضلية في ذلك للمشترين المحليّين ثم الغرباء. وربع هذا الانتاج يعتبر ملكاً للحكومة والارباع الثلاثة الباقية من حق الأهلين الذين يتحملون جميع النفقات وخدمات العناية بالأرض وفلاحتها. ويُمنع على الأهلين غرس أية نباتات أو أشجار في أراضي هذه الفئة من المزارع.

وبساتين الفئة الثالثة وحقولها هي ملك خاص للأهلين الذين يستطيعون نقل ملكيتها أو تحويلها بالميراث أو عن طريق البيع بواسطة تحرير المحاضر في المجلس الإداري لجبل لبنان مع الزامهم بدفع خراج سنوي محدّد قيمته ١٨,٧٥ قرشاً عن كل مئة شجرة زيتون، و١٥ قرشاً عن كل مئة شجرة فاكهة، و٧,٥ قروش عن كل مئة شجر توت، و٣,٧٥ قرشاً عن كل مئة عريشة عنب. ولا يدفع الأهلون أية ضرائب أخرى من هذا النوع.

أراضي البكاليك المحروثة هي بتصرف الأهلين الذين لهم الحق بفلاحتها واستغلالها وفقاً لما يرونه مناسباً، على أن يدفعوا لقاء ذلك سُبع ($\frac{1}{7}$) منتوجها للخزينة. كما يؤخذ السُّبع كذلك من مشاتل التبغ.

وتدفع ضريبة الخراج أثناء عملية الشراء السنوي في سوق المزاد العلني التجاري ويتوقف مقدار دخلها على مدى جودة المحصول أو سوئه. ويصل دخل املاك الخزينة (البكاليك) من الأقضية الثلاثة: الكورة والبترون وكسروان في العادة كل عام إلى ٣٥٠٠ قرشاً عثمانياً أو ٧٠٠ كيس. وهذا المبلغ كان يدخل خزينة ادارة جبل لبنان من أصل حساب المبالغ المتوجبة من الباب العالي وفقاً لنظام جبل لبنان والتي تصل إلى ٣٥٠٠ كيس أو ١٧٥٠٠ ليرة عثمانية. وباستثناء القرى الأميرية المذكورة أعلاه (البكاليك) فإن كل الأموال غير المنقولة الأخرى في جبل لبنان هي بأكملها أملاك خاصة (مُلك) يمكن أن تنتقل بالميراث وأن تباع وتُشترى.

يتمتع ملاكو الأراضي في جبل لبنان بجميع حقوق الملكية الفردية الخاصة المستقلة وغير المقيدة ولا تخضع لأي ابتزاز مالي أو أية فروض اجبارية باستثناء ضريبة الأرض القائمة على

أساس نظام الدرهم المعمول به.

كما أن كل الأملاك غير المنقولة في جبل لبنان، سواء كانت تخص الأهلين من مُلاك الأراضي الأغنياء أو تخص الأديرة أو الكنائس، هي متساوية في حقوق الملكية ولا تتميز عن بعضها إلاّ من حيث علاقة المحاصصين بأصحاب الأملاك.

على كل حال، إن كل فرد تقريباً من سكان جبل لبنان يملك بيتاً للسكن وقطعة صغيرة من الأرض يزرعها قمحاً أو يستغلها في زراعة الأشجار. وهناك عشرة بالمائة (١٠٪) من سكان جبل لبنان لا يملكون أرضاً لكنهم يعملون في فلاحة أراضي الغير بصفة محاصصين أو مزارعين عند أصحاب الأملاك الفردية أو في مزارع الأديرة أو عند الأمراء والمشايخ الأغنياء على أساس عقود طوعية.

تنقسم هذه الفئة من المزارعين إلى شريحتين: الأولى شريحة المزارعين الذي يفلحون أرض الغير ولهم الحق بنصيب معيّن لا يتجاوز الربع. والثانية تلك التي تفلح الأرض المملوكة كلياً من قبل أصحاب الأرض. في الحالة الأولى للمزارع أو المحاصص المشارك الحق بأن يتملك ربع المنزل الذي يسكنه وربع الأرض أو المزرعة التي يفلحها. وفي الحالة الثانية يعتبر عاملاً بسيطاً يحق لصاحب الأرض أن يطرده متى يشاء إلاّ في أوقات جمع المحصول ما لم يكن بينهما عقد ينص على تحديد المدّة.

إذا كان المزارع يملك الربع فله الحق بربع المنتوج أو المحصول بالإضافة إلى ربع آخر لقاء عمله في الحقل مما يعني أن يقسّم مناصفة بينه وبين صاحب الأرض. والمزارع من هذه الفئة ملزم بأن يدفع نصف ضريبة الأرض ونصف تكاليف بذور دود القز وربع نفقات المزارع الجديدة وغرس الحقول والكروم الجديدة. كما انه يتحمل كامل المسؤولية عن تنظيف الأرض وحرثها وريّها دون أن يكون له أي حق بتعويض مالي من جانب صاحب الأرض. لكنه مع ذلك يستفيد وحده من أوراق شجر التوت في الخريف كما يحصل على ما يتبقّى من أغصان التوت المعد لدود القز. ويفلح المستأجرون الأرض بمحاريثهم وأبقارهم. وإذا لم تكن لديهم المحاريث والأبقار فهم ملزمون باستئجارها على حسابهم. ولا يتحمل صاحب الأرض نفقات تسميد الأرض إلاّ في حالة عدم توفُّر المواشي الكافية عند المزارع. والمستأجر مسؤول أيضاً عن إصلاح السياج وابدال الأشجار المسوسة واليابسة بنصوب جديدة وتقع على عاتقه جميع الأعمال الصغيرة التي لا تتطلب من الأيدي العاملة أكثر من شخصين أو ثلاثة. إذا

كانت تلك الأعمال كبيرة فإن صاحب الأرض يدفع ثلاثة أرباع النفقات المطلوبة. كما يأخذ صاحب الأرض على عاتقه بناء اخصاص لتربية دود القز. أما أشجار الفاكهة فيمتلكها كل من أصحاب الأرض والمزارعين العاملين فيها بالمناصفة. ويحق للمحاصص زراعة الخضار في أراضي البساتين بعد موافقة صاحب الأرض وفي مثل هذه الأحوال يدفع مالك الأرض نصف قيمة البذار ويكون له الحق في نصف مردودها.

لا يستطيع مالك الأرض أن يفصل الشريك بالملكية إلّا إذا وافق هذا الأخير أن يبيعه حصته أو في حالة القسمة بالتراضي على أن تصدر المبادرة عن مالك الأرض نفسه.

أما الشركاء الذين يشكلون الشريحة الثانية ليس لهم نصيب في ملكية الأرض ويطلق عليهم اسم شراكة المساقاة، وهم يعقدون اتفاقات مع ملاّكي الأرض لآجال محددة. وتخمّن انتاجية أشجار التوت على أساس «الحمل» أي حملة من ورق التوت. وعندما يباشر المزارع عمله في الأرض عليه أن يدفع لصاحبها مقدماً مبلغاً معيناً يتراوح بين ٥ و٢٥ قرشاً عن كل حملة من ورق التوت. وهو ملزم بحراثة الأرض وري البساتين والقيام بكل الأعمال الأخرى على حسابه بالإضافة إلى تربية دود القز ويحصل لقاء ذلك على نصف محصول الشرانق وثمار الأشجار بعد أن يدفع نصف ضريبة الأرض وتكاليف بذور دود القز ويتحمل مزارعو هذه الشريحة مسؤولية مماثلة للشركاء في ملكية الأرض من أعمال حراثة وخدمات أخرى في المزارع.

وعند انتهاء مدة العقد تعود المزرعة إلى المالك من جديد فيجري تخميناً جديداً لمحتوياتها بواسطة المخمنين ويعيد للمزارعين الذين عملوا فيها كل المبلغ الذي دفعوه عند توقيع العقد مع الأخذ بعين الاعتبار ارتفاع مدخول المزرعة أو انخفاضه خلال الفترة الزمنية المنصرمة.

وفي جبل لبنان أيضاً شريحة ثالثة لهذا النوع من المزارعين تنال ثلث الانتاج أو شركاء الثلث. وعند التحاق هذا الشريك بالمزرعة لا يدفع أية مبالغ مقدماً ولكنه ملزم بدفع ثلث ضريبة الأرض وكل تكاليف بذور دود القز وحراثة الأرض وريها والقيام بكافة أعمال الزراعة لقاء الحصول على ثلث المحصول فقط بالإضافة إلى أوراق شجر التوت في الخريف وبقايا عيدان دود القز. هذا النوع من الاستئجار يطبّق بالنسبة لبساتين الزيتون أكثر مما يعمل به بالنسبة لأشجار التوت.

وهناك مزارعون مرابعون يختصون بتربية دود القز. وهم يدفعون لمالك المزرعة ربع ثمن

دود القز ويهتمون بتربيته، على أن يحصلوا لقاء ذلك على ربع المحصول وهم غير ملزمين بالقيام بأي عمل آخر في المزرعة باستثناء سقي أشجار التوت إذا تبيّن أن ذلك ضروري. وتستخدم هذه الطريقة أيضاً عند ضمان بساتين الزيتون حيث يحصل المزارع على ربع المحصول ويلتزم لقاء ذلك بخدمة الأرض والقيام بكل أعمال الحراثة وجمع المحصول الذي تعود ملكيته إلى صاحب الأرض الذي يقوم عادة بواسطة الخبراء بتخمين محاصيل بساتين الزيتون قبل البدء بجمعها ببضعة أيام. ويجب على المزارع الضامن وفقاً لهذا التخمين أن يوزع المحصول بينه وبين المالك مع تحمله منفرداً كل أعمال عصر الزيتون للحصول على الزيت.

أما فيما يختص بالأراضي المعدّة لزراعة القمح والشعير وغيرهما من الحبوب فإن هناك طريقتين لاستئجار الأرض: الطريقة الأولى أن يؤمّن المزارع العامل البذار اللازم للزرع، وله الحق بثلثي المحصول. والثاني أن يؤمن صاحب الأرض البذار ثم يقسّم المحصول مناصفة بينه وبين المزارع بعد حسم كمية البذار. وفي الحالتين يتحمل المزارع جميع أعمال الزراعة والحصاد وغيرها على أن يدفع مالك الأرض الضريبة العادية.

إن غالبية أراضي جبل لبنان مغطاة بمزارع أشجار التوت وهي تزيد في مساحتها على الأراضي المخصصة لزراعة القمح وغيره من المزروعات. وتتوقف الانتاجية على نوعية التربة وخصوبتها ففي وادي البقاع حيث تشتهر الأرض بالخصوبة يعطي المد الواحد (المد مكيال يزن ستة أرطال أو ١٢ أقة) من الحبوب سبعة أمداد. أما في جبل لبنان فإن متوسط المحصول أربعة أمداد أو أقل في الأراضي البعلية التي تكثر فيها الحصى. إن بذر مد واحد من الحبوب يتطلب عادة مساحة دونم واحد من الأرض (أي ألف وستماية ذراع مربع) في السهل، أما في المناطق الجبلية فيتطلب حوالى ألفي ذراع مربع.

بالنسبة لأشجار التوت يكفي الحمل الواحد من ورق التوت عادة لتربية درهم واحد من دود القز. وهذا المكيال من البذور يعطي في المتوسط ما بين أقة أو أقتين من الشرانق. وفي المحصول الموفق تماماً يعطي ما بين ثلاث أو أربع أقات.

وعند بيع بساتين أشجار التوت يُخمَّن الثمن وفقاً لعدد «حملات» أوراق التوت ويتغيّر السعر على أساس إنتاجية الورق وخصوبة الأرض. وتقدر البساتين المرويّة بمياه الجر عادة بثمن أعلى وتباع على أساس مئتين إلى أربعماية قرش للحملة الواحدة.

ويعتبر القنطار أساساً لتخمين أشجار الزيتون فالقنطار الواحد يقدر بأربعمائة إلى خمسمائة قرش. وينتج القنطار الواحد من الزيتون في المعدل الوسطي حوالي ٧٠ أوقية من زيت الزيتون.

بعد فترة قصيرة من تصديق النظام الجديد الذي وضعته اللجنة الدولية في العام ١٨٦١ لجبل لبنان عينت لجنة خاصة لتخطيط حدود أراضي الجبل وتخمين الأملاك فيها. واتخذ تخمين البيوت والأراضي التي تقوم عليها المزارع والقدرة الانتاجية للحقول، قاعدة ثابتة لهذه العملية.

قام نظام المساحة على أساس العادة القديمة التي تعتمد وحدة الدرهم الذي يقسَّم إلى ٢٤ قيراطاً والقيراط إلى ٢٤ درهم. وعند التخمين يعتبر كل ١٢ كيلاً [الكيل مقياس للأراضي ومقياس للوزن أيضاً يساوي ستة أمداد أو ستة أرطال أو ١٢ أقة. وكل قنطار يساوي عشرين كيلاً] من الزيتون درهماً واحداً؛ كما تعتبر كل ١٢ حملة من ورق التوت درهماً واحداً. بالنسبة لحراثة الأرض تعتبر المساحة الكافية لزراعة ١٢ كيلاً من الحبوب درهماً واحداً. كما يعتبر درهماً واحداً مدخول كل ٣٦٠ قرشاً من الحدائق وأشجار الفاكهة والعنب وبساتين الخضار وما شابه ذلك. ويعتبر مدخول ١٥ قرشاً من النزل أو الخان أو الحانوت أو المطحنة قيراطاً واحداً.

في تلك الحقبة كانت انتاجية أراضي جبل لبنان تبلغ ١٢٥٢٣٨ درهماً و١٠ قراريط وفقاً للوائح التالية:

جدول يبين عدد السكان الذكور ونسبة ملكية الأراضي
في جبل لبنان على أساس الأقضية والمراكز الإدارية

	عدد السكان	درهم	قيراط
١) قضاء الكورة			
ناحية أميون	١٨١١	٢١٠٣	١٨
ناحية الكورة الوسطى	٢٥٨٢	٢٨٢٨	٥

تابع

	عدد السكان	درهم	قيراط
ناحية الكورة الشمالية	٧٢٥	٤٢٥٦	١٦
ناحية القويطع	٨٩٢	١٢٨٦	١٩
المجموع	٦٠١٠	١٠٤٧٣	٥٨
٢) قضاء البترون			
ناحية البترون السفلى	٣٣٨٦	٤٥٢٠	٢
ناحية البترون العليا	٢٥٧٩	٣١٤٤	—
ناحية بشرّي	٢١١٨	٢١٧٣	١٢
ناحية اهدن	٢٥٣٦	٢٩١١	—
ناحية قنات	١٣٧٥	١٩٥٥	—
ناحية حصرون	١٢٨٥	١٤٥٩	—
ناحية الزاوية والهرمل (بكاليك)	٢٤١٧	—	—
المجموع	١٥٦٩٦	٢١١٦٧	١٤
٣) قضاء كسروان			
ناحية غزير	١١٤٣	٣٦٠	٧
ناحية غوسطا	٢٤٩١	١٥٨٦	١٤
ناحية جرد كسروان	١٨٧٦	١٨١٩	١٨
ناحية الزوق	١٧١٠	١٣٦٦	٥
ناحية صربا (جونية)	١٤٢٠	٧٢٠	٧
ناحية الفتوح	٣٢٤٩	٣٠٣٢	١١
جبل المنيطرة	١٥٩٣	١٦٠٣	١٩
جبيل السفلى	٣٧٢٥	٣٧٠٣	١٨
جبيل العليا	٢٧٨٨	٣٠٠١	٣
المجموع	١٩٩٩٥	١٧١٩٤	١٩

تابع

	عدد السكان	درهم	قيراط
٤) قضاء المتن			
ناحية المتن الأعلى	٦٠١٠	٧١٠٧	—
ناحية المتن الشمالي	٤٩٥٢	٦٣٦١	—
ناحية القاطع	٤٢٥٨	٣٧٢٢	—
ناحية الشوير	٢٠٢٦	٧٦٥	—
ناحية بسكنتا	٢٣٥٨	١٧٢٨	—
ناحية الساحل	٣٥٥٧	٤٩٠٤	—
المجموع	٢٣١٦١	٢٤٥٧٨	—
٥) قضاء الشوف			
ناحية الشوف الحيطي	٢٨٤١	٣٢١٢	١٨
ناحية الشوف السويجاني	٢١٩٩	٣٢٥٢	٢
ناحية العرقوب الأعلى	٦٠٣	٥٨٨	٨
ناحية العرقوب الشمالي	٩٠٥	١١٩٨	١
ناحية الغرب الأقصى	٢٧٦٩	٦٨١١	١٢
ناحية غرب النصارى	١٥١٩	٢٨٤٥	١٤
ناحية الغرب الدرزي	١٢٩٦	٢٣٦٠	١٩
ناحية جرد النصارى	٢٠٩٢	٣٢٠٤	٦
ناحية الجرد الدرزي	١٣٦٦	٢٧٦١	٦
ناحية المناصف	١١٨٥	١٩٣٩	١٨
ناحية الشحار	٢١١٠	٤٨١١	٢
ناحية اقليم الخروب	٣٦٩٣	٦٩٠٥	٢٢
المجموع	٢٤٠٠١	٤١١٣٢	١٩

تابع

	عدد السكان	درهم	قيراط
٦) قضاء جزين			
ناحية جزين	٣٢٩٦	٣٨٢٧	١٩
ناحية اقليم التفاح	١٦٣٩	٢١٦٠	١
ناحية جبل الريحان	٥٠٧	١٥٠٦	—
المجموع	٥٤٤٢	٧٤٩٣	٢٠
٧) قضاء زحلة			
مدينة زحلة وضواحيها	٤٢٦٢	٢١٠٠	—
٨) ناحية دير القمر			
التابع للإدارة المركزية	١٣٦٠	١٠٨٧	—

	عدد السكان	درهم	قيراط
الحاصل: في الكورة	٦٠١٠	١٠٤٧٥	١٠
في البترون	١٥٦٩٦	٢١١٦٧	١٤
في كسروان	١٩٩٩٥	١٧١٩٤	١٩
في المتن	٢٣١٦١	٢٤٥٨٧	—
في دير القمر	١٣٦٠	١٠٨٧	—
في جزين	٥٤٤٢	٧٤٩٣	٢٠
في زحلة	٤٢٦٢	٢١٠٠	—
في الشوف	٢٤٠٠١	٤١١٣٢	١٩
المجموع	٩٩٩٢٧	١٢٥٢٣٨	١٠

ويقسم عدد الدراهم المذكور على الطوائف وفقاً للجدول التالي :

	درهم	قيراط
عند الموارنة	٦٢٦٤٢	١٧
عند الدروز	٣٠٠٥٣	١٨
عند الارثوذكس	١٤١٥٠	—
عند المسلمين السنة	٨٦٤٦	—
عند الروم الكاثوليك	٦٦٣٦	—
عند الشيعة	٢٩٢٠	—
عند الطوائف الأخرى	١٩٠٧	—
المجموع	١٢٥٢٣٨	١٨

ففي قائمقامية جزين المارونية بلغت قيمة الأملاك غير المنقولة ٧٤٩٣ درهماً يملك الدروز أكثر من نصفها وبالتحديد ٣٨٣٠ درهماً و٩ قراريط وهي أملاك خاصة لآل جنبلاط الأغنياء.

لقد أُجري إحصاء السكان الذكور وتقدير قيمة الأراضي وكافة الأملاك غير المنقولة في جبل لبنان في الفترة المذكورة بهدف خبيث لتحديد مبلغ ضريبة الأراضي وضريبة النفوس التي لا بدَّ أن تؤمِّن للخزينة مبلغ سبعة آلاف كيس أو ٣,٥٠٠,٠٠٠ قرشاً عثمانياً وهو المبلغ الذي يشكل، وفقاً لنظام جبل لبنان، الحد الأعلى للضرائب والأتاوات المباشرة المفروضة على المتصرفية. ومنذ ذلك الوقت لا شك أن عدد السكان الذكور قد تغير، كما يتبينَّ أعلاه، وتغيرت كذلك قيمة الأملاك العقارية. غير أن الإدارة اللبنانية لا تزال تأخذ بالأرقام السابقة إيّاها ولم تغيّر في حساباتها وتخميناتها إلّا مقادير ضريبة الأراضي وضريبة النفوس. ومع الأخذ بعين الاعتبار أن عملية المسح أجريت على عجل ولم تكن دقيقة في كل مكان بل كانت متحيّزة في أحيان كثيرة ولا سيما في قضاء كسروان الماروني حيث تمكنت الرئاسة الروحية من تقديم أرقام أقل من الأرقام الحقيقية لقيمة ممتلكات الأديرة وأغفلت مساحات كبيرة منها أثناء التخمين، لذلك يصح القول إن عدد الدراهم التي سجلتها لجنة المساحة وهو ١٢٥٢٣٨ درهم لا يعكس حقيقة قيمة الأملاك العقارية غير المنقولة بشكل عام

في جبل لبنان زمن الاحصاء.

علاوة على ذلك، وبعد عام على اجراء مسح الأراضي، وبفضل الهدوء والنظام اللذين استتبّا وما تلا ذلك من العمل والتقدم استفاد ملاكو الأراضي في جبل لبنان من تزايد مدخولها وارتفاع قيمتها، كما استفادوا أيضاً وبشكل خاص من اتساع مساحة الأراضي المزروعة. وخلال السنوات العشرين التي أعقبت المساحة ظهرت في جبل لبنان مساحات جديدة واسعة من مزارع اشجار التوت والتين وكروم العنب كما تم تنظيف واستصلاح قطع كبيرة من الأراضي على سفوح الجبال وأعدَّت للفلاحة والزراعة. ان هذا العمل مستمر دون كلل. ويُقبل اللبنانيون على استغلال الأرض في كل مكان حيثما يتسنّى لهم ولو بين الصخور.

وبسبب نقص المعطيات الرسمية المتعلقة بنمو السكان والأملاك العقارية في جبل لبنان منذ اجراء أول احصاء وأول عملية مسح، فقد تم الاستناد في الحسابات التقريبية والتخمين إلى شهادات ملاكي الأراضي في جبل لبنان والمزارعين والرؤساء الروحيين والموظفين الحكوميين في الإدارة اللبنانية. وعلى أساس التقديرات الاجماعية يصل عدد سكان جبل لبنان في الوقت الحاضر إلى ٢٨٠,٠٠٠ نسمة من الجنسين. أما قيمة الأملاك العقارية فتبلغ ١٤٠ ألف درهم.

وتنقسم الأملاك العقارية على الطوائف وفقاً للجدول التقريبي التالي :

	درهم
عند الموارنة	٦٨٩٨٧
عند الدروز	٣٣٨٠٣
عند الارثوذكس	١٦١٧٥
عند المسلمين السنّة	٩٥٢٥
عند الروم الكاثوليك	٧٤٢٠
عند الشيعة	٣٣٨٠
عند البروتستانت والطوائف الأخرى	٧١٠
المجموع	١٤٠,٠٠٠

لقد خسر المُلَّاك الدروز ولا سيما المشايخ الاقطاعيون السابقون جزءاً كبيراً من أراضيهم في الفترة الأخيرة بسبب تسديد ديونهم. وقدرت هذه الخسارة بسدس ($\frac{١}{٦}$) الكمية الاجمالية للدراهم المقدرة بها أموالهم غير المنقولة. لذلك أصبحت قيمة الأراضي التي تعود ملكيتها لهم في الوقت الحاضر تكاد لا تتجاوز الـ ٢٨٠٠٠ درهم. أما الأراضي التي باعوها أو التي تخلّوا عنها لسداد الديون فقد انتقلت ملكيتها إلى تجار بيروت المسيحيين.

المنتجات الزراعية وتربية المواشي

لم تطرأ على الزراعة في جبل لبنان أية تحسينات هامة ولم تستخدم أية وسائل آلية لاستغلال الأرض على غرار ما حدث في أوروبا. واستمر اللبنانيون يحرثون الأرض ويزرعونها بأيديهم وبوسائلهم البدائية.

المنتوجات الزراعية الرئيسية هي الحبوب والزيتون والزيت والتين والعنب والتبغ. وقد وصل انتاج الحنطة إلى حوالي ٢,٢٠٠,٠٠٠ كليوغراماً منها ٨٢,٠٠٠ كلغ من القمح. أما محصول الشعير السنوي فقد تراوح بين ١٣٨,٥٠٠ إلى ١٥٠,٠٠٠ كلغ. كما بلغ محصول الذرة السنوي إلى حوالي ٢٥,٠٠٠ كلغ وكان يباع منها عشرة آلاف كلغ. والحمص ٢٥,٠٠٠ كلغ والصنوبر من ١٨ إلى عشرين ألف أقة، والحامض ٧٥٠,٠٠٠ أقة والليمون من ٣٨٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠ أقة، والبلح ١٥,٠٠٠ أقة، والشوح ٧٠,٠٠٠ أقة، والتين مئة ألف أقة، والعنب ست ملايين ومئة ألف أقة، والزبيب مليون ونصف المليون أقة، والنبيذ ٤٥٠,٠٠٠ ليتر، وزيت الزيتون مليوني ليتر فيما يذهب بعضه لصناعة الصابون ويصدر قسم منه إلى الخارج.

أما غلة الشرانق فهي، إلى جانب الزيتون، تشكل احدى وسائل العيش الرئيسية للبنانيين وهي تغل من مليون وربع المليون إلى مليون ونصف المليون أقة في السنة. وتنقل الشرانق إلى فبارك الحرير التي يوجد في جبل لبنان منها ما يقارب ستين معملاً ويصدَّر الحرير كله إلى فرنسا دون سواها. كما يصدَّر ما بين مئتي ألف إلى ثلاثمائة ألف أقة من الشرانق إلى معامل الحرير في فرنسا أيضاً.

أما تربية مزارع التوت فقد اتسعت كثيراً في جبل لبنان في الخمس عشرة سنة الأخيرة بفضل تنمية صناعة الحرير. فأدّى ذلك إلى ارتفاع المحصول السنوي إلى ما بين ثلاثمائة

وأربعمائة ألف أقة من الشرانق. ومعدل سعر الشرانق عشرون قرشاً أو أربعة فرنكات للأقَّة الواحدة، لكن السعر يصل أحياناً إلى ٣٠ ـ ٥٠ قرشاً.

وكان محصول التبغ كبيراً في جبل لبنان قبل قيام احتكار التبغ وفرض ضرائب جمركية باهظة عند تصديره إلى مصر فتقلص إلى حد كبير وهو الآن ينتج ما بين ثلاثمائة وخمسين إلى أربعمائة ألف أقة سنوياً. ويحظى تبغ جبيل والكورة بشهرة مميزة ويثمَّن بأسعار أعلى من باقي أنواع التبغ وهو يُستهلك في مدن سوريا الساحلية ويصدَّر كذلك إلى مصر. وتقدَّر صادرات جبل لبنان من التبغ بحوالي مئتين إلى مئتين وخمسين ألف أقة سنوياً.

جدول بالمنتجات الزراعية في جبل لبنان وقيمتها التقريبية
وفقاً للأسعار المتداولة في العام ١٨٧٩

المنتجات الزراعية	الكمية	السعر الافرادي باره/قرش	المجموع باره/قرش
قمح	٥١٥,٢٠٠ مد	٣٠	١٥,٤٥٦,٠٠٠ قرشاً
شعير	١٣٨,٥٠٠ مد	١٦	٢,٢١٦,٠٠٠
ذرة	٢٣,٣٠٠ مد	٢٠	٤٦٦,٠٠٠
فول تركي	٧,١٠٠ مد	٣٠	٣١٣,٠٠٠
حمص	٢٥,٢٥٠ مد	٣٠	٧٥٧,٥٠٠
عدس	١٤,١٧٠ مد	٣٠	٤٢٥,١٠٠
بطاطا	٣٨٤,٠٠٠ مد	٢٥	٢١٥,٠٠٠
صنوبر	١٨٦,٠٠٠ (أقة)	١٠	٤٦,٥٠٠
ليمون حامض	٢٠٥,٠٠٠ (أقة)	٢٠	١٠٢,٥٠٠
ليمون حلو	٧٤٦,٠٠٠ مد	١٠	١٨٦,٥٠٠
برتقال	٣٨٢,٠٠٠ مد	٢٠	١٩١,٠٠٠
بلح	١٥,٠٠٠ مد	١,١٠	١٨,٧٥٠
أكواز شوح	٦٢,٦٠٠ مد	٧	٤٣٨,٢٠٠
تين	٢,١٠٤,٨٠٠ مد	١,١٠	٢,٦٣١,٠٠٠
عنب	٦,١٣٠,٠٠٠ مد	٢٠	٣,٠٦٥,٠٠٠
زبيب	٨٢٠,٠٠٠ مد	٢٠	٤١٠,٠٠٠

المنتجات الزراعية	الكمية	السعر الافرادي باره/قرش	المجموع باره/قرش
نبيذ	٤٣٠,٠٠٠ مد	١,١٠	٥٣٧,٥٠٠
عرق	٩١,٠٠٠ رطل	٥	٤٥٥,٠٠٠
عسل	١٠,٠٠٠ رطل	٥	٥٠,٠٠٠
شمع	٨٤٠ مد	١٨	٦,٧٢٠
زيتون	٥,٧٥٩,٢٠٠ مد	١	٥,٧٥٩,٢٠٠
زيت زيتون	١,٩٣٧,٥٠٠ رطل	٤	٧,٧٥٠,٠٠٠
شرانق	١,٢٤٦,١٠٠	٢٠	٢٤,٩٢٢,٠٠٠
تبغ	٣١٥,٨٠٠	٧,٢٠	٢,٣٦٨,٥٠٠
المجموع			٦٤,٦٨٦,٩٧٠ قرشاً

تقدر نسبة مدخول المنتجات الزراعية في جبل لبنان في الظروف العادية بشكل عام بحوالي ٥٠٪ من الدخل العام ونادراً ما تصل إلى ٨٪ وذلك فقط في سهل الشويفات المكسو بأشجار الزيتون. ودخل المزارع غير المملوكة فيبلغ ١٥٠٠ قرشاً في السنة.

أما المواشي فقليلة الانتشار في جبل لبنان بسبب قلة المراعي باستثناء الماعز الذي يربيه اللبنانيون باعداد كبيرة، ذلك لأن الماعز يكتفي بقليل من الطعام يبحث عنه بين الصخور وعلى المنحدرات الخطرة. ووفقاً للمعطيات الرسمية كان في جبل لبنان في العام ١٨٧٩ من الماعز ٢٠١,٠٠٠ رأساً موزعة على الأقضية وفق الجدول التالي:

في الكورة	٦,٠٠٠
في البترون	٦٥,٠٠٠
في كسروان	٥٠,٠٠٠
في المتن	٢٥,٠٠٠
في الشوف ودير القمر	٣٢,٠٠٠
في جزين	٢٣,٠٠٠
المجموع	٢٠١,٠٠٠

ولم يكن هناك في جبل لبنان كله أكثر من ٦٠٠٠ رأس غنم وهي مستوردة من الخارج أي من حلب وديار بكر للذبح وليس للتناسل. وكانت العائلات الميسورة إلى حد ما تشتري عادة رأساً أو رأسين من الغنم تربيها ثم تذبحها في شهر تشرين الثاني وتملّح لحمها أو تجففه وتبقيه مؤونة للشتاء (قورما). واللبنانيون باستثناء أولئك الذين يعيشون في المدن الكبيرة مثل دير القمر وزحله والشويفات وجبيل والبترون لا يأكلون اللحم كل يوم ويكتفون بطعام معتدل للغاية مؤلف من الحليب والجبن والبيض والخضار النيئة أو المطبوخة بزيت الزيتون والعدس والحمص والبندورة والفول والبصل والتين المجفف والزبيب ومربّى العنب والزيتون المكبوس. وأحياناً يذبحون رأساً من الماعز أو البقر ولكنهم دائماً يختارون لذلك رؤوس الماشية المريضة أو المسنة. ويستعمل الشيعة في طعامهم لحم الجمال ويذبحونها اذا تبيّن أنها لم تعد قادرة على العمل. ويأكل اللبنانيون الخبز المصنوع من طحين الذرة أو القمح بعد مزجه بالشعير.

أما عدد رؤوس البقر في جبل لبنان فلا يتجاوز ١١٠٠٠ رأساً وهي تستخدم لحراثة الأرض أو استخراج المياه من الآبار لدى المزارع. ويبلغ عدد رؤوس الخيل ٢٥٠٠ رأساً منها ٦٠٠ تستخدم لتشغيل معاصر الزيتون والعنب. ويصل عدد الحمير إلى ٧٦٠٠ رأساً والبغال إلى ٣٥٠٠ والجمال إلى ٦٠٠. ويكاد عدد الخنازير لا يصل إلى ٣٥٠ رأساً في جبل لبنان كله.

الثروة المعدنية

تتكون جبال لبنان من صخور كلسية بيضاء صلبة شبيهة بحجر الطباعة ويستعملها السكان لأغراض البناء والكلس. ليس جبل لبنان غنياً بالثروات المعدنية بشكل عام فلم يكتشف فيه حتى الآن غير الفحم الحجري وفحم اللينيت وهو فحم بني داكن أو رمادي، والطين الصمغي والحديد والقصدير.

لقد عثر على الفحم الحجري في أقضية المتن وجزين. على أن فحم منطقة المتن يتميز بكميته ونوعيته ولا سيما في قرنايل على مسافة نصف ساعة من صليما وفي قرية بزبدين. وكانت هذه الطبقات قد اكتشفت أيام حكم المصريين في سوريا. كما شجع ابراهيم باشا اكتشاف هذه الثروة المعدنية وأجبر سكان القرى على العمل في استخراجها. وبالنظر لعدم توفُّر الآلات ووسائل النقل، وبسبب الحروب التي خاضها ابراهيم باشا ضد الاتراك لم

تتحقق أية نتائج جيدة في استخراج المعادن. أما الكمية القليلة من الفحم المستخرج من المناجم الجبلية المذكورة بأبسط الوسائل، فقد كانت تنقل إلى بيروت على البغال والحمير مما جعل كلفتها عالية بالإضافة إلى أن تصريفها لم يكن سهلاً أو مربحاً. لهذه الأسباب توقف استخراج الفحم وحتى يومنا هذا لم يبد أي رأسمالي، أجنبي أو محلّي، رغبة في الحصول على امتياز لاستثمار مناجم الفحم الحجري الموجودة في أماكن بعيدة عن البحر في وادي نهر بيروت.

أما مناجم الفحم الحجري في قرنايل فكثيراً ما يستغلها في الوقت الحاضر سكان القرى المجاورة ويبيعون الفحم المستخرج إلى فبارك غزل الحرير التي تعمل على البخار والموجودة في قرية «القريّة» وغيرها من قرى المتن. وينزل العمال إلى المنجم عبر دهليز تحت الأرض تم حفره أيام ابراهيم باشا ويستخرجون الفحم بواسطة المعاول والمجارف. ولا تقل تكاليف استخراج الفحم في هذه الظروف من حيث طريقة استخراجه ونقله عن تكاليف الحطب وبالتالي ليس متوقعاً أن يتوسع استهلاكه، لأن استهلاك الفحم الحجري لا يمكن أن يتطوّر وينتشر إلاّ إذا وصل ثمن الحطب الذي يرتفع كل عام إلى رقم يصبح معه استخراج الفحم حتى بالوسائل البدائية الحالية أرخص كلفة وأكثر ربحاً.

في جزين، في منطقة اقليم التفاح، وكذلك في المتن الأعلى عُثر على معدن الحديد والرصاص، لكن أي اجراء لم يتخذ وأية محاولة، ولو صغيرة، لم تبذل حتى الآن لاستغلال هذه المعادن. وفي كسروان، في مار يوحنا الشوير على ارتفاع ٣٨٢٣ قدماً فوق سطح البحر، تكمن في تربة المغرة الصفراء كميات كبيرة من هيدرات الحديد تؤخذ منها كميات قليلة إلى زحلة وبعض المناطق الأخرى حيث تصهر في أفران بدائية وتسكب حديداً يستعمل لصب نعال الخيل والمناجل وغيرها من الأدوات.

وفي حيطورة قضاء جزين اكتشف المهندس الالماني هاتسلوف منذ خمس سنوات فحم اللينيت والطين الصمغي وحصل من الحكومة على امتياز استثمارهما، لكنه توفي بعد فترة قصيرة، وانتقلت حقوق الامتياز إلى ورثته الذين لم يفعلوا شيئاً حتى الآن لاستغلاله رغم ان استخراج المعادن في هذه المنطقة أسهل بكثير من مناجم المتن في قرنايل، فحيطورة لا تبعد عن مدينة صيدا الساحلية أكثر من مسافة خمس ساعات ومنطقتها تساعد على شق طريق للعربات أو حتى بناء سكة حديد لعربات تجرها الخيل دون أية صعوبة.

وفي المتن، في جوار دير القمر، ثمة مقالع للصخور يؤخذ منه الرخام ذو الألوان الصفراء والحمراء تصنع منها أعمدة رائعة الجمال وبلاط لتغطية أرض الكنائس والمنازل. والرخام المستخرج من جوار دير القمر والمسمّى باسم سُماك يتميز بلونه الخمري ومتانته وشدة لمعانه. أما مقالع الصخور في المتن فهي غنية بالرخام الأصفر المطعَّم بالأصداف والنباتات المتحجرة. طبيعة هذا الرخام تساعد على صقله جيداً، كما أن الأعمدة التي تُقدُّ منه تبدو وكأنها مغطاة بقشرة حفرت عليها الحروف الهيروغليفية وغيرها من النقوش الحجرية.

المستوى المعيشي للسكان

مع بدء تطبيق النظام الجديد منذ عام ١٨٦٢، استتب الأمن والهدوء في جبل لبنان مما أتاح للسكان امكانية الانصراف تماماً لممارسة الأعمال الزراعية والاقتصادية والاعتناء بتحسين مستوى معيشتهم. وخلال السنوات العشرين المنصرمة تحققت نجاحات كبيرة في هذا المضمار. فقد ازدادت مساحة الأملاك الزراعية وارتفعت قيمتها إلى حد كبير. إلى جانب ذلك تضاعف عدد السكان وارتفع مستوى رفاهيتهم الاقتصادية إلى درجة عالية بالمقارنة مع سكان المقاطعات المحيطة بجبل لبنان والتي يديرها الولاة والمدراء العثمانيون مباشرة. وبما أن الباب العالي لا زال يقدم ما بين ٣٥٠٠ إلى ٤٥٠٠ كيس في السنة كدعم للشرطة وغيرها من مقتضيات الادارة اللبنانية، فإن سكان جبل لبنان لم يرزحوا تحت أعباء الضرائب والاتاوات وتمكنوا من استخدام بعض الأموال التي كانوا يحصلون عليها لتحسين وضعهم المادي. ويتسم نمط الحياة وأثاث المنازل عند أهالي جبل لبنان، على كل حال بالبساطة والسذاجة. ولذلك فإن رفاهيتهم لا تتطلب الكثير، ويكفيهم أن يتأكدوا من أن أحداً لن يستطيع عن طريق القوة أو التعسُّف أن يسلبهم ما اكتسبوه بكدّهم. ولديهم في هذا الاطار ضمانات أكيدة. وبغض النظر عن عيوب الادارة اللبنانية، فإنها تعتبر جيدة بالمقارنة مع الادارة العثمانية وتعمل بشكل مرضٍ لدرجة بدا فيها التحسُّن والتقدُّم واضحاً في حياة سكان جبل لبنان.

II - الصناعة

العمل الرئيسي لسكان جبل لبنان هو الزراعة وتربية مزارع التوت وبساتين الزيتون. وباستثناء قلة قليلة فان كل لبناني تقريباً يمتلك قطعة صغيرة من الأرض يستغلها بنفسه.

وتتضمن الأعمال الزراعية:

١ ـ زراعة الحبوب.

٢ ـ البساتين.

٣ ـ تربية أشجار التوت والزيتون وزراعة التبغ وكروم العنب.

مع بدء أمطار الخريف يباشر القرويون بفلاحة حقولهم وبساتيهم ومزارعهم وبذر الحبوب. وعندما يفرغون من هذه الأعمال يقضون الشتاء بهدوء ويتعاطون بعض الأعمال اليدوية المنزلية بانتظار موسم تربية دود القز. لكن عدداً كبيراً من الشباب وذوي الصحة الجيدة ينزلون إلى المدن الساحلية للعمل فيها لقاء أجور مناسبة.

تربية دود القز عملية على قدر كبير من التعقيد وتتطلب عناية بالغة. تحفظ بيوض دود القز في الشتاء في الجبال العالية والكنائس والأديرة، وعندما تبدأ أوراق أشجار التوت بالتفتّح في أواسط نيسان وأحياناً في أيار تبعاً لموقع المزارع في السهول أو على المرتفعات تُعرَّض البذور أو البيوض للتدخين بقصد تفقيسها. وفي السهول تقام اخصاص في القش أو القصب لتفقيس دود القز. أما في الجبال فيتم ذلك في غرف كبيرة تجهّز برفوف مصففة خاصة لذلك. تحظى تربية دود القز في أوساط القرويين باهتمام بالغ وعناية خاصة. فالرجال والنساء والأولاد كلهم على حد سواء يعملون ويكدّون ليلاً ونهاراً في تربية دود القز واطعامه، وعند جمع الشرانق يجري وزنها ثم تباع بالسعر المتداول بحضور المزارعين وأصحاب المزارع أو وكلائهم ويقسَّم الربح المالي بينهم وفقاً للشروط المتفق عليها مسبقاً.

وفقاً للقاعدة العامة في جبل لبنان تستثمر مزارع أشجار التوت على الشكل التالي: كل شجرة توت مزروعة تتطلب ١٢ ذراع مربع من الأرض. وهكذا فإن دونم الأرض الواحد يساوي ١٦٠٠ ذراع مربع ويتضمن عادة من ١٣٠ إلى ١٣٥ شجرة يمكنها بعد ٦ أو ٧ سنوات من العناية بها أن تعطي عشرة أحمال بمعدل الحمل الواحد يساوي ٦٠ أقة من ورق التوت أو ما بين ١٥ و٢٠ شرنقة بحسب نوعية المحصول. ويعطي دخلاً يقدر ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قرشاً من دونم الأرض الواحد. أما في السنوات السبع الأولى فيقدر عطاؤه بنصف القمة.

بعد الانتهاء من جمع الشرانق وبيعها يبدأ القرويون بحصاد الحبوب في شهر حزيران أو تموز، وفي آب وأيلول وتشرين الأول ينهمكون في جمع العنب والتين وغيرهما من أصناف الفاكهة.

ويبدأ العمل في زراعة التبغ في شهر أيار ويتم قطاف أوراقه في أواخر تموز. أما حقول التبغ الرئيسية فهي على سفوح جبل الريحان وفي مناطق جبيل والبترون والكورة.

يقبل قرويو جبل لبنان على جمع محصول الزيتون وعصره وتعبئة زيت الزيتون في الخريف أي في شهري تشرين الأول وتشرين الثاني.

يتميّز سكان جبل لبنان بحبهم للعمل، لكن فقر التربة وقلة المساحة المزروعة لا تسمح لهم بالحصول على القوت اللازم للأهالي الذين يتزايد عددهم باستمرار. لذلك هم مضطرون إلى ممارسة بعض المهن والحرف اليدوية والتجارة التي تتطور وتتسع من عام إلى عام.

وبالاضافة إلى العدد الكبير من اللبنانيين الذين يعملون في خدمة المنازل في المدن الساحلية أو يفلحون الأرض ويزرعون الحبوب خارج حدود جبل لبنان ولا سيما في البقاع فإن عدداً كبيراً من اللبنانيين يعمل أيضاً في نقل الغلال والبضائع على بغالهم إلى مختلف المناطق. وفي تقديري أن عدد المكارية في جبل لبنان يبلغ الخمسة آلاف يكسبون ما يقارب سبعة ملايين ونصف المليون قرشاً في السنة.

كثير من سكان ساحل جبل لبنان في جونية وجبيل والبترون يقتنون سفناً صغيرة ويتجرّأون على الابحار فيها بمحاذاة شواطىء سوريا وتركيا ومصر. ويعمل بعض اللبنانيين أيضاً في مهنة صيد الاسفنج بواسطة قواربهم الخاصة على شواطىء البترون وشمالاً حتى جزيرة أرواد.

ومن أجل سد حاجات سكان قرى جبل لبنان يعمل بعض اللبنانيين في مختلف فروع الحرف فتجد بينهم الحجّار والحدّاد والخياط والاسكافي والصباغ والحائك وغيرهم وهم يستخدمون أبسط الوسائل البدائية في عملهم. غير أن صناعة الحرير أي غزل الحرير وحياكة مختلف أنواع الأقمشة الحريرية هي مهنة اللبنانيين الرئيسية والأكثر توفيراً للربح وهي تتطور وتتكامل عاماً بعد عام.

ظهرت معامل غزل الحرير التي تعمل على البخار في جبل لبنان منذ مدة وجيزة جداً. وقد أسسها في البداية رجال صناعيون أوروبيون جلُّهم من الفرنسيين. قبل العام ١٨٦٠ أي قبل المذبحة التي تعرض لها المسيحيون في ذلك العام لم يكن في جبل لبنان الّا خمسة أو ستة

معامل لغزل الحرير يحتوي كل منها على مائة نول، ثم بدأ عدد المعامل يتزايد بعد أن أقبل على تأسيسها الأجانب واللبنانيون أصحاب الأملاك والأغنياء والأمراء والمشايخ حتى بلغ مجموعها في جبل لبنان قرابة ٦٠ معملاً بخارياً لغزل الحرير بين كبير وصغير يعمل فيها ٣٨٥٠ نولاً. وفي السنوات الخمس الأخيرة أضيف إليها قرابة ٢٥٠ نولاً مقابل العدد نفسه في السنوات الخمس عشرة التي سبقت تلك الفترة.

تُنقل الشرانق المتجمعة من المحصول اللبناني كلها تقريباً إلى هذه المعامل التي تنتج ما بين ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠ باله من الحرير تزن الواحدة منها مائة كيلوغرام أو ٧٨ أقة، أي أن مجموع الانتاج يقدر من ٧٨٠٠٠ إلى ٩٣٠٠٠ اقة تبعاً لكمية الشرانق ونوعيتها. ومثل هذه الكمية من الحرير يتم الحصول عليها من ١,٠٩٢,٠٠٠ إلى ١,٣١٠,٠٠٠ أقة من الشرانق بمعدل وسطي أن كل ١٤ أقة من الشرانق تعطي أقة واحدة من الحرير. وكل الحرير الذي تنتجه معامل جبل لبنان يصدَّر إلى فرنسا كما تصدَّر إليها أيضاً كميّات من الشرانق لا تزيد على ١٠٪ من مجموع الانتاج.

بالاضافة إلى معامل غزل الحرير التي ورد ذكرها، هناك معامل مماثلة أيضاً في بيروت وطرابلس تسلَّم إليها الشرانق الواردة من جبل لبنان ومن أقضية صافيتا وعكار والبقاع وصيدا. ويعمل فيها قرابة الخمسماية نولاً.

في معامل غزل الحرير يشتغل اللبنانيون، رجالاً ونساءً (الأغلبية من الفتيات) ويصل عددهم في معامل جبل لبنان إلى ٥٢٠٠ شخصاً. وهم يعملون بمعدل مائتي يوم عمل في السنة لقاء أجر يومي يبلغ خمسة قروش فيصل بالتالي مجموع المدخول العام من غزل الحرير إلى ٥,٢ مليون قرش في السنة.

وتستهلك معامل غزل الحرير في جبل لبنان ما بين ٤٥,٠٠٠ إلى ٥٠,٠٠٠ قنطاراً من الحطب سنوياً تقدَّر تكاليفها ما بين تسعماية إلى مليون قرش. حتى الآن كانت هذه الكمية من الحطب تؤخذ من احراش جبل لبنان مما يؤدي إلى إبادة هذه الأحراش على نحو مخيف بينما تتزايد تكاليف الحطب من عام إلى عام. بالأمس القريب كانت معامل غزل الحرير ولا سيما تلك التي في السهول الساحلية مضطرة إلى طلب الحطب من ولاية حلب أو من مدينة كارامان كما اضطرت إلى استعمال الفحم الحجري المستورد.

تنتشر حياكة النسيج بشكل واسع في جبل لبنان. ويقوم القرويون بأدواتهم المنزلية بحياكة

الأنسجة القطنية البسيطة وغيرها من الأقمشة لاستعمالهم الخاص بالإضافة إلى أن أقشمة الحرير والقطن تشكل بضاعة هامة للتجارة.

وفي قرية الزوق في كسروان هناك ١٢٥ آلة لحياكة الأقمشة الصوفية والحريرية المقصبة بالذهب وتصنع من هذه الأقمشة المخدّات والشراشف والأكياس والأحذية الخفيفة وستائر النوافذ وأقمشة المفروشات والقبعات وغيرها. وتتميز أقمشة الزوق الحريرية والمذهبة بمتانتها وجودتها وجمال زخارفها. وتتمتع بشهرة واسعة ليس في جبل لبنان وحسب، بل وفي سوريا كلها ومصر وغيرها من الولايات العثمانية ولا سيما أقمشة الملابس النسائية الحريرية التي تباع بكميات كبيرة إلى السياح الأوروبيين وتصدَّر إلى مصر وتركيا الأوروبية وحتى إلى أوروبا نفسها ويصل انتاج مثل هذه الأقمشة في العام إلى ما قيمته ١٠ آلاف إلى ١٥ ألف ليرة عثمانية. وفي الزوق أيضاً تصنع البرانس التي يتكاثر عليها الطلب من قبل أكراد ومسلمي ولاية حلب. والبرانس على أنواع وتباع بأسعار مختلفة منها البرانس الغالية الثمن وهي المطعمة بالذهب والفضة، والبرانس البسيطة جداً المصنوعة من الصوف فقط ويتراوح سعرها ما بين ٤٠ إلى ٥٠ قرشاً. والبرانس التي تصنع في الزوق تباع بمبلغ يتراوح ما بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف ليرة عثمانية في العام الواحد.

يتم شراء المواد التي يتطلبها هذا الانتاج كالقطن والصوف والحرير وغيرها من بيروت. وتشترى خيوط الذهب من بيروت أيضاً ومن حلب وهي مستوردة من المانيا والنمسا. ولا يستخدم الذهب الروسي في معامل الزوق لأنه أكثر صفاء وهو بالتالي أغلى ثمناً.

ولا يحتاج أصحاب معامل الزوق إلى رؤوس أموال كبيرة لانتاجهم، فهم يعملون حسب الطلب ويبيعون انتاجهم في السوق المحلية، ولذلك يقررون يومياً أمر مضاعفة الانتاج أو توسيعه أو تقليصه على أساس طلبات الزبائن ووفقاً لتصريف الانتاج.

يحصل عمال المنسوجات الحريرية والأقمشة المطعمة بالذهب على أجر يومي يبلغ عشرة قروش، أما أولئك الذين يصنعون البرانس أو الأقمشة القطنية أو الصوفية فلا يزيد أجرهم اليومي على خمسة قروش.

بعد قرية الزوق التي تحتل المرتبة الأولى في جبل لبنان بالنسبة لانتاج الأقمشة الحريرية والمطعمة بالذهب تأتي دير القمر في المرتبة الثانية. قبل أن يخربها الدروز عام ١٨٦٠، كانت دير القمر تتمتع بشهرة خاصة بانتاج الأقمشة الحريرية والقطنية. وظلت باستمرار تلعب

دوراً هاماً في تاريخ لبنان لكنها بقيت مدة طويلة قبل أن تتعافى من الضربة التي نزلت بها. وصناعتها التي كانت مزدهرة لم تبدأ بالانتعاش والنمو الاّ منذ خمس أو ست سنوات. ففي دير القمر، وفقاً للمعطيات الرسمية، مئة نول نسيج تحاك عليها الأقمشة المخططة من القطن والحرير وهي معروفة باسم العنبر والابراهيمي وتستعمل في الملابس الرجالية والنسائية. وتصنع هذه الأقمشة على شكل قطع بطول سبعة أذرع. أما السوق الرئيسية لتصريفها فهي مدينة بيروت حيث يباع بمبلغ يتراوح بين ٤٠ إلى ٥٠ قرشاً أو ١٠ فرنكات للقطعة الواحدة. وتصل قيمة الانتاج السنوي لهذه الأقمشة الى ما بين ٥٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ ليرة عثمانية.

كما يصنع نوع آخر من القماش المخطط والملون من الحرير والقطن معروف باسم الديما وينتشر استعماله انتشاراً واسعاً. وتستعمل هذه الأقمشة لصناعة الملابس وتنجيد المفروشات وتصدّر بشكل رئيسي إلى آسيا الصغرى وبلاد الأناضول حيث تباع بأسعار غالية. لقد كانت صناعة هذه الأقمشة موجودة في لبنان منذ العصور القديمة؛ ولكنها في وقت من الأوقات، وبسبب الاضطرابات والنزاعات الداخلية، تقهقرت وتركزت في نابلس وحمص، وبعد مرور فترة زمنية قصيرة انتعشت من جديد في المناطق السابقة وها هي تبشّر بنهضة كبيرة. ويقع مركز انتاج هذه الأقمشة في الوقت الحاضر في قضاء المتن وبالتحديد في قرية بكفيا الكبيرة وفي غيرها من القرى المجاورة في منطقة القاطع مثل قرى ساقية المسك، وبيت شباب، وديك المحدي، وعين سعادة وغيرها. ففي هذه القرى توجد قرابة ١٥٠٠ آلة نسيج تصنع ما بين ٧٠٠ إلى ٧٢٥ قطعة من قماش الديما يبلغ طور الواحدة منها تسعة أذرع. وبما أن قطع القماش هذه تباع بسعر يتراوح بين ١٠ إلى ٢٥ قرشاً أو خمسة فرنكات، فإن قيمة الانتاج السنوي يمكن أن يتراوح ما بين مائة ألف إلى مائة وعشرة آلاف ليرة عثمانية.

وفي قريتي الشويفات والبيرة في قضاء الشوف، وكذلك في قرية برمانا في قضاء المتن دخلت حيز العمل منذ فترة وجيزة بضع عشرات من آلات النسيج التي تحيك الأقمشة من الحرير والقطن كما تصنع الأوشحة والزنانير والمناديل التي يروج بيعها في جبل لبنان وبيروت. لكن مجمل الانتاج السنوي في القرى المذكورة لا تتجاوز قيمته ثلاثة آلاف ليرة عثمانية.

وفي بيروت والكورة يصنع نوع من الحرير الخام السميك الذي تخاط منه قمصان للنساء والرجال. غير أن هذه الصناعة تنقرض شيئاً فشيئاً لأن استهلاك اللبنانيين لمثل هذه القمصان يتضاءل بسبب تقادم هذا الزي.

وفي بيت شباب في قضاء المتن هناك مصنع لصب الأجراس ومشغلان للحديد يخصان السكان المحليين. وتصبُّ الأجراس في هذا المصنع ليس لبيعها في السوق وانما بناء على طلبات الأديرة والكنائس. يصب من هذه الأجراس عشرون أو ثلاثون جرساً في السنة الواحدة وهي ذات أحجام صغيرة لكنها دقيقة الصنع وجميلة الشكل ويصدر عنها رنين رائع. بالاضافة إلى الأجراس ينتج المصنع ومشغلا الحديد في بيت شباب أدوات حديدية متنوعة وطاسات وأوعية كبيرة للغسيل تستعملها معامل غزل الحرير وسكك الفلاحة ونعال الخيل وغيرها.

ولا توجد في جبل لبنان دبّاغات للجلود إلاّ في مدينة زحلة وهي ذات انتاج محدود للغاية لأن صانعي الأحذية اللبنانيين يبتاعون حاجتهم إلى الجلود من دمشق وبيروت وطرابلس.

انتاج مصانع الصابون هام وكبير. هناك ١٤ مصنعاً في قرى الشويفات والحدث وكفرشيما في قضاء الشوف الغني ببساتين أشجار الزيتون. تنتج هذه المصانع ما بين ٥٦٠ إلى ٦٠٠ قنطاراً (القنطار يساوي ٢٠٠ أقة) تقدر قيمتها بما يتراوح ٤٨٠,٠٠٠ إلى ٦٠٠,٠٠٠ قرشاً على اعتبار أن ثمن الأقة يتراوح ما بين أربعة إلى خمسة قروش. ويستهلك هذا الصابون في جبل لبنان نفسه كما يصدّر إلى بيروت ومصر.

وفي كثير من قرى جبل لبنان مصابغ يتم فيها صبغ القماش ومختلف المنسوجات الحريرية والقطنية التي تصنع منها ملابس السكان كما يصبغ فيها القطن والصوف والحرير الذي تحيكه معامل النسيج المحلية. لكن الصبّاغين اللبنانيين لا يعرفون الأصباغ المعدنية والكيميائية بل يستخدمون في مهنتهم مختلف جذور النباتات وقشور الرمان وغيرها. ويصبغون الأقمشة بالألوان السوداء والصفراء والحمراء، لكن أكثر الألوان انتشاراً عندهم هو اللون الأزرق الذي يفضله اللبنانيون بشكل خاص وهو ذو شعبية كذلك في سوريا وفلسطين عموماً وبين البدو. ويستخرج من العنب المحلي في جبل لبنان كل عام ما بين ٤٠٠ ألف إلى ٤٥٠ ألف أقة من النبيذ الذي يباع بقرش وربع القرش للاقة الواحدة. أما أفخر أنواع النبيذ اللبناني فهو ما يطلق عليه اسم الخمر الذهبي «Vino D'oro» ولكنه ينتج بكميات قليلة ويحتفظ به بشكل محكم ومتقن في أقبية الأديرة المارونية. ويستخرج من عصير العنب سنوياً قرابة مئة ألف أقة من العرق الذي يباع بخمسة قروش للأقة الواحدة. وأفضل وأشهر أنواع العرق اللبناني عرق الزوق أي العرق الذي يقطّر في بلدة الزوق التي اشتهرت أيضاً بأقمشتها الحريرية المطعمة بالذهب.

بالإضافة إلى مختلف فروع الصناعة التي يمارسها اللبنانيون لتأمين وسائل عيشهم، هناك صيد الاسفنج الذي يمارسه السكان على شواطىء لبنان ولا سيما في قضاء البترون، ويعطي سنوياً ما بين ١٢٠,٠٠٠ إلى ١٦٠,٠٠٠ قرش.

في ختام هذا العرض لنشاطات اللبنانيين الاقتصادية والصناعية تجدر الاشارة إلى أن انتاج النسيج في المصانع الأوروبية، خاصة في سويسرا، يزاحم انتاج النسيج في دمشق وغيرها من المدن السورية لكنه لم يتمكن من مزاحمة القماش المتميّز الذي ينتجه جبل لبنان أو الحلول مكانه. فمنتوجات النسيج في الزوق وغيرها من القرى اللبنانية لا تخشى المنافسة الأجنبية وهي تتطور عاماً بعد عام ويتزايد تصريفها باستمرار.

III ـ تجارة المتصرفية وطرق المواصلات فيها

يعتمد النشاط التجاري لسكان جبل لبنان بشكل رئيسي على تصريف منتوجاتهم الزراعية والصناعية في المدن الساحلية، لا سيما بيروت، وشراء المواد اللازمة لصناعتهم والملابس والمؤن الغذائية والبضائع الأجنبية.

ليست هناك في لبنان مراكز تجارية بالمعنى الدقيق للكلمة باستثناء مدينة زحلة التي يمارس أبناؤها بشكل واسع تجارة الحبوب والمواشي والجلود. تعتبر زحلة مستودعاً لتخزين الحبوب التي تجمع من سهل البقاع وبين أهلها تجار أغنياء يعملون في تجارة الحبوب لحسابهم الخاص أو لحساب تجار بيروت. ويصدَّر عبر التجار الزحليين إلى جبل لبنان وبيروت ما بين ٢٠٠ إلى ٢٥٠ ألف كلغ من القمح وقرابة ٥٠ ألف كلغ من الشعير.

كما يتعاطى الزحليون تجارة الغنم والجلود على نحو واسع وهم يملكون فبارك ودباغات للجلود. وبواسطة المال الذي يستلفه الزحليون من تجار بيروت على سبيل الدين، يسافرون إلى ولايتي دمشق وحلب حيث يبتاعون قطعاناً كبيرة من الغنم يسوقونها إلى زحلة ثم يبيعونها للذبح لتجار جبل لبنان وبيروت. وفي زحلة نفسها يذبح كل عام ما بين ٣٠٠٠ إلى ٣٥٠٠ رأس غنم وحوالي ٥٠٠ ثوراً. وتصل تجارة الغنم سنوياً إلى ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف رأس تبلغ قيمتها ٦٠٠٠ ليرة عثمانية.

يشتري الزحليون الجلود بالجملة ويدبغون جلود الغنم في زحلة نفسها بينما يملّحون جلود البقر ويصدرونها إلى بيروت. وهم يشترون الجلود من مختلف مناطق سوريا ويبيعون منها في

بيروت ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف قطعة.

في مجال الاستيراد والتصدير تنحصر تجارة جبل لبنان بالتبادل مع تجار المدن الساحلية لا سيما بيروت. أما منتجو الحرير فيرسلون ما يصنعونه منه إلى فرنسا بصورة غير مباشرة أي بواسطة تجار بيروت. وكذلك يفعل منتجو الأقمشة الصوفية والقطنية الذين يرسلون منتوجاتهم إلى القسطنطينية ومكدونيا وآسيا الصغرى.

تجارة التبغ مع مصر هي الوحيدة التي يقوم بها تجار جبل لبنان مباشرة دون وسيط فيسافرون من وقت لآخر إلى الاسكندرية والقاهرة. أما الأقمشة الحريرية والمطعمة بالذهب التي تصنع في الزوق فتصدَّر أيضاً من قبل تجار جبل لبنان مباشرة إلى مصر وبغداد والبصرة. وباستثناء هاتين المادتين فإن كل المنتوجات الزراعية والصناعية في جبل لبنان تصرَّف في المدن الساحلية حيث يستبدلها اللبنانيون بالبضائع الأجنبية. ويذهب القسم الرئيسي من أرباح التجارة مع جبل لبنان، سواء بالتصدير أو بالاستيراد، إلى جيوب تجار بيروت الذين يستغلون اللبنانيين دون شفقة عن طريق تسليفهم المال لقاء فوائد ربا فاحشة. فمن «النيلة» (صبغة زرقاء) وحدها يصدَّر من بيروت إلى جبل لبنان سنوياً ما قيمته ١٥,٠٠٠ ليرة عثمانية تقريباً أي حوالي ١٥٠ صندوقاً أو ١٨,٠٠٠ أقّة. ومن بيروت أيضاً يستورد الصناعيون اللبنانيون القطن المغزول وجزءاً من الحرير الخام والحديد والنحاس وغيرها من المعادن التي يحتاجونها.

لا تتوفر معطيات واقعية تساعد على تحديد قيمة جميع المواد التي يبتاعها اللبنانيون في المدن الساحلية لاستعمالهم الخاص كالجوخ والكتان والأقمشة القطنية والصوفية المتنوعة والطرابيش والبن والسكر والأرز والبهارات والملح والتنباك وما شابه ذلك إذ ليس في جبل لبنان جمارك واللبنانيون يحصلون على كل البضائع الأجنبية بعد أن تكون جمارك بيروت قد استوفت عنها الرسوم. ومع ذلك يمكن تحديد القيمة بصورة تقريبية بحوالي ٦,٨ مليون قرش في السنة على أساس ٢٥ قرشاً لكل فرد من سكان جبل لبنان (٢٨٠,٠٠٠ نسمة من الجنسين).

بالاضافة إلى المنتجات الصناعية يصدر اللبنانيون إلى سكان المدن الساحلية الطيور المنزلية وطرائد الصيد والبيض والأجبان والخضار والفواكه والعسل والعنب والعرق والتنباك والشعير والذرة وغيرها. أما القيمة السنوية لكل تلك المواد بالإضافة إلى الأجور التي يحصل عليها اللبنانيون واللبنانيات العاملون في خدمة المنازل في المدن الساحلية وفي معامل غزل الحرير

فلا بد أن تتجاوز قيمة ما يدفعه سكان جبل لبنان سنوياً لقاء شراء المواد الأولية التي يستعملونها. ولا يمكن تحديد ذلك بالأرقام بسبب عدم توفُّر معطيات إحصائية دقيقة في هذا الصدد.

العملة النقدية المتداولة في متصرفية جبل لبنان

وحدة العملة المتداولة في جبل لبنان كما في باقي المقاطعات العثمانية والتي تشكل أساساً لجميع العملات الأخرى العثمانية والأجنبية هي الليرة الذهبية العثمانية التي يبلغ وزنها القانوني ٧,٢٠٦ غراماً (٧ غرامات و٢٠٦ من الألف من الغرام) من الذهب الخالص ٩١٦/١٠٠٠. يساوي ثمن هذه الليرة في نظام العملة العثمانية مائة قرشاً، والنصف ليرة تساوي ٥٠ قرشاً، والربع ليرة ٢٥ قرشاً. وكل خمس مجيديات فضية تساوي ليرة ذهبية واحدة. وعلى أساس سعر العملة يكون ثمن الليرة النابوليون الذهبية الفرنسية ٨٦ $\frac{١٠}{٤٠}$ قرشاً، والجنيه الاسترليني الانكليزي ١١٠ قروش، والنصف إمبريال الروسي ٩٠ $\frac{١٠}{٤٠}$ قرشاً، والغولدن الفضي النمساوي ١١ قرشاً. وعلى قاعدة هذه الأسعار تجبي الحكومة الضرائب المباشرة وغير المباشرة. أما في التجارة فإن أسعار هذه العملات معرضة للارتفاع أو الانخفاض باستمرار وبصورة تعسفية. ففي عامي ١٨٧٩ و ١٨٨٠ كانت أسعار العملات في جبل لبنان على الشكل التالي:

الليرة العثمانية تساوي ١٢٠ قرشاً	الروبل الفضي يساوي $\frac{١}{٤}$ ١٨ قرشاً
الجنيه الاسترليني الانكليزي يساوي ١٣٣ قرشاً	المجيدية الفضية تساوي $\frac{٣}{٤}$ ٢٢ قرشاً
النابوليون الذهبي الفرنسي يساوي ١٠٦ قروش	البشلك يساوي $\frac{١}{٤}$ ٣ قروش
النصف امبريال روسي يساوي ١٠٨ قرشاً	المتليك يساوي $\frac{١}{٤}$ ٥ قرشاً

الأوزان والمكاييل

تستعمل في جبل لبنان الأوزان والمكاييل ذاتها التي تستعمل في مدن سوريا الساحلية وهي التالية:

وحدة الوزن هي الاقة وتساوي ٤٠٠ درهماً؛ والدرهم يساوي ١٦ قيراطاً. والقيراط يساوي ٤ غرامات، والرطل يساوي أقتين، والقنطار يساوي ٢٠٠ أقة. أما السوائل لا تعيَّر بمكاييل وانما تزان بالأقة أو القنطار.

أما وحدة قياس الوزن فهي الكيلو (الاسطمبولي). وينقسم هذا الكيلو إلى خمس أوقيات. وفي الكورة المتاخمة لطرابلس يستعمل كذلك مقياس الرطل وهو يساوي $\frac{١}{٢}$ ٢ كلغ.

وحدة القياس الطولي هي الذراع الذي يختلف طوله باختلاف المناطق في سوريا. ففي بيروت وجبل لبنان يساوي الذراع $\frac{٣}{٤}$ ٦٧ سنتمراً.

ويستعمل الذراع المربع لقياس المسطحات. وكل ١٦٠٠ ذراع مربع تساوي دونماً واحداً وهو القياس العثماني للأرض.

وعلى أساس قيمة العملة المشار اليها أعلاه كانت أسعار المواد الغذائية الأولية في عامي ١٨٧٩ و١٨٨٠ على الشكل التالي:

سعر مد القمح	من ٢٥ إلى ٣٠ قرشاً
سعر مد الشعير	من ١٠ إلى ١٢ قرشاً
سعر مد الذرة	من ١٥ إلى ١٦ قرشاً
سعر اقّه طحين القمح	$\frac{١}{٢}$ ٢ قرشاً
سعر اقّه الأرز	من $\frac{١}{٢}$ ٢ إلى $\frac{١}{٢}$ ٣ قرشاً
سعر اقّه اللحم	$\frac{١}{٢}$ ٧ قرشاً
سعر اقّه الملح	قرش واحد
سعر رطل سمن البقر	من ١٥ إلى ٢٠ قرشاً
سعر رطل زيت الزيتون	من $\frac{١}{٢}$ ٤ إلى ٥ قروش
سعر اقّه السكر	٦ قروش
سعر اقّه البن العادي	١٦ قرشاً
سعر اقّه البن العدني	من ١٨ إلى ٢٠ قرشاً
سعر أقة التبغ	من ٩ إلى ٢٠ قرشاً

سعر أقة التنباك	١٤ قرشاً
سعر رطل العسل	من ٧ إلى $\frac{1}{2}$ ٧ قرشاً
سعر قنطار الحطب	من ١٢ إلى ١٤ قرشاً
سعر قنطار فحم الحطب	١٠٠ قرشاً.

الاستيراد والتصدير

ان جميع تجارة جبل لبنان، أي كل صادرات البضائع المحلية وواردات المأكولات الغذائية والعطورات والأقمشة والمصنوعات اليدوية اللازمة للسكان كانت تتم عبر التجار الوسطاء في المدن الساحلية ولا سيما في بيروت.

تأتي البضائع المستوردة على الشكل التالي: من أميركا يستورد الكاز، ومن النمسا الكبريت والمفروشات وخشب البناء والعطورات والمنسوجات، ومن انكلترا وفرنسا المصنوعات الحديدية والأقمشة والعطورات، ومن ايطاليا الأرز والمعكرونة والرخام وغيرها، ومن سويسرا والمانيا الأقمشة، ومن بلجيكا الزجاج والأسلحة، ومن مقاطعات السلطنة العثمانية الاسيوية القمح والحطب وفحم الحطب، ومن مصر الجلود والأرز والأقمشة الليفية والسكر. أما روسيا، فرغم طرق المواصلات التي تؤمنها سفن «الجمعية الروسية للملاحة والتجارة» بين أوديسّا والموانىء السورية فإن البضائع المستوردة منها لا زالت بكميات ضئيلة جداً. وهناك مواد كان بالامكان أن تشكل جزءاً هاماً من واردات جبل لبنان وهي: الحبوب والدقيق وسمن البقر والكافيار والحديد والحبال والجنفيص والكتان وخشب البناء وغيرها. أما أهم صادرات جبل لبنان فهي: التبغ إلى مصر، وزيت الزيتون إلى فرنسا، وجزئياً إلى انكلترا، والأقمشة المستعملة إلى أميركا، والشرانق والحرير إلى فرنسا، والأقمشة الصوفية والحريرية المستعملة إلى أميركا، والشرانق والحرير إلى فرنسا، والأقمشة الصوفية والحريرية والنصف حريرية إلى آسيا الصغرى والأناضول وقد صُدِّر من المواد الرئيسية في العام ١٨٧٩:

تنباك	٢٥٠ ألف أقة	بقيمة	٢,٥٠٠,٠٠٠ قرشاً
زيت زيتون	٦٠٠,٠٠٠ أقة	بقيمة	٢,٤٠٠,٠٠٠ قرشاً
شرانق	٢٠٠ ألف أقة	بقيمة	٤,٠٠٠,٠٠٠ قرشاً
حرير	٨٥٧١٤ أقة	بقيمة	١٧,١٤٢,٠٠٠ قرشاً.

أهم مستوردي البضائع اللبنانية هي فرنسا التي تشتري الانتاج اللبناني من الحرير كله وهو ما يشكل المصدر الأساسي لوسائل عيش سكان جبل لبنان ورفاهيتهم.

وتتوقف أسعار الشرانق والحرير التي تنتجها معامل غزل الحرير في جبل لبنان حصراً على الأسواق الفرنسية في مدينتي مرسيليا وليون. مما ألزم اللبنانيين على ادخال التحسينات المتواصلة على صناعة الحرير، وبناء معامل بخارية حسنة التجهيز لغزل الحرير يعمل فيها عدة آلاف من اللبنانيين واللبنانيات. وبتأسيسهم أول معمل بخاري لغزل الحرير في جبل لبنان دفع الفرنسيون صناعة الحرير إلى الأمام وساهموا في ارتفاع مستوى الرفاهية بين السكان عن طريق تأمين عمل دائم لعدد كبير من الأيدي العاملة وتأمين القروض اللازمة للمزارعين المحليين وصانعي الحرير من أجل تقوية انتاجهم.

وأشهر العائلات الفرنسية التي تملك معامل بخارية لغزل الحرير في جبل لبنان وتعمل في تصدير الحرير هي عائلات: Fortuné et Nicolas Portalis وعائلة Mourgue وعائلة Paluat وغيرها. ومن العائلات اللبنانية: نقولا دوماني، والاخوان أصفر، ويعقوب ثابت، وأسعد ملحم، ويوسف تيان، وحبيب نصر، والاخوان سرسق، وجورج تويني وغيرهم. أما معامل التجار المحليين فمؤسسه ومنظمة على الطريقة الفرنسية لأن الحرير الذي تنتجه مخصص بشكل حصري للأسواق الفرنسية. ولم تجر حتى الآن أية تجربة لارسال حرير جبل لبنان إلى روسيا. وما من شك أن أصحاب معامل الحرير في موسكو، لو كلّفوا أنفسهم عناء التعرف على انتاج الحرير في جبل لبنان عن قرب وعلى الطبيعة لوجدوا أنه من المفيد لهم اقامة علاقات مباشرة مع صانعي الحرير اللبناني.

طرق المواصلات

ان جميع تجارة جبل لبنان بوارداتها وصادراتها تتم بواسطة تجار وسماسرة المدن الساحلية، طرابلس وبيروت وصيدا الواقعة خارج حدود جبل لبنان وعبر مينائي البترون وجونيه في جبل لبنان.

وتتصل كل هذه المدن بجبل لبنان بواسطة طرقات تتشعب في اتجاهات مختلفة كما تتصل فيما بينها بواسطة طريق ساحلية ممتازة تمتد من طرابلس الى بيروت وصيدا وعكا وصولاً إلى مصر. لكن هذه الطرق كناية عن ممرات جبلية ضيقة لا تصلح الاّ للمشاة والخيالة بشكل

انفرادي، وللدواب المستخدمة حتى الآن كوسيلة وحيدة للسفر ونقل البضائع التي ينتجها جبل لبنان إلى المدن الساحلية أو يستوردها منها.

عام ١٨٦٢ بوشر بشق طريق واسعة من بيروت إلى بيت الدين مقر حاكم جبل لبنان العام بهدف تأمين العمل للبنانيين بعد طول عناء من الفوضى. وقد صرفت على شق هذه الطريق أموال ضخمة كانت قد أرسلت لمساعدة السكان من مختلف بلدان أوروبا وخاصة من انكلترا. وهي تتميَّز كثيراً عن الطرق اللبنانية السابقة، ولكنها أيضاً لا تصلح للعربات، ويقتصر استعمالها على المشاة والخيل والدواب ويبلغ اتساعها حوالى ثلاثة أمتار وهي مرصوفة بالحجارة على غرار الطرق الرومانية القديمة.

في عام ١٨٥٨ تأسست الشركة الفرنسية المساهمة: «الشركة الامبريالية العثمانية لطريق بيروت - دمشق» (Compagnie Impériale Ottomane de la Route Beyrouth-Damas) التي عملت سنتين في شق وبناء طريق مرصوفة رائعة بين بيروت ودمشق ودشَّنت عليها خط نقل الركاب والبضائع بواسطة عربات الديليجانس (عربات متعددة المقاعد لنقل الركاب والبريد) وعربات الشحن المصنوعة في فرنسا. وكانت تلك أول طريق مرصوفة في سوريا وهي تخترق جبل لبنان من الغرب إلى الشرق وتمر في تعرجات عبر سفوح الجبال وقممها ثم تنحدر إلى وادي البقاع عند قرية شتورة. يبلغ طول هذه الطريق ١١٢ ١/٢ كيلومتراً. وكانت الرحلة بعربة الديليجانس من بيروت إلى دمشق تستغرق ١٣ ساعة. أما عربة الشحن المحمَّلة فكانت تقطع المسافة بين بيروت ودمشق بيومين. ان حوالي نصف هذه الطريق يمر عبر جبل لبنان. ومن بيروت حتى قرية شتورة تستغرق الرحلة بالديليجانس ٨ ساعات ومنها إلى دمشق ٥ ساعات، وللبنانيين الحق باستعمال الطريق بواسطة الخيول مجاناً. أما أصحاب العربات والسائقون فيدفعون عن أنفسهم وعن حيوانات النقل رسوماً للشركة بمعدل قرش واحد من كل سائق عربة عن كل كيلومتر، وخمسة قروش عن كل جمل أو بغل. ولكي يتخلص المكارية من دفع هذه الرسوم يتجنبون استخدام الطريق المرصوفة ويسلكون الممرات القديمة مع دوابهم. لذلك تستغرق رحلتهم من بيروت إلى دمشق أربعة أيام.

يقع مركز ادارة شركة استثمار طريق بيروت - دمشق، في باريس وتتكون غالبية هيئة الموظفين فيه من الفرنسيين. وفي السنوات الأخيرة بدأ استثمار الطريق يعطي مداخيل جيدة للمساهمين ويملك القسم الأكبر من أسهم الشركة المدراء الذين اشتروا الأسهم في السنوات

الأولى لاستثمار الطريق عندما كان سعرها رخيصاً. أما الآن فتباع بسعر اسمي يبلغ خمسماية فرنك للسهم الواحد. .

وعمد أول متصرف لجبل لبنان، داود باشا، لشق طريق للعربات من بيت الدين وهي مركز الادارة اللبنانية، باتجاه خان المديرج لربطها بطريق دمشق، لكنه لم يكملها.

غير أن فرانكو باشا الذي حل مكانه رفض اكمال العمل الذي بدأه داود باشا ووجه اهتمامه لشق طرق أخرى، لا سيما طريق بيت الدين - بيروت. وقد أنفق على اعمال شق تلك الطريق ورصفها مبالغ كبيرة. لكنه لم ينجز منها الا الجزء الممتد بين بيت الدين ودير القمر فقط. وفي عهده تم شق طرقات للعربات من الحازمية (على مسافة ٥ كيلومترات من بيروت على طريق بيروت - دمشق) حتى قرية بعبدا حيث كان المقر الشتوي لادارة جبل لبنان ثم إلى كفرشيما. ومن هناك قرر داود باشا الاستمرار في شق الطريق لوصلها بطريق بيروت - بيت الدين التي كان قد أنجز منها القسم الممتد من بيت الدين الى دير القمر. وحالت وفاة فرانكو باشا دون تحقيق حلمه. وقد بنيت كذلك في عهده طريق تمتد من خان بحمدون على طريق بيروت - دمشق (١٧ كيلومتراً من بيروت) حتى بلدة عاليه الدرزية حيث تقضي فصل الصيف عائلات بيروتية كثيرة وقناصل الدول الأجنبية.

أهم الاشغال العامة التي نفذت في عهد فرانكو باشا في جبل لبنان كان الجسر الحديدي فوق نهر الدامور على الطريق الممتدة بين بيروت وصيدا، والجسر الحجري الذي أقيم على عدة قناطر فوق وادي الغدير على طريق الحازمية - كفرشيما.

ويولي حاكم جبل لبنان العام الحالي رستم باشا اهتماماً كبيراً لبناء طرق العربات في جبل لبنان، وقد استطاع حتى الآن أن يحقق في هذا المضمار أكثر مما فعله داود باشا وفرانكو باشا معاً. ففي عهد رستم باشا تمَّ شق وبناء طرقات العربات التالية:

١) من جونيه على ساحل البحر حتى غزير في قضاء كسروان.

٢) من قرية عاليه حتى سوق الغرب وعيتات حيث يقضي فصل الصيف فيهم عدد كبير من عائلات بيروت والاسكندرية.

٣) من عيتات إلى عين عنوب والشويفات حتى الجسر الحجري الذي ورد ذكره بالقرب من كفرشيما.

٤) من قرية الحدث حتى الضواحي الغربية من بيروت.

٥) من الحازمية حتى جسر بيروت على الضفة اليمنى لنهر بيروت ومن هناك إلى قرية بكفيا. وتتسم هذه الطريق بأهمية خاصة وهي ذات فائدة كبيرة للبنانيين لأنها تمكنهم من اقامة اتصال دائم بين مختلف أقضية جبل لبنان الشمالية والجنوبية مع تجنُّب ضرورة المرور عبر بيروت ومنطقتها. وعلى هذه الطريق وفي مكان يدعى باللغة العربية «المخاضّة» بنى رستم باشا في العام ١٨٨٠ عبر نهر بيروت جسراً ضخماً ورائعاً من الصخر المحلّي المنحوت وأقام على ناحيته اليمنى حديقة يتنزّه فيها سكان بيروت الذين يأتون إلى هناك كسائقي عربات أو خيّالة لسماع الموسيقى اللبنانية العسكرية التي تُعزف هناك كل نهار جمعة.

يبلغ طول جميع طرقات العربات التي بنيت في جبل لبنان قرابة ستين كيلومتراً. ومن أجل نقل البضائع إلى طرابلس وبيروت وصيدا ومنها، يستخدم اللبنانيون البحر لهذه الغاية أيضاً فهم يقتنون القوارب في مينائي جبل لبنان البترون وجونيه.

الجهاز السياسي والاداري والمالي والعسكري في متصرفية جبل لبنان

ا ـ النظام السياسي

على قاعدة النظام الذي وضعته اللجنة الأوروبية العالمية عام ١٨٦١ ثم أدخلت عليه بعض التعديلات في عام ١٨٦٤ تمتع جبل لبنان بحكم ذاتي ويرئسه متصرف مسيحي يعينه الباب العالي بالاتفاق مع ممثلي الدول العظمى ويتبعه مباشرة. يعيَّن حاكم جبل لبنان لمدة خمس سنوات قابلة للتمديد مرة أخرى ويتولى جميع حقوق السلطة التنفيذية. ويهتم المتصرف بالمحافظة على النظام والاستقرار الاجتماعي وجباية الرسوم والضرائب ويعين موظفي الادارة وفقاً للصلاحيات المعطاة له من قبل السلطان ويعين القضاة، ويدعو مجلس الادارة المركزي للانعقاد ويترأسه. وينفذ الاحكام التي يصدرها القضاة وفقاً للقانون.

وعلى أساس النظام المذكور قسِّم جبل لبنان إلى سبعة أقضية ادارية وفقاً لأغلبية عدد السكان من حيث طائفتهم الدينية. وهذه الأقضية المسماة قائمقاميات هي التالية:

قضاء الكورة وغالبية سكانه من الارثوذكس

أقضية { البترون، كسروان، المتن، جزين } وغالبية سكانها من الموارنة

قضاء زحلة وغالبية سكانه من الروم الكاثوليك

قضاء الشوف وغالبية سكانه من الدروز للمتصرف

وفي كل من هذه الأقضية نائب للمتصرف أو قائمقام يعينه الحاكم العام ويختاره من أوساط الطائفة الدينية التي تشكل أكثرية سكان القضاء أو تملك معظم العقارات فيها.

وينقسم القضاء الاداري أيضاً إلى نواحي أو مديريات بلغ مجموعها في كل جبل لبنان ٤٢ مديرية، ثلاثة منها للارثوذكس و٢٦ للموارنة، وسبعة للدروز ومركز واحد للروم الكاثوليك واثنان للمسلمين السنة وثلاثة للشيعة. يدير كل مركز مدير يعينه المتصرف بناء على اقتراح القائمقام، وفي كل قرية مختار أو شيخ ينتخبه أهالي القرية ويثبته المتصرف.

يقوم مخاتير القرى وشيوخها بدور قضاة الصلح والفصل في الدعاوى التي لا تزيد قيمتها عن مئتي قرش دون اللجوء إلى المحاكم. أما الدعاوى التي تزيد قيمتها عن هذا المبلغ فتحال إلى محاكم البداية ومنها في جبل لبنان سبع محاكم، أي واحدة في كل قائمقامية، وهي تتألف من قاض منفرد ومساعد له واثنين من الأمناء يعينهم جميعاً المتصرف.

تنتقل الادارة المركزية في جبل لبنان في فصل الصيف إلى قصر الأمير بشير الشهابي الثاني وهو القصر التاريخي الواسع في بيت الدين في قضاء الشوف، أما في الشتاء فمقرها قرية الحدث في قضاء المتن بالقرب من بيروت. تضم ادارة جبل لبنان المؤسسات التالية:

١) **مجلس الادارة الكبير لمتصرفية جبل لبنان**، وقوامه ١٢ عضواً تنتخبهم القائمقاميات بنسبة أربعة للموارنة، وثلاثة للدروز، وارثوذكسيين اثنين، وكاثوليكي واحد ومسلم سني واحد وشيعي واحد.

ولهذا المجلس صفة التمثيل الشعبي وله صلاحيات منها تحديد الضرائب ومراقبة المداخيل وتحديد النفقات واعطاء رأيه الاستشاري في جميع القضايا التي يطرحها عليه المتصرف. ويتجدد انتخاب ثلث عدد أعضائه كل سنتين كما يمكن اعادة انتخاب الأعضاء الذين تنتهي مدة عضويتهم في المجلس.

وفقاً لنظام جبل لبنان يعتبر المتصرف رئيساً لمجلس الادارة الكبير لكنه نادراً ما يترأسه شخصياً. فقد باشر مُنذ بدء تطبيق النظام الجديد بتعيين نائب المتصرف رئيساً للمجلس وهو دائماً ماروني. وذلك يشكل خرقاً واضحاً للنظام الجديد لمصلحة الموارنة من حيث المساواة في التمثيل داخل مجلس طوائف جبل لبنان وفقاً لما قررته اللجنة الأوروبية الدولية. وبسبب هذا التحيُّز يتمتع الموارنة حالياً بنفوذ طاغ في المجلس فإلى جانب الرئيس الماروني ثمة أربعة ممثلين موازنة فيه بالاضافة إلى عدد كبير من الأمناء المعينين.

٢) **مجلس القضاء الأعلى**: ويشكل محكمة الدرجة العليا وفقاً لنظام جبل لبنان فيما يختص

بالقضايا المدنية أو الجزائية. وهو يتألف من ستة قضاة يختارهم ويعينهم المتصرف بمعدل قاض واحد لكلٍّ من طوائف جبل لبنان الست الكبرى، ومن ستة محامين يختارون من بين أبناء هذه الطوائف نفسها. وفي عهد رستم باشا قسم مجلس القضاء الاعلى في جبل لبنان إلى محكمتين: واحدة للقضايا المدنية والثانية للقضايا الجزائية بحجة تقوية القضاء والسرعة في اصدار الأحكام. ولكن الهدف الحقيقي من ذلك كان إرضاء الدروز الذين اعربوا عن رغبتهم بأن يكون لهم ممثل في المحكمة العليا. ولبّى رستم باشا رغبة الدروز عن طريق انتهاك النظام. فبدلاً من محكمة عليا واحدة نص عليها النظام الجديد، أقام رستم باشا محكمتين أو غرفتين وترأس المحكمة المدنية ماروني والجزائية درزي. وكما في محاكم الدرجة الأولى كذلك في مجلس القضاء الأعلى كانت أصول المحاكمات تتم وفقاً لقانون السلطنة العثمانية أي وفقاً للشريعة الاسلامية والقانون العثماني.

٣) **قلم المالية**: يتكون من رئيس (محاسبجي) وهو عثماني تعينه اسطمبول ومحاسبين اثنين يتوليان ضبط حسابات الواردات والنفقات، وأربعة كتبة، وأمين خزنة ومساعد له. ويساعد رئيس هذا القسم المتصرف في إعداد الموازنات السنوية للإدارة اللبنانية.

من صلاحيات هذا القسم أيضاً اجراء جميع حسابات الادارة اللبنانية. فتخصص لهذه الغاية دفاتر حسابات مناسبة، وتراقب حسابات أمناء الخزينة في الأقضية والإدارة المركزية. ويعيَّن أمناء الخزينة من قبل المتصرف لمدة سنتين بناء على اقتراح المحاسبجي. وهم ملزمون في نهاية كل سنة بتقديم كشوف حساباتهم لقسم المالية لمراجعتها والتدقيق فيها.

٤) **قلم المساحة (دفتر خانة)**: وهو باشراف موظف واحد تحفظ عنده سجلات الاحصاءات والمساحة العقارية في جبل لبنان. وهو مسؤول عن توقيع عقود شراء وبيع الأملاك غير المنقولة.

٥) **قلم التحريرات الأجنبية والترجمة**: يتكون من مدير ومساعد له وستة كتبة ومترجم. ويوضع اثنان من الملحقين بهذا القسم بتصرف الحاكم العام. وتمر عبر هذا القسم الذي يمكن تسميته بالديوان السياسي كل التقارير المرفوعة إلى المتصرف. كما أن قرارات المحاكم ترسل إلى هذا القسم لترجمتها إلى اللغة الفرنسية قبل نشرها.

٦) **قلم التحريرات التركية**: يتألف من رئيس وأربعة أمناء.

٧) **قلم التحريرات العربية** من رئيس وستة كتبة.

٨) **قلم مجلس الادارة**: يتكون من رئيس ملحق بالادارة المركزية لجبل لبنان ووكيل نقل في بيروت وأربعة سعاة بريد. تبعث الرسائل الرسمية العائدة للسلطات اللبنانية والقناصل الأجانب في بيروت مجاناً، أما الرسائل الخاصة فيتقاضى عليها قسم البريد رسماً معيناً.

ويرتبط جبل لبنان بالشبكة العامة لخطوط التلغراف في آسيا الصغرى وفيه محطات للاتصالات البرقية الخارجية والداخلية. غير أن الموظفين وكل الخدمات البرقية تتبع مصلحة ادارة مراكز التلغراف العثمانية في الولايات السورية

II ـ النظام الاداري

يتولى المتصرف ادارة جبل لبنان بسلطات شبه مطلقة عن طريق المؤسسات والشخصيات الادارية الوارد ذكرها آنفاً والتي يتم تعيينها أو استبدالها وفقاً لمشيئته. أما مجلس الادارة الكبير الذي يفترض أن يلعب دور المراقب لاعمال السلطة التنفيذية وحماية حقوق جميع اللبنانيين ومصالحهم وفقاً لقرار اللجنة الدولية التي صاغت النظام الجديد، فلم يكن تماماً على مستوى مركزه السامي اذ يستحيل أن يتفق أعضاؤه فيما بينهم على الخير العام لجبل لبنان ومصالح سكانه. ولا يهتم أي عضو فيه الاّ بالمصالح الضيقة للطائفة التي ينتمي اليها ويحمل مطالبها. هكذا يقف الاعضاء بعضهم في مواجهة البعض الآخر بصورة مستمرة وليسوا بالتالي في حالة تمكنهم من مجابهة المتصرف لدى قيامه بأعمال منافية للقانون. ونتيجة لذلك الوضع تقترن رغبة المتصرف بموافقة مجلس الادارة الكبير وتتخذ أكثرية الأعضاء قرارات مجحفة بحقوق الأقلية ومصالحها. وفيما عدا ذلك لا يتمتع أعضاء مجلس الادارة الكبير بأية استقلالية، أو امكانية اتخاذ المبادرة لأن انتخابهم لا يتم فعلاً بحرية أو بعيداً عن نفوذ السلطة التنفيذية وضغوطها. ويأخذ معظم الاعضاء هذا الوضع بعين الاعتبار. فيضحّون بحقوق البلاد ومصالحها من أجل مصالحهم وأرباحهم ويتحولون إلى أدوات طيعة في يد المتصرف خشية أن يفقدوا مناصبهم في الانتخابات الجديدة على أساس أن ثلث عدد أعضاء هذا المجلس ينتخب كل سنتين مع احتفاظ الاعضاء المنتهية مدة عضويتهم بحق إعادة انتخابهم.

ومع أن القانون يفرض أن تكون دوائر القضاء في جبل لبنان مستقلة عن السلطة التنفيذية. إلاّ أن الحاكم العام يتدخل فيها ويفرض عليها قراراته بشكل تعسفي ولا سيما فيما يختص بالقضايا التي ينظر فيها مجلس القضاء الأعلى ويصدر قراراته بشأنها. غير أن النظام الجديد منع فصل القاضي عن منصبه الاّ إذا أثبت التحقيق في تصرفاته وأعماله أنه غير جدير

بهذا المنصب. ومع ذلك فإن رستم باشا كثيراً ما سمح لنفسه بتغيير القضاة دون مسوغ قانوني ولا سيما أولئك الذين يتميزون بنزاهتهم واستقلال قراراتهم. ولا يتمتع القضاة بحصانة كافية حيال تعسُّف الباشا ونزواته وهم في قلق دائم على مناصبهم ومضطرون أحياناً للتصرف خلافاً لقناعاتهم الذاتية ويصوتون وفقاً لمشيئة المتصرف أو من يمثله خاصة في القضايا موضع النزاع والمتعلقة بحقوق طوائف الأقليات ومصالحها. وخلافاً للقانون الأساسي للمتصرفية قسم المتصرف مجلس القضاء الأعلى إلى غرفتين واحدة للقضايا المدنية وأخرى للقضايا الجزائية بحيث يكون رئيس الأولى مارونياً والثانية درزياً بصورة دائمة. ولم يستند المتصرف في ذلك القرار إلى أي مبرر علماً أنه ينتقص من حقوق الطوائف الأخرى، كما يسيء إلى سير عمل الدوائر العدلية. ويسعى كل من الرئيسين الماروني والدرزي، بسبب الخلافات القائمة بين الطوائف، إلى معاضدة أبناء طائفته معتبراً ذلك عملاً وطنياً ويرى من واجبه كسب القضية بأية وسيلة ضد أبناء الطوائف الأخرى. وقد لوحظت مثل هذه الحالات خاصة من قبل الموارنة ـ رئيس المحكمة وأعضائها ـ لأن رئاستهم الروحية العليا تمارس عليهم تأثيراً كبيراً وتتدخل دوماً في شؤونهم.

ومع ذلك، يصطدم متصرف جبل لبنان ببعض القيود التي تحد من سلطته المطلقة. وتنحصر تلك القيود في مجال المراقبة والتدخل من قبل قناصل الدول العظمى. فيعترضون، بناء على طلب أو شكاوى الأهلين، على انتهاك النظام الجديد ويصرّون على حمايته من أية اجراءات تعسفية أو جائرة. وفي مثل هذه الأمور يقيم المتصرف أقوى العلاقات مع قناصل فرنسا وبريطانيا وروسيا. واذ يعتبر الموارنة فرنسا حامية لهم فهم يبحثون عن الحماية والعون عند ممثليها باستمرار ويحذو الروم الكاثوليك حذوهم فيما يتوجه الدروز بذلك إلى القنصل البريطاني العام، والارثوذكس إلى القنصل الروسي. وعندما يكون الأمر متعلقاً بالمصلحة العامة لجميع اللبنانيين وليس فقط لهذه القائمقامية أو تلك، فإن عرائض الشكاوى توجه إلى جميع القناصل العامين للدول العظمى. فيعقد هؤلاء اجتماعات عامة للنظر فيها. وإذا كانت الشكاوى متسمة بأهمية خاصة، يرفعها القناصل إلى المتصرف نفسه.

ولما كان المتصرفون في جبل لبنان تابعين للباب العالي مباشرة، فإنهم لا يوقفون محاولاتهم لارضاء الباب العالي في كل شيء ويتحولون إلى أدوات طيعة في يده، وغالباً ما يكون ذلك على حساب حقوق اللبنانيين ومصالحهم. وفي هذا المجال أظهر رستم باشا ضعفاً ملحوظاً. فبالاضافة إلى اللامبالاة غير المبررة التي أظهرها حيال سلامة أراضي جبل لبنان المحددة في

النظام الجديد متنازلاً عن قطاعات معينة كالمعيصرة في الكورة مثلاً، فإنه أبدى استعداداً أيضاً للموافقة على ارسال النواب اللبنانيين إلى برلمان مدحت باشا الشهير وتجهيز المتطوعين اللبنانيين خلال الحرب الأخيرة بين روسيا والسلطنة العثمانية. يتصل متصرف جبل لبنان بالباب العالي في جميع الأمور المتعلقة بادارة الجبل. وترسل الاحكام بالاعدام التي تصدر عن المحكمة الجزائية إلى اسطمبول للمصادقة عليها، كما يرفع إليها كذلك كل استئناف أو طعن خاص بالاحكام المتعلقة بالقضايا المدنية وغيرها من الدعاوى.

ويوجه الباب العالي تعليماته إلى متصرف جبل لبنان تماماً كما يوجهها إلى أي من ولاة سوريا. وبكلمة واحدة يمكن القول ان الباب العالي يتعامل مع جبل لبنان على أنه ولاية عثمانية. ولا تختلف طريقة التعامل الا تبعاً لقوة الشخصية التي تقف على رأس ادارة الجبل. فكلما كان متصرف جبل لبنان ضعيفاً انخفضت بالقدر نفسه منزلة ولاية جبل لبنان بنظر الباب العالي حتى تصل إلى منزلة ولاية عثمانية عادية.

ورغم العيوب المتعددة في الادارة اللبنانية، والتي تنبع من سلوك الذين كُلِّفوا تطبيق بنود النظام الجديد أكثر مما هي متعلقة بالنظام نفسه، لا بد من الاعتراف أن الإدارة اللبنانية الذاتية حملت لجبل لبنان الهدوء الذي نادراً ما شهده في السابق بسبب الفتن والخصومات الداخلية وبسبب عجز التنظيم العسكري الثابت للسلطة المحلية، كما أنها ساهمت إلى حد كبير في تحسين الأوضاع المعنوية والمادية للسكان.

فمنذ العام ١٨٦١ وعلى مدى قرابة عشرين عاماً ـ باستثناء انتفاضة الموارنة في شمال لبنان بقيادة يوسف كرم التي حدثت في مستهل فترة تطبيق النظام الجديد بسبب تدخلات الرئاسة الروحية المارونية ـ لم تحدث أية أعمال جدية مخلة بالأمن أو اشتباكات مسلحة في الجبل. وعم السلام الاجتماعي سائر أنحاء جبل لبنان وأصبحت أعمال السلب والنهب والقتل حالات نادرة بعد ان كانت واسعة الانتشار في الفترة السابقة. وتبعاً لذلك ازداد عدد السكان وارتفعت قيمة الممتلكات العقارية ومساحتها بنسبة جاوزت ٥٠٪ بالمقارنة مع الفترة السابقة. كما أن النشاط الصناعي والتجاري للسكان تطور إلى حد كبير وظهرت في نمط حياتهم مؤشرات تدل دونما شك على التقدم والازدهار.

وشرعت الادارة اللبنانية في الفترة الأخيرة أيضاً بتطبيق بعض التدابير الصحية كالتلقيح الاجباري ضد الجدري بالاضافة إلى اجراءات صحية وقائية متنوعة في المناطق المعرضة لخطر

الأوبئة. لكن تنفيذ هذه التدابير اصطدم بعراقيل كبيرة من جانب الدروز. مما أرغم المتصرف على استخدام التهديد وفرض الغرامات لتنفيذ تلك التدابير ولتجنيب المنطقة ولو جزئياً خطر اجتياح مثل هذا الوباء الخطير لجبل لبنان.

ويسهر على استتباب الهدوء الداخلي والأمن الاجتماعي رجال الجندرمة الذين يأتمرون بإمرة القائمقامين ويتراوح عددهم ما بين ٣٠ إلى ٦٠ رجلاً وفقاً لمساحة القضاء، ورجال الشرطة المكلفين بالمحافظة على الطرق الممتدة من طرابلس إلى بيروت وصيدا والقسم الذي يمر عبر مناطق جبل لبنان من طريق عام بيروت ـ دمشق.

فالإدارة اللبنانية الحالية التي أقامها النظام الجديد والتي تمَّ تثبيتها في عام ١٨٦٤ ضمنت للّبنانيين المزيد من الاستقرار الداخلي والأمن الاجتماعي، كما ضمنت الحقوق الشخصية وحقوق الملكية وحق اللجوء إلى القضاء. فتفوقت بذلك على ما ضمنته الادارة العثمانية لسكان الولايات المجاورة الخاضعة للولاة أو الحكام المسلمين. وأخذ السكان المسيحيون في تلك الولايات ينظرون بشيء من الحسد إلى وضع سكان جبل لبنان.

ولا بد من الاعتراف أن الادارة اللبنانية لا ترقى إلى درجة الكمال ولا يرتجى منها تحقيق كل الاهداف التي توخاها واضعو نظام جبل لبنان. ومع ذلك فمن أجل تلافي العيوب التي ظهرت في هذه الادارة، لا ينبغي، في الوقت الحاضر على الأقل، ادخال أية تغييرات أو اصلاحات جديدة ولا يطلب من المتصرف الآن الا أن يستوعب منطلقات النظام الأساسي الجديد ومراميه وان يعمل على تطبيقه بدقة وعدل دون تعريضه لأية انتهاكات، أو يتراجع عن بعض بنوده.

ونشير هنا إلى أهم التدابير التي ينبغي اتخاذها للحيلولة دون انتهاك النظام ومن أجل تحديد صلاحيات ووظائف المؤسسات الادارية والقضائية على نحو صحيح:

١) لكي يتمكن مجلس الادارة الكبير لجبل لبنان من تحقيق أهدافه فعلاً، ومن أجل أن يقدم لجبل لبنان الفائدة التي توخاها منه اللجنة الدولية واضعة النظام الجديد، لا بد أن يكون أعضاؤه احراراً ومستقلين تماماً في آرائهم وأعمالهم، وفي سبيل ذلك لا بد أن يكون انتخاب الاعضاء وخروجهم من عضوية المجلس خارج اطار نفوذ أو ضغط المتصرف أو أجهزة الادارة.

٢) يجب الغاء منصب نائب رئيس هذا المجلس المخصص للموارنة والذي لم ينص عليه النظام الجديد، بل هو مخالف لنصه وروحه لأنه يضرب مبدأ المساواة بين الطوائف لمصلحة الموارنة في جبل لبنان. أما إذا كان المتصرف بحاجة لهذا المنصب لكي يستريح من عناء بعض المسؤوليات الملقاة على عاتقه بالنسبة لتمثيله في المجلس، فمن الممكن أن يكلف بذلك جميع أعضاء المجلس مداورة ولمدة معينة فيكون بذلك عادلاً بين جميع طوائف جبل لبنان وأكثر استجابة لحقوقها ومصالحها.

٣) منح المزيد من الاستقلال لمجلس القضاء الأعلى (الغرفة المدنية والغرفة الجزائية) ورفع تعسف المتصرف بتطبيق البند الحادي عشر من نظام جبل لبنان الذي لا يسمح بفصل القاضي من منصبه الاّ في حالة إثبات عدم جدارته في منصبه وبعد اجراء التحقيق أو النظر في دعوى قانونية مقامة ضده.

٤) يجب أن يتعاقب على رئاسة كل من المحكمتين المدنية والجزائية قضاة من جميع طوائف جبل لبنان مداورة ولمدة معينة وأن لا يظل التعيين محصوراً بالموارنة والدروز بناء على رغبة رستم باشا، مع افضلية تعيين القضاة المتميزين بسعة معارفهم الحقوقية، وبأصول المحاكمات، وبالنزاهة والاستقامة.

ونشير هنا إلى أن هذه القاعدة وردت في نص المشروع الأول لنظام جبل لبنان عام ١٨٦١ ولا يعرف لماذا وفي أية ظروف أو مبررات أو بناء لأية ضغوط تم حذفها من نص المشروع الجديد الذي طبق في عام ١٨٦٤. وفي سبيل تأمين العدالة بالنسبة لجميع طوائف جبل لبنان وضمان حسن سير المحاكمات، على المتصرف ان يعيد العمل بهذه القاعدة. فعند تطبيق نظام المداورة في الرئاسة لا يبقى ثمة مجال لأن يتخذ القضاة أية قرارات متحيزة أو تعسفية كما نرى الآن في المحاكم على حساب مصالح الطوائف التي حرم أبناؤها من حق الرئاسة.

٥) ورد في البند الرابع عشر من نظام جبل لبنان الجديد أن الحفاظ على النظام وتطبيق القوانين منوطان بشرطة مختلطة تجمع من بين سكان جبل لبنان بنسبة سبعة افراد عن كل ألف نسمة. وكان هذا القرار عرضة للانتهاك المستمر ولا سيما في الفترة الأخيرة في عهد رستم باشا الذي لجأ إلى كل الوسائل في محاولة لتعزيز العنصر الدرزي إرضاءً لبريطانيا.

ففي جبل لبنان يُشغل الارثوذكس المركز الثاني بعد الموارنة من حيث نسبة عدد السكان. ويشغل الدروز المركز الثالث والروم الكاثوليك المركز الرابع. لذا يجب أن يكون تشكيل

الشرطة متفقاً مع هذه النسبة بين طوائف جبل لبنان أي أن تكون أكثرية أفراد الشرطة من الموارنة والارثوذكس ويأتي بعدهم الدروز ثم الروم الكاثوليك. أما واقع الأمر، وبسبب الاختيار التعسفي وقبول المتطوعين، تتضمن الشرطة الآن عدداً من الدروز يضاهي عدد الموارنة فيها تقريباً. كما أن عدد أفراد الشرطة من الروم الكاثوليك يبلغ ضعف عددهم من الارثوذكس.

فبهدف استتباب الاستقرار الاجتماعي وتمكين الادارة من القيام بواجباتها على نحو صحيح، ومن وجهة نظر سياسية سليمة، يستحسن أن تتشكل الشرطة اللبنانية على أساس البند المذكور آنفاً من نظام جبل لبنان. إذ أن انتهاك هذا البند لصالح الدروز يشكل عاملاً لعدم الاستقرار وعنصر عداء شديد للمسيحيين وقد يتحول مع الزمن إلى عنصر قاتل بالنسبة لجبل لبنان. لكن رستم باشا مع الأسف في محاولاته العمياء لارضاء بريطانيا يضحّي بالمصالح الأساسية لجبل لبنان متناسياً أن النظام الجديد أُعد من قبل لجنة دولية بعد مذبحة رهيبة نفذها الدروز ضد المسيحيين. وكان الهدف الأساسي لذلك النظام عدم تقوية الدروز أو تغليبهم، بل المحافظة على الطوائف المسيحية وضمان مصالحها. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، وبناء على اصرار الدول العظمى منحت تلك الطوائف حق ترئيس حاكم مسيحي عليها من رعايا السلطنة العثمانية.

III - التنظيم المالي

فيما يتعلق بمالية جبل لبنان، نص البند الخامس عشر من القانون الأساسي لعام ١٨٦٤ ان الباب العالي يمنح نفسه حق جباية ٣٥٠٠ كيس (١,٧٥٠,٠٠٠ قرشاً) بواسطة المتصرف، ويشكل هذا المبلغ الآن الضريبة المترتبة على جبل لبنان ويمكن رفعه إلى ٧٠٠٠ كيس عندما تسمح الظروف بذلك، ومن المفهوم ان هذه الواردات يجب أن تستعمل قبل كل شيء لتغطية نفقات الادارة اللبنانية وتنفيذ مختلف الاشغال العامة. على أن يذهب الفائض، إذا كان هناك من فائض، إلى خزينة الدولة.

وإذا كانت النفقات العامة اللازمة لتأمين حسن سير عمل الادارة تفوق واردات الضريبة فيجب على الخزينة السلطانية عندئذ تقديم المبالغ اللازمة لتغطية النفقات الزائدة. أما المداخيل الواردة من أملاك الدولة، وهي مستقلة عن الضريبة، فتدخل خزينة جبل لبنان كقرض لحسابها من خزينة السلطنة. في مجال الاشغال العامة أو أية نفقات طارئة أخرى،

ليس الباب العالي مسؤولاً إلّا إذا كانت هذه النفقات مقررة ومصادقاً عليها سلفاً.

لم تكن قد مرت فترة طويلة على المباشرة بتطبيق النظام الجديد حتى رُفعت الضريبة المفروضة على جبل لبنان إلى حدها الأقصى المبيَّن في البند السابق أي إلى ٧٠٠٠ كيس أو ٣,٥٠٠,٠٠٠ قرش. ويُجبى هذا المبلغ من الرسوم الجزائية ورسوم الأراضي المملوكة وفقاً للنظم والعادات التي كانت سارية قبل تطبيق النظام الجديد.

أما توزيع الضرائب فيتم سنويا بواسطة مجلس الادارة الكبير على أساس احصاء السكان الذكور وتخمين قيمة العقارات التي تقوم به لجنة التخمين المشكَّلة عام ١٨٦١ حين كان عدد السكان الذكور ٩٩٩٢٧ نسمة وكانت قيمة الأراضي ١٣٨,١٢٥ درهم. ويتم تقاضي ضريبة النفوس بمقدار ٨ قروش عن كل نسمة (من سن ١٦ حتى سن ٦٠ سنة) أما ضريبة الأراضي فتتراوح بين ٢٠ و٢٢ قرش عن كل وحدة مساحة عقارية أي عن كل درهم. وتخضع للضرائب العقارية الاراضي المحروثة ومزارع التوت واشجار الزيتون ومكابس العنب. أما بيوت السكن فمعفاة من الضرائب العقارية.

ولما تبيّن أن الحد الأقصى للاتاوات وهو سبعة آلاف كيس لا يكفي لتغطية نفقات الادارة ورواتب الشرطة التي يجب أن يرتفع عدد أفرادها إلى سبعة آلاف رجل، قدم الباب العالي إلى جبل لبنان المداخيل الواردة من الممتلكات الحكومية والتي تتراوح نسبتها ما بين ٤٠٠ إلى ٤٢٠ ألف قرش في السنة. وبالإضافة إلى ذلك وافق الباب العالي أن يمنح جبل لبنان دعماً مالياً من واردات جمارك بيروت بقيمة ٣٥٠٠ كيس في السنة.

وظل هذا الدعم المالي يدفع بشكل منتظم ودقيق إلى ادارة جبل لبنان خلال خمسة عشر عاماً. وعندما أصيبت مالية الباب العالي بالعجز التام في السنوات الأخيرة، بدأ ذلك الدعم يتناقص. وبدلاً من قبض الأموال من جمارك بيروت بدأت اسطمبول ترسل إلى متصرف جبل لبنان حوالات مسحوبة على ولايات سورية أو غيرها ولم تكن تلك الولايات بدورها تدفع قيمة الحوالات المذكورة وأخيراً أوقف الباب العالي في العام ١٨٨٠ الحالي إرسال تلك الحوالات نهائياً.

وأقدم رستم باشا، بناء على تعليمات الباب العالي في العام المنصرم (١٨٧٩)، على تقليص النفقات إلى حد كبير وتخفيض رواتب الموظفين بنسبة ١٠٪ وحسم مبلغ ٢٣٠,٠٠٠ قرش من الميزانية بعد أن كان هذا المبلغ ينفق على المدارس. وبهذه التدابير تمكن من تخفيض

قيمة الدعم المالي إلى ٩٤٢,٢١٨ قرش. غير أن هذا المبلغ أيضاً لم يعد يُدفع له، وطُلب منه مرة أخرى اجراء تخفيضات جديدة في النفقات. وفي الميزانية التي قدمها المتصرف إلى الباب العالي عن السنة الحالية من أول آذار ١٨٨٠ حتى آخر شباط ١٨٨١ خفض نفقاته الاستثنائية من عشرة آلاف إلى خمسة آلاف قرش شهرياً. وأوقف المساعدات التي كان يقدمها إلى مجلة «حديقة الأخبار» ومدارس بيت الدين. وألغى وظيفة «تحصيل دار» (جابي الضرائب) وخفض عدد رجال الشرطة ورجال الجندرمة (الضابطية).

هكذا أنزل رستم باشا عجز الميزانية أو قيمة الدعم المالي الوارد من الباب العالي إلى ٦١٢,٠٠٠ قرش، لكن اسطمبول لم تصادق على تلك التخفيضات وطالبت بأن تقدم الميزانية دون عجز، أي أن تقوم الادارة اللبنانية بموازنة مداخيلها مع نفقاتها دون الاعتماد على أي دعم مالي مقبل. ونتيجة لهذا الطلب ادخل رستم باشا تخفيضاً جديداً على رواتب الموظفين بنسبة ١٥٪ كما خفض عدد أفراد الشرطة والضابطية وارسل إلى الباب العالي كشفاً جديداً تحددت فيه أرقام النفقات بقيمة ٣,٩٢٨,٢٥٦ قرش تغطّى من اتاوات النفوس والضرائب العقارية والمداخيل الواردة من صيد الاسفنج والرسوم الجمركية.

ميزانية جبل لبنان لسنة ١٢٩٥ هجرية

(من أول آذار ١٨٧٩ حتى أول آذار ١٨٨٠م)

الواردات	في الشهر قرش	في السنة قرش
١) رسوم عقارية وضريبة نفوس	—	٣,٥٠٠,٠٠٠
٢) مداخيل من أملاك الدولة في الكورة والبترون وكسروان	—	٢٩٩,١٣٠
٣) مدخول الخزينة من أشجار الزيتون	—	٢٥,٠٠٠
٤) واردات تأجير معاصر الزيتون	—	٢,٧٠٠
٥) مداخيل أملاك الدولة في الهرمل	—	٥٥,٠٠٠
العجز الذي يسده الدعم المالي	—	٩٣٩,٤٩٤
المجموع	—	٤,٨٢١,٣٢٤

النفقات	في الشهر	في السنة
الرواتب:	قرش	قرش
راتب المتصرف	٢٢,٥٠٠	٢٧٠,٠٠٠
مصاريف استثنائية للمتصرف	١٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠
رواتب القائمقامين	١٨,٠٥٠	٢١٦,٦٠٠
رواتب المديرين	٢١,٧٠٠	٢٦٠,٤٠٠
رواتب مختلف الموظفين وياوران الباشا وعمال حدائقه وغيرها	١,٥٤٠	١٨,٥٤٠
مجلس الادارة الكبير	١٤,٤٢٠	١٧٣,٠٤٠
قسم المراسلات الأجنبية	١٠,٠٢٠	١٢٠,٢٤٠
قسم المراسلات التركية	٥,٠٣٥	٦٠,٤٢٠
قسم المراسلات العربية	٥,٢٥٠	٦٣,٠٠٠
قسم المالية	٩,٠١٠	١٠٨,١٢٠
اعانات إلى مجلة «حديقة الأخبار»	٢,٧٠٠	٣٢,٤٠٠
إعانات للمدارس	٧٦٥	٩,١٨٠
تعويضات لارامل رجال الشرطة	٦٠٠	٧,٢٠٠
اعانات إلى أفراد	٥٥٨٠	٦٦,٩٦٠
اعانات للمساجد وغيرها	٢٤٩,٢٠٠	٢,٩٩٤
خزائن الاقضية	٣٣٥٠	٤٠,٢٠٠
دفتر خانة (مكتب المساحة)	٤٥٠	٥,٤٠٠
جباة الضرائب	١١٠٠	١٣,٢٠٠
نفقات مباني المحاكم	٤١٩١	٥٠,٢٨٠
المحكمتان المدنية والجزائية	١٨٩٢٥	٢٢٧,١٠٠
هيئات محاكم الأقضية	١٥١٨٠	١٨٢,١٦٠
الشرطة	١٤٧٨٧٣	١,٧٤٤,٤٧٦
الجندرمة في الاقضية	٦٧٦٩٠	٨١٢,٢٨٠
موظفو وحراس السجون	١٧٢٥	٢٠,٧٠٠
نفقات صيانة السجون	٥٨٣٣,٢٥٠	٧٠,٠٠٠
استئجار منازل	٣١١٩,٢٥٠	٣٧,٤٣٤
مصاريف استثنائية للموفدين والتحقيقات	٨٣٣,٢٥٠	١٠,٠٠٠
كتبة وحراس الدواوين	٤٠٨٣,٢٥٠	٤٩,٠٠٠
المجموع	٤٠١,٧٧٧	٤,٨٢١,٣٢٤

ميزانية جبل لبنان لسنة ١٢٩٦ هجرية
(من أول آذار ١٨٨٠ حتى أول آذار ١٨٨١)

الواردات	
١) الرسوم العقارية وضريبة النفوس	٣,٥٠٠,٠٠
٢) مداخيل أملاك الدولة	٣٤٦,٢٥٦
٣) رسوم صيد الاسفنج	٧٠,٠٠٠
٤) رسوم المحاكم	١٢,٠٠٠
المجموع قروش ذهبية	٣,٩٢٨,٢٥٦

النفقات	
رواتب موظفي الادارة المركزية والأقضية	٩٩٦,٣٦٠
نفقات متفرقة للادارة المركزية والأقضية	١٤٤,٤٣٥
رواتب موظفي المحاكم	٣٤٨,٨٤٠
رواتب موظفي المالية	١٩٥,٢٥٨
مصاريف قسم المالية	٤١,٠٤٠
رواتب ومصاريف الشرطة والجندرمة	٢,٠٩٣,٩٨٣
صيانة السجون	٨٦,٧٤٠
راتب مهندس واحد	٢١,٦٠٠
المجموع قروش ذهبية	٣,٩٢٨,٢٥٦

وبالاضافة إلى بنود الواردات المشار إليها في الميزانية يملك متصرف جبل لبنان أيضاً مداخيل جانبية أخرى أمَّنت له في سنة ١٨٧٩ مبلغ ٢٨٥,٤٠٠ قرشاً وهي تتألف من الرسوم على الأغنام والماعز (بمعدل قرشين أو قرشين ونصف عن كل رأس) ومن مختلف رسوم الانتاج التي تجبى في زحلة وجبيل والبترون. توضع هذه الواردات المعروفة تحت اسم «محمولات» والتي لا تدخل في المجموع العام للضرائب في جبل لبنان باشراف المتصرف ومجلس الادارة الكبير وتخصص لتغطية نفقات بناء الطرق وتنفيذ مختلف الأشغال العامة. ولضمان جباية هذه الواردات يمكن تلزيمها الى متعهدين باستثناء الضرائب التي تجبى على

الأغنام والماعز فتتولى جبايتها الأجهزة الحكومية مباشرة. وخلال السنة المالية الجارية رفعت هذه الضريبة بمعدل قرش ونصف وبالتالي ينتظر أن تزيد الواردات بمقدار مئة ألف قرش بالقياس إلى السنة الماضية.

يتم تحصيل الضرائب المقررة في جبل لبنان أي الضرائب العقارية وضريبة النفوس في فترة تربية دود القز أي في شهري حزيران وتموز. وبناء على أمر المتصرف يقوم رؤساء الأقضية (القائمقامون) بتزويد المدراء بتعليماتهم فيقوم هؤلاء بارسال رجال الجندرمة (الضابطية) إلى قضاء الصلح التابعين للسلطات أو للطوائف لمساعدتهم على الجباية.

وكل قاضي صلح لدى الطوائف مسؤول عن ثلاث أو أربع قرى. وهو يمسك بدفتر مساحة تفصيلي يتسلمه من المجلس الاداري المركزي ويتضمن لوائح بأسماء المكلفين الذين يدفعون الضرائب والرسوم. وهو يتحمل مسؤولية جباية ضريبة النفوس بمساعدة المخاتير ويحرر الايصالات ويوقعها ويمهرها بخاتمه. ويحق له لقاء عمله الحصول على بارتين من كل قرش أي ٥٪ من الضرائب المجباة. أما المبالغ التي يجبيها فيحولها إلى خزينة القضاء (القائمقامية) بعد أن يأخذ ايصالاً من أمين خزينة القضاء.

ويرسل أمناء خزائن الاقضية بدورهم المبالغ الواردة لهم إلى خزينة الإدارة المركزية ويحصلون لقاء ذلك على ايصالات بتوقيع أمين الخزينة بعد أن يصادق على الايصالات رئيس قسم المالية (المحاسبجي). وفي كل مرة يتم فيها تحويل المبالغ المالية من قبل أمناء خزائن الأقضية إلى الخزينة المركزية يتوجب على أمناء الأقضية اعلام المتصرف بذلك لأنهم مسؤولون عن صحة جباية ضريبة النفوس وايصالها إلى الخزينة المركزية.

خلال السنوات الأخيرة درجت العادة أن يدفع أمناء خزائن الأقضية رواتب الموظفين التابعين للأقضية من المبالغ الواردة إلى صناديقهم ولا يرسلون إلى الخزانة المركزية الاّ ما يتبقى بعد ذلك. غير أن رستم باشا غيّر هذا النظام مجيزاً لأمناء خزائن الأقضية استخدام مختلف وسائل الاختلاس. كما أنه حصر مسألة دفع رواتب جميع موظفي جبل لبنان بالخزينة المركزية التي تتجمّع فيها كل المبالغ المجباة من الضرائب.

لا يمكن اعتبار الرسوم المجباة من جبل لبنان، بالنسبة التي تجبى بها حتى الآن، باهظة أو مرهقة للسكان، لكنها كانت كافية بسبب الدعم المالي السَّخي والذي استمر سنوات عديدة من قبل الباب العالي. أما الآن فأصبحت غير كافية لتغطية جميع النفقات الضرورية للادارة

اللبنانية. وبعد توقف الدعم المالي من قبل الباب العالي برزت الحاجة الملحة إلى زيادة الرسوم أو البحث عن مصادر جديدة للمداخيل وفرض ضرائب جديدة على المواد المعفاة حتى الآن من أية ضرائب الزامية.

ورغم أن اعلان نظام جبل لبنان عيَّن في مادته الخامسة عشرة حدّاً أقصى للضرائب والفرائض المجباة من جبل لبنان وهو سبعة آلاف كيس، فعند الضرورة التي تتطلبها حاجات الادارة يمكن لهذا المبلغ أن يُرفع وفقاً للمادة الاضافية التي صدرت في بروتوكول ٦ حزيران ١٨٦١. فقد نصت المادة السادسة على إعفاء المباني السكنية في جبل لبنان من الضرائب وكذلك فبارك الحرير التي يملكها السكان المحليون من البيروتيين والاجانب ويبلغ عددهم قرابة السبعين. بالاضافة إلى ذلك فخلال العشرين سنة التي انقضت على إجراء أول مسح طوبوغرافي ازدادت مساحة الأراضي المملوكة في جبل لبنان إلى درجة كبيرة وتضاعفت قيمتها تقريباً. وتبعاً لذلك لم تشكل الزيادة الطفيفة التي طرأت على ضريبة الأراضي عبئاً مرهقاً للّبنانيين سيما وأنها فرضت على الفبارك وبعض الأبنية السكنية والممتلكات التي تخص البطريركية المارونية في كسروان. وبالمقارنة مع المقاطعات الأخرى للسلطنة العثمانية فإن جبل لبنان يدفع ضرائب وفرائض تعتبر زهيدة بالمقارنة مع ما تدفعه المقاطعات العثمانية الأخرى.

١٧ ـ الشرطة أو الضابطية

بهدف المحافظة على الأمن الداخلي والهدوء الاجتماعي وللحفاظ على أمن الطرق الرئيسية الممتدة بين بيروت ودمشق، وبين صيدا وطرابلس، احتفظت ادارة جبل لبنان بشرطة وجندرمة محلية موضوعة بتصرف رؤساء الأقضية والمراكز الادارية (القائمقاميات والمديريات). وقد ورد في البند الرابع عشر من النظام الأساسي لجبل لبنان حول الشرطة والجندرمة أنه في أوقات السلم يضمن الحاكم العام أمر الحفاظ على النظام وتطبيق القوانين بمساعدة فيلق مختلط من الشرطة يجب أن يتشكل من جميع طوائف جبل لبنان بنسبة سبعة أفراد عن كل ألف نسمة. وعلى أساس هذا البند ينبغي أن يبلغ تعداد أفراد شرطة جبل لبنان ١٤٠٠ رجلاً باعتبار أن عدد سكان جبل لبنان من جميع الطوائف قدر بمئتي ألف نسمة من الجنسين وفقاً للاحصاء الرسمي لعام ١٨٦١. في الواقع، عدد أفراد الشرطة لم يزد يوماً عن ٧٠٠ إلى ٧٦٠ رجلاً بالإضافة إلى أفراد الجندرمة الذين يتولون الخدمة عند رؤساء الأقضية والمراكز الادارية، وليست في جبل لبنان خدمة عسكرية اجبارية.

يتم الالتحاق بسلك الشرطة اختيارياً على أساس شروط معينة ولمدة محددة. وقبل التخفيض الذي نفذه رستم باشا مؤخراً لضرورة عصر نفقات الادارة، وصل عدد أفراد الشرطة إلى ٧٦٠ رجلاً بمن فيهم الضباط والموسيقيون وأفراد الخدمات الطبية وموظفو وعمال المستشفى العسكري والترسانة العسكرية. قوام شرطة جبل لبنان كتيبة مشاة واحدة من ضمنها أيضاً سريّة خيّالة. كما تضم كتيبة المشاة ٣٥ ضابطاً بينهم ميرآلاي (قائد الكتيبة) وهو ماروني واثنان برتبة آمر كتيبة (بيكباشي) أحدهما ماروني والآخر درزي وثلاثة ضباط برتبة رائد (قول اغاسي) اثنان منهم مارونيان والثالث مسلم سني وتسعة نقباء (يوزباشي) (خمسة موارنة ودرزيان وارثوذكسي وكاثوليكي)، وعشرة برتبة ملازم أول (ستة موارنة ودرزيان وكاثوليكي وارثوذكسي)، وعشرة ضباط برتبة ملازم ثاني ياور (أربعة موارنة وثلاثة دروز وثلاثة كاثوليك).

تضم الشرطة لجنتين من الضباط أنيطت بهما مسؤولية مراقبة الانضباطية ودفع رواتب رجال الشرطة وتأمين الملابس العسكرية لهم والاهتمام بمختلف القضايا العسكرية والادارية.

ويقوم رجال الشرطة بتنظيم الدوريات على الطرق الممتدة بين بيروت ودمشق وصيدا وطرابلس والمحطات الرئيسية الواقعة عليها في البترون وجبيل وبيت الدين حيث تحتفظ الشرطة بثكنة كبيرة ومستشفى مع طبيبين رئيسيين.

كان مدربو شرطة جبل لبنان من الضباط الفرنسيين، كما كان رجال شرطة الجبل يرتدون بزة الجنود الفرنسيين العاملين في الجزائر وهم مسلحون ببنادق البيبودي ويحملون الشارات العسكرية العثمانية.

أما رجال الجندرمة المشاة والخيالة (الضابطية) العاملون لدى حكام الأقضية والمراكز الادارية فهم أيضاً يعينون على أساس اختياري. وكانوا في البداية لا يتشابهون في شيء مع رجال الشرطة ولا يخضعون لأنظمة الشرطة العسكرية أو قوانينها، وكأن لهم ضباطهم وقادتهم التابعون لرؤساء الأقضية مباشرة ويرتدون بزة عسكرية خاصة بهم، ويحملون شارات نحاسية كتب عليها باللغة العربية كلمة «الضابطية». وكان كل رئيس قضاء يعيّن العدد المفروض أن يكون له من رجال الجندرمة على أن يراعي في التعيين النسبة التمثيلية في مجلس الادارة الكبير. ومنذ ثلاث سنوات أو أربع جعل رستم باشا الجندرمة مشابهة للشرطة في تنظيماتها وقواعدها ولباس أفرادها (أي البزة العسكرية) وألحقهم بامرة قائد الشرطة مباشرة

كما سلّحهم بسلاح الشرطة. ولم يعد يتميّز رجال الجندرمة عن الشرطة الاّ في بقائهم ضمن حدود قضائهم وعدم جواز استبدالهم برجال من أقضية أخرى. ويعمل رستم باشا على حرمان رجال الجندرمة من هذه الميزة أيضاً وجواز انتقالهم من قضاء إلى قضاء على غرار رجال الشرطة لكنه لن يتمكن من تحقيق ذلك لسبب أساسي أن رجال الجندرمة العاملين في أقضيتهم لقاء ١٢٠ قرشاً في الشهر الواحد، كما هو الحال بالنسبة للأقضية المارونية مثلاً، لن يوافقوا ولن يخدموا لقاء هذا الراتب في أية أقضية أخرى كالأقضية الدرزية أو الارثوذكسية مثلاً والعكس صحيح.

كان عدد رجال الجندرمة في السابق يقارب الخمسماية رجلاً في أقضية جبل لبنان السبعة. أما الآن فلا يزيد عددهم عن ثلاثماية وخمسين بمن فيهم الضباط. ويبلغ عدد رجال الجندرمة والشرطة معاً في الوقت الحاضر قرابة الألف رجل بمن فيهم ضباطهم.

ويستعين متصرف جبل لبنان أيضاً بفوج الفرسان البولوني العثماني الثاني التابع للفيلق العربي الخامس والذي يتألف من أربع سرايا (وقد أطلق عليه في التنظيم الجديد اسم فوج الفرسان الثامن والعشرين التابع للفيلق الخامس).

ملاك شرطة جبل لبنان في العام ١٨٧٩ - ١٨٨٠

الموازنة

العدد	الرتبة	الراتب الشهري
١	أمير آلاي	٢٦٠٠
١	قائد كتيبة بكباشي	١٣٠٠
٢	قول أغاسي	٢٣٠٠
٥	يوزباشي	٤٢٥٠
٧	ملازم أول	٣٨٥٠
٤	ملازم ثاني ياور	١٨٥٠
٢٠		١٦١٥٠
٥	رقيب أول	٩٥٠
٢٣	رقيب	٤١٤٠
٣١	عريف	٣٩٦٠
١	نافخ بوق	١٦٠
٥١	شرطي درجة أولى	٧٩٣٨
١٨٦	شرطي درجة ثانية	٢٢٣٢٠
٢٢	شرطة ـ خيالة	٧٠٤٠
٣٣٩		٦٣٦٥٨
٤	أطبّاء وممرضون	٣٠٠٠
١	صيدلي	٤٠٠
٢	ناطور ضيعة	٤٠٠
٣٤٦		٦٧٤٥٨

الـدروز

العدد	الرتبة	الراتب الشهري
١	بكباشي	١٣٠٠
٢*	يوزباشي	١٧٠٠
٢	ملازم أول	١١٠٠
٣	ملازم ثاني ياور	١٣٧٨
٨		٥٤٧٨
٢	رقيب أول	٣٨٠
٩	رقيب	١٦٢٠
١٨	عريف أول	٢٨٠٠
٣	نافخ بوق	٤٨٠
٦٦	شرطي درجة أولى	٩١٤٠
١٥١	شرطي درجة ثانية	١٩٠٣٠
٦	شرطة ـ خيالة	١٨٠٠
٢٦٣		٤٠٧٢٨

الأرثوذكـس

العدد	الرتبة	الراتب الشهري
١	يوزباشي	٨٥٠
١	ملازم أول	٥٥٠
٢		١٤٠٠
١	رقيب أول	١٩٠
١	رقيب	١٨٠
٢	عريف أول	٣٢٠
٣	شرطي درجة أولى	٣٩٠
٤٥	شرطي درجة ثانية	٥٨٥٠
٥٤		٨٣٣٠

الـروم الكاثوليـك

العدد	الرتبة	الراتب الشهري
١	يوزباشي	٨٥٠
٢	ملازم أول	١١٠٠
٣	ملازم ثاني ياور	١٣٧٨
٦		٣٣٢٨
١	معاون ضابط	٤٠٠
١	رقيب أول	١٩٠
٥	رقيب	٩٠٠
٧	عريف أول	١١٢٧
٢	نافخ بوق	٣٢٠
٢٦	شرطي درجة أولى	٣٦١٠
٣٦	شرطي درجة ثانية	٤٢٩٠
١	شرطة ـ خيالة	٣٠٠
٨٥		١٤٤٩٥

المسلمـون

العدد	الرتبة	الراتب الشهري
١	قول أغاسي	١١٥٠
١	رقيب أول	٤٠٠
١	رقيب	١٤٠
٧	شرطي درجة ثانية	٩١٠
١	شرطة ـ خيالة	٣٠٠
١١		٢٩٠٠

جدول عام بملاك شرطة جبل لبنان
للعام ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠

العدد	الرتبة	الراتب الشهري	الراتب السنوي	ملاحظات
١	أمير آلاي	٢٦٠٠ قرشاً	٣١٢٠٠ قرشاً	إن الرواتب وكل المدفوعات بشكل عام كانت تدفع بالذهب باعتبار أن الليرة العثمانية تساوي ١٠٠ قرشاً
٢	بكباشي	٢٦٠٠	٣١٢٠٠	
٣	قول أغاسي	٧٤٥٠	٤١٤٠٠	
٩	يوزباشي	٧٦٥٠	٩١٨٠٠	
١٢	ملازم أول	٦٦٠٠	٧٩٢٠٠	
١٠	ملازم ثاني ياور	٤٦٠٦	٥٥٢٧٢	
١	معاون ضابط	٤٠٠	٤٨٠٠	
٣٨		٢٧٩٠٦	٣٣٤,٨٧٢	
١٠	رقيب أول	٢١١٠	٢٥٣٢٠	
٣٨	رقيب	٦٨٤٠	٨٢٠٨٠	
٢٠	عريف أول	٣١٢٠	٣٧٤١٠	
٣٨	عريف	٦٠٨٧	٧٣٠٤٤	
١٤٧	شرطي درجة أولى	٢١٢٤٨	٢٥٤٩٧٦	
٤٢٥	شرطي درجة ثانية	٥٢٤٥٠	٦٢٨٨٠٠	
٦	نافخ بوق	٩٦٠	١١٥٢٠	
٧٢٢		١٢٠٦٧١	١,٤٤٨,٠٥٢	
٣٠	شرطة ـ خيالة	٩٤٤٠	١١٣.٢٨٠	
٧٥٢		١٣٠,١١١	١,٥٦١,٣٣٢	
٤	أطباء وممرضون	٣٠٠٠	٣٦,٠٠٠	
١	صيدلي	٤٠٠	٤,٨٠٠	

تابع

العدد	الرتبة	الراتب الشهري	العدد الرتبة	الراتب الشهري
٢	ناطور ضيعة	٤٠٠	٤٨٠٠	الرواتب للموظفين المدنيين كما لرجال الشرطة والجندرمة تدفع بالعملة الذهبية مع اتخاذ الليرة العثمانية أساساً وهي ١٠٠ قرش ذهبي لليرة الواحدة العثمانية
٧٥٩		١٣٣,٩١١	١,٦٠٦,٩٣٢	
	صيانة صيدلية وترسانة وغيرها	١٣٩٦٢	١٦٧,٥٤٤	
		١٤٧,٨٧٣	١,٧٧٤,٤٧٦	

التعليم والآثار في متصرفية جبل لبنان

إن مستوى التعليم بين سكان جبل لبنان، بفضل تشجيع الحكومة الفرنسية ومختلف الجمعيات والارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية (البريطانية والاميركية التي تمارس أعمالها في جبل لبنان)، أعلى بكثير مما هو عليه في أية ولاية من ولايات السلطنة العثمانية الأخرى. فمنذ عام ١٨٦١، عام تطبيق النظام الجديد لجبل لبنان، تحقق الكثير في مجال التعليم العام. غير أن نتائج التعليم في أوساط الجماهير الشعبية لا يمكن اعتبارها مرضية تماماً لأن العناية بالتعليم العام لم تكن متساوية بين جميع الطوائف ذات المعتقدات الدينية المختلفة أو بالنسبة لبعض الطوائف التي تعزل نفسها عن الأخرى ولا تهتم الاّ بمصالحها.

خلال حكم المتصرف فرانكو باشا وفي أول سنوات عهد رستم باشا تم فتح بعض المدارس الابتدائية الرسمية للصبيان والبنات. وقد خصصت ادارة جبل لبنان للانفاق على تلك المدارس ما يقارب ٢٣٠ ألف قرش في السنة الواحدة، اقتطع جزء من هذا المبلغ من ميزانية جبل لبنان والجزء الآخر جمع من من الحسومات (٥٪) المفروضة على رواتب موظفي الادارة. ومنذ عام ١٨٧٧ وبسبب توقف الدعم السنوي الذي كان يقدمه الباب العالي للادارة اللبنانية وما ترتب على ذلك من تخفيضات كبيرة للنفقات، اضطرت الادارة إلى الغاء تلك المخصصات وبالتالي ألغيت المدارس الابتدائية المذكورة. لذلك عاد التعليم العام في جبل لبنان الى سيرته القديمة أي على عاتق كل طائفة دينية على حده شأن الجمعيات الكاثوليكية والارساليات البروتستانتية.

تحتل الطائفة المارونية المقام الأول في جبل لبنان بعدد المعاهد التابعة لها وذلك بمشاركة وجهود رؤسائها الروحيين الذين يملكون وسائل مادية ضخمة ويحصلون على اعانات مالية سخية من الحكومة الفرنسية وبفضل المعاهد التي أسستها وتشرف عليها الجمعيات اللاتينية كالاخوة اللعازريين واليسوعيين.

وتضم الرئاسة الروحية المارونية العليا مجموعة من الشخصيات الدينية التي حصلت على درجة عالية من العلم في المعاهد الاكليريكية المحلية التي يشرف عليها المطارنة والبطريرك أو في مدرسة روما المارونية حيث خصصت للطائفة المارونية منح دراسية دائمة.

وفي سبيل اعداد رؤساء الاكليروس ثمة مدرسة في كل أبرشية تدرّس فيها اللغة العربية واللغة السريانية القديمة وهي لغة الكتب الكنسية عند الموارنة. إضافة إلى ذلك، للدراسات اللاهوتية العليا في جبل لبنان أربع مدارس خاصة يشرف عليها البطريريك الماروني مباشرة وينفق عليها. ومن بين مدارس الابرشيات اشتهرت مدرسة المطران البيروتي اللبناني يوسف الدبس. فقد تأسس هذا المعهد العلمي الماروني أولاً في قرية بيت مري في جبل لبنان. غير أن المطران الحالي المطران الدبس، وهو حائز على علوم أوروبية عمومية، نقل المعهد إلى بيروت حيث شاد له مبنى ضخماً وعظيماً بفضل الأموال التي جمعها في فرنسا لهذه الغاية. ضم المبنى مدرسة للشباب الموارنة الذين يستعدون للالتحاق بسلك الكهنوت وكذلك مدرسة علمانية لجميع الطلاب الراغبين بتحصيل العلم ومنهم عدد كبير من الارثوذكس.

المواد العلمية التي تدرّس في القسم العلماني من المدرسة قريبة من برنامج مواد المدرسة الثانوية. بالاضافة إلى اللغة العربية المحلية يدرسون أيضاً العثمانية والفرنسية بشكل خاص كلغات رئيسية، ويسكن جميع تلامذة قسم اللاهوت والقسم العلماني في المبنى ذاته. يدرس تلامذة اللاهوت على حساب الأبرشية، بينما يدفع الآخرون مبلغاً يتراوح بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ فرنك فرنسي في السنة لقاء التعليم والسكن والطعام.

أسس اليسوعيون، منذ زمن طويل، معاهدهم العلمية في جبل لبنان واشتهرت منها مدرسة غزير في قضاء كسروان الماروني. ومن أجل إضفاء أهمية أكبر على تلك المدرسة وتثقيف الشباب برسالة اليسوعيين التبشيرية ونشرها بينهم، وعلاوة على جبل لبنان ومناطق سوريا ومدنها الأخرى وعلى سائر ولايات السلطنة العثمانية، وبهدف منافسة المعاهد العلمية التي أسستها الارساليات البروتستانتية، نقل اليسوعيون مدرسة غزير بعد عدة سنوات إلى بيروت بعد أن شيّدوا لها مبنىً رائعاً في قلب المدينة كلّف بناؤه أكثر من عشرين ألف ليرة عثمانية. وبالإضافة إلى المدرسة التي تحولت إلى جامعة، يضم المبنى مطبعة وجناحاً لصب الحروف وصب الزنك والتجليد. ويطبع اليسوعيون في مطبعتهم مجلة سياسية دينية باللغة العربية وجميع المطبوعات العلمية.

وفي الجامعة التي تضمُّ أيضاً قسماً للاهوت أو مدرسة اكليريكية للموارنة وللروم الكاثوليك يتلقى العلم الآن قرابة اربعماية طالب بينهم عدد كبير يعيش في المبنى ذاته. بين الطلاب هناك ما يقارب المئة والخمسين طالباً ارثوذكسياً داخلياً وخارجياً. ويدفع الطلاب الداخليون ٥٦٠ فرنكاً في السنة بينما يدفع الطلاب الخارجيون ١٢٠ فرنكاً. ويتبع الطلاب جميعهم وهم من جميع الطوائف والمعتقدات الدينية قوانين عامة. وهم يؤمّون الكنيسة اليسوعية في المبنى المذكور. وعندما كانت المدرسة في غزير كان لليسوعيين تأثير محدود جداً على الشباب الارثوذكسية لأن العائلات الارثوذكسي في بيروت وغيرها من مدن سوريا الساحلية لم تكن ترسل أبناءها بسهولة إلى تلك المدرسة.

بالاضافة إلى اليسوعيين في جبل لبنان في الأقضية المارونية فإن الطوائف الروحية اللاتينية الأخرى كالكبوشيين واللعازاريين تملك مدارس خاصة بها اشتهرت منها مدرسة اللعازاريين في عينطورة في قضاء كسروان. وقد خصصت الحكومة الفرنسية عدداً معيناً من المنح الدراسية الدائمة للتلامذة الموارنة فيها، ويبلغ عدد تلامذتها قرابة المئتي تلميذ كلهم داخليون وبينهم عدد لا بأس به من التلامذة الارثوذكس من بيروت وطرابلس والمدن السورية الأخرى. أما برنامج المواد التعليمية فمطابق لبرنامج المدارس اللاهوتية الداخلية. ويولي اللعازاريون اهتماماً خاصاً بتعليم لغة بلادهم فرنسا وجغرافيتها وتاريخها. ويدفع التلامذة الداخليون ما بين ٢٠ إلى ٢٥ ليرة عثمانية ذهبية (من ١١٦ إلى ١٤٥ روبل ذهبي) لقاء التعليم والمنامة والطعام.

وإلى جانب المدارس التي تملكها وتشرف عليها البطريركية المارونية ومدارس اليسوعيين واللعازاريين، تملك الطائفة المارونية أيضاً عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية الشعبية التي يعلّم فيها كهنة القرى أو رهبان الأديرة القريبة. ويتعلم الأولاد في تلك المدارس القراءة والكتابة باللغة العربية فقط وقليلاً من السريانية. اللغة السريانية هي لغة ميتة ولها حروفها الابجدية الخاصة بها؛ ويتعلمها الموارنة لا سيما أولئك الذين يستعدون للالتحاق بسلك الكهنوت لأن كتب الخدمة الكنسية عندهم مكتوبة بها وفي القرى والأماكن الكبيرة كإهدن والبترون ودير القمر يملك الموارنة مدارس شعبية جيّدة وفيها تدرّس مبادىء قواعد اللغة العربية واللغة الفرنسية.

ليست لدى الموارنة مدارس للبنات في جبل لبنان باستثناء العدد القليل جداً منها التي أسستها الاخويّات اللاتينية في الفترة الأخيرة.

وكل الجهود التي بذلتها الارساليات البروتستانتية لفتح مدارس لها بين الموارنة لم تتكلل بالنجاح بسبب مقاومة الرئاسة الروحية المارونية وتصدِّي اليسوعيين واللعازاريين لتلك المحاولات.

وتقدم الحكومة الفرنسية كل سنة، عبر قنصلياتها في بيروت، مبلغ عشرة آلاف فرنك كمنح دراسية للتلامذة الموارنة والروم الكاثوليك في مدرسة اللعازاريين في عينطورة في جبل لبنان وفي المدارس الرئيسية التي يملكها ويشرف عليها في بيروت المطران الدبس واليسوعيون والرهبان والفرنسيون (راهبات الناصرة) الذين يملكون بناء ضخماً وكنيسة في أفضل منطقة في بيروت. كما ان جميعة ليون لنشر الايمان ترسل إلى مطران بيروت الماروني مبالغ كبيرة من المال كنفقات للمطبعة التي تطبع الكتب الدينية والمطبوعات التعليمية.

تستخدم شبيبة الروم الكاثوليك لتعليم شبابها، على غرار الشبيبة المارونية، لكنها أقل مستوى منها، في المدارس التي يملكها ويشرف عليها اللعازاريون واليسوعيون في جبل لبنان وبيروت. غير أن طائفة الروم الكاثوليك تملك هي أيضاً معاهدها العلمية التي اشتهرت منها بنوع خاص في جبل لبنان مدرسة عين تراز التي تضم أيضاً قسماً للاهوت والكلية البطريركية في بيروت. ويدير هاتين المؤسستين التربويتين الرئيسيتين رجال الدين الذين يدرّسون فيها كذلك مختلف المواد العلمية. وفي مدرسة الأبرشية في جبل لبنان يدرس الطلاب الكاثوليك الداخليون فقط، أما في الكلية البطريركية في بيروت فيدرس الطلاب الداخليون والخارجيون، وبين طلاب هذه الكلية الأخيرة يدرس عدد كبير من الطلاب الارثوذكس كطلاب داخليين كما أن بينهم طلاباً مسلمين ويهوداً. برنامج تدريس المواد هو برنامج المدارس الكاثوليكية. فبالاضافة إلى اللغات العربية والعثمانية والفرنسية يدرس الطلاب مختلف المواد العلمية ومن بينها مادة القانون العثماني. أما المدارس الكاثوليكية الابتدائية للصبيان فهي في حَرَم بعض الأديرة والكنائس في جبل لبنان لكن عددها محدود جداً. وأهم تلك المدارس في مدينة زحلة وهي مقر القائمقام الكاثوليكي ومطران الطائفة الكاثوليكية. ويملك مطران الكاثوليك في زحلة مدرسة يديرها على حسابه تدرَّس فيها اللغة الفرنسية. وهو يبذل كل الجهود لتحذير أبناء طائفته من تأثير البروتستانت الذين يحاولون اجتذابهم إلى مدارسهم. وليست لدى الكاثوليك أية مدارس للبنات في جبل لبنان ولذلك فإن بنات الاغنياء وبنات كبار الموظفين يتلقين العلم في معاهد بيروت التي يملكها الآباء الفرنسيون كسيدة الناصرة والقديس يوسف وغيرها.

وبالنسبة لتعليم عامة الشعب لا يتميّز الكاثوليك عن الموارنة في شيء، غير أن الطبقة العليا عند الموارنة ورئاستهم الروحية هي على درجة أعلى من التطور، كما أن الرهبان الموارنة لا يتميّزون بدرجتهم العلمية عن الرهبان الكاثوليك.

أما طائفة الروم الارثوذكس فهي من حيث المستوى العلمي متخلفة ليس فقط عن الموارنة وإنما عن طائفة الروم الكاثوليك أيضاً رغم أن تعداد الارثوذكس يبلغ ضعف تعداد طائفة الروم الكاثوليك. ويمكن تفسير هذه الظاهرة الغريبة بالجهل واللامبالاة من قبل الرئاسة الروحية العليا للطائفة الارثوذكسية إذ لم تكن تهتم بفتح أية مدارس ارثوذكسية شعبية أو حماية رعاياها من تأثير الارساليات البروتستانتية واغراءاتها. وفي ذلك يتحمل مسؤولية كبيرة أيضاً أغنياء بيروت الارثوذكس الذين يفضلون، بسبب بخلهم وضعف وطنيتهم وقلة طموحهم، إرسال أبنائهم وبناتهم إلى المعاهد العلمية الكاثوليكية أو البروتستانتية العاملة في جبل لبنان أو في بيروت عوضاً عن فتح وتشغيل مدارس خاصة بهم. فالمبالغ المالية التي يدفعونها إلى مدارس الطوائف الأخرى لقاء تربية أولادهم وتعليمهم هي وحدها كافية لفتح أفضل الكليات الارثوذكسية وتشغيلها تضاف إليها المبالغ المالية التي كان يمكن أن تقدمها لهذه الغاية الاديرة وغيرها من العقارات والأملاك غير المنقولة التي تعود للطائفة الارثوذكسية. منذ اثني عشر عاماً كانت في بيروت مدرسة ارثوذكسية ممتازة يتلقى العلم فيها الشباب حتى من العائلات الاسلامية المعروفة. وقد نقلت هذه المدرسة في سنواتها الأخيرة إلى قرية سوق الغرب في جبل لبنان لكنها ما لبثت أن أقفلت بعد فترة قصيرة بسبب الخلافات والخصومات بين الرؤساء وبسبب عدم الكفاءة واللامبالاة غير المبررة حيال قضية التعليم الشعبي من قبل متروبوليت بيروت وبطريرك انطاكية اللذين لم يأخذا العبرة من المثل الصالح الذي قدمه لهما الرؤساء الروحيون الموارنة والكاثوليك.

لم تتمكن طائفة الروم الارثوذكس في لبنان من الحصول على دعم من قبل رؤسائها الروحيين وأبنائها البيروتيين الأثرياء. ولم تكن تملك بالتالي الا عدداً قليلاً من المدارس الابتدائية التي لا يتعلم فيها التلامذة الا القراءة والكتابة باللغة العربية. فاضطرت إلى تقديم ملجأ للارساليات البروتستانتية وتقبُّل خدماتها البعيدة عن أن تكون خدمات شريفة أو نزيهة. وتبعاً لذلك تمكنت الدعاية البروتستانتية التي قاومها الموارنة والروس الكاثوليك من فتح عدد كبير من المدارس في القرى الارثوذكسية يتلقى فيها أبناء الطائفة وبناتها تعليماً مجانياً، كما أن الفقراء كانوا يحصلون في تلك المدارس حتى على الطعام والمساعدات المالية للأهلين.

وبفضل المدارس البروتستانتية المجانية انتشر التعليم الابتدائي بين جماهير الطائفة الارثوذكسية أكثر من انتشاره لدى الموارنة أو الروم الكاثوليك. لكن تلك الخدمات لم تكن تقدّم لطائفة الروم الارثوذكس لوجه الله. فعن طريق تلك المدارس أغرت الارساليات أبناء الطائفة الارثوذكسية للارتداد عن طائفتهم والالتحاق بالبروتستانتية وتسعير الخصومات والخلافات داخل العائلات الارثوذكسية وتقويض أسس الكنيسة الارثوذكسية في جبل لبنان.

إن أعمال الارساليات البروتستانتية في جبل لبنان تلحق الضرر ليس فقط بالارثوذكسية وتهددها، بل تشكل خطراً على نفوذها أيضاً اذ يجري فرز الطوائف في الشرق على أساس المعتقد الديني. فتغيير المعتقد الديني لأبناء الطائفة يؤدّي عملياً إلى التحاق هؤلاء بطائفة أخرى، بل ويؤدي إلى تغيير مشاعرهم وآرائهم وعواطفهم تماماً، لذلك اعتبرت دائماً أن من واجبي مقاومة أعمال الارساليات البروتستانتية بكل ما أملك من وسائل.

وفي عام ١٨٨٠ تمكنت من أبعاد البروتستانت عن قريتين هما سوق الغرب وبحمدون بهدف فتح مدرسة مجانية في كل منها للبنين والبنات. غير أن البروتستانت نقلوا مدارسهم ونشاطهم إلى قرى ارثوذكسية أخرى لم تكن فيها مدارس فاستقبلتهم بطيبة خاطر. ومن أجل خوض معركة ناجحة ضد الارساليات البروتستانتية كان لا بد من استخدام وسائلهم ذاتها أي فتح مدارس مجانية للّبنانيين الارثوذكس وهو ما كان يتطلب مبالغ باهظة من المال تضاهي كل الأموال الموضوعة في تصرف القنصل الروسي العام في بيروت والاعتماد على التعاطف والتشجيع المادي من قبل الرؤساء الروحيين وأثرياء بيروت الارثوذكس الذين لم يكن ينفع معهم للأسف أي اقناع أو أية وعود.

وبهدف تقديم المساعدات إلى المدارس الارثوذكسية في سوريا بشكل عام كانت القنصلية الروسية العامة في بيروت تتلقى من روسيا كل عام قرابة ٢٠ ألف قرش عثماني أو ١٤٦ جنيهاً استرلينياً. غير أن حكومتنا كانت تسمح بأن يرسل من هذا المبلغ ٣٠ جنيهاً استرلينياً و٧ شلنات و٤ بنسات فقط (أي ٤٠٠٠ قرش). أما القسم الباقي فيبقى كفائدة سنوية تؤخذ من رأسمال المدارس ويحتفظ بهذا المبلغ في روسيا كأموال تخص البطريركية وطائفة بيروت الارثوذكسية. ولا حاجة لاثبات أن المخصصات المالية المذكورة لا تعادل شيئاً بالنسبة للأموال الموضوعة بتصرف اعداء الكنيسة الارثوذكسية أي الارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية. وبهذه المبالغ الضئيلة لا نستطيع على كل حال أن نساعد على تقدم أبناء طائفتنا في سوريا وحمايتهم من تأثيرات الطوائف الأخرى واغراءاتها. لكن أهميتها تكمن في

اننا قدمنا بعض التضحيات لابناء هذه الطائفة، ان لم يكن للحاضر فللمستقبل على الأقل. ويعتبر سكان جبل لبنان الارثوذكس وسكان سوريا الارثوذكس بشكل عام، روسيا حاميتهم الطبيعية، ويقدمون لها ولاءهم واخلاصهم؛ وهم يشكلون ركيزة نفوذنا السياسي في هذه المنطقة، أما فرنسا فتعتمد على الكاثوليك، الموارنة والروم الكاثوليك. وتحاول بريطانيا التي لا تملك في سوريا وجبل لبنان مثل هذه الخلفية لنفوذها الآن تأسيس نفوذها عن طريق تكوين طائفة بروتستانتية بتشجيع من البعثات الاميركية. وبما أن هذه الطائفة الدينية الجديدة أي الطائفة البروتستانتية تتألف من المرتدين عن الطائفة الارثوذكسية بواسطة مدارس الارساليات بما لا يتفق ومصلحة روسيا الارثوذكسية، كان يتوجب علينا مقاومة هذا الهدف؛ وكان من السهل علينا التوصل إلى ذلك لأنها مسألة تقتصر على حماية نفوذنا القديم وليس اقامة نفوذ جديد.

تخصص الحكومة الفرنسية كل عام مبلغ عشرة آلاف فرنك لتعليم الموارنة والروم الكاثوليك رغم أن هاتين الطائفتين تملكان مدارس شعبية حسنة البناء والتجهيز وتستفيدان من المبالغ الضخمة التي تؤمنها لهما المعاهد العلمية التابعة للعازاريين واليسوعيين والكبوشيين ومختلف الرهبانيات والاخويات الفرنسية. حتى ايطاليا التي لا تطالب الى الآن بأي دور سياسي في جبل لبنان وفي سوريا بشكل عام تنفق كل عام مبلغ خمسة آلاف فرنك على مدرسة لها في بيروت. كان يكفي لتحقيق أهدافنا لو أن حكومتنا سمحت بارسال مثل هذا المبلغ كل عام لمساعدة المدارس الارثوذكسية في جبل لبنان. وكان بامكاننا بهذه الأموال تشغيل قرابة عشر مدارس ابتدائية وتأمين حماية ناجحة لمصالح الطائفة الارثوذكسية ضد اعتداءات الكاثوليك والبروتستانت.

لا يملك الدروز في جبل لبنان الا مدرسة واحدة فيها قسم داخلي للمنامة وتأسست في عهد المتصرف فرنكو باشا في قرية عبيه على نفقة الأوقاف الدرزية. وفي هذه المدرسة التي تدرّس فيها اللغات العربية والعثمانية والفرنسية والانكليزية يتلقى العلم أبناء العائلات الدرزية فقط وجميعهم داخليون، على حساب الأوقاف أو على حساب الأهلين ويعاني عدد كبير من بسطاء الدروز من جهل مطبق. أما المتعلمون أي الذين يستطيعون القراءة والكتابة باللغة العربية فلا يمكن العثور عليهم الّا بين الشيوخ والاشخاص الذين كرّسوا أنفسهم لخدمة المعتقد الدرزي (أي العقّال). ومنذ فترة وجيزة فقط بدأ أبناء الدروز يرتادون مدارس الارساليات البروتستانتية في قرية عبيه المذكورة وشملان وغيرهما من قرى الشوف (القائمقامية

الدرزية). وأخذ بعض الامراء وكبار الاغنياء الدروز الذين يشغلون مناصب هامة في ادارة جبل لبنان يرسلون أبناءهم لتعليمهم في مدارس بيروت البروتستانتية.

أما المسلمون السنة والشيعة فلا يملكون أية مدارس تقريباً في جبل لبنان.

ووفقاً للمعطيات المستقاة من رؤساء الأقضية ففي جبل لبنان تعمل ٢٦٠ مدرسة يتعلم فيها ٧٧٤٨ تلميذاً من الجنسين كما هو مبيّن في الجداول التالية:

١ ـ عدد المدارس والتلامذة في قضاء الكورة

اسم القرية	الارثوذكسية		المارونية		البروتستانتية		الاسلامية		المجموع	
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة
أميون	١	١١٥	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	١١٥
كوسبا	١	٤٥	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٤٥
كفرعقا	١	٢٩	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٢٩
بطرّام	١	٣٧	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٣٧
بشمزين	١	٥٢	ـ	ـ	١	٧	ـ	ـ	٢	٥٩
بترومين	١	١٨	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	١٨
فيع	١	٢٣	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٢٣
أنفه	١	٣٥	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٣٥
بصرما	١	٢٠	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٢٠
حامات	١	٣٠	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٣٠
دده	١	٢٠	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٢٠
بتوراتيج	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	١٠	١	١٠
دير بعشتار	ـ	ـ	١	٣٠	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٣٠
زكرون	ـ	ـ	١	٧	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٧
شكا	ـ	ـ	١	٣٠	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٣٠
كفرحزير	١	٣٥	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	١	٣٥
المجموع	١٢	٤٥٩	٣	٦٧	١	٧	١	١٠	١٧	٥٤٣

٢ ـ عدد المدارس والتلامذة في قضاء البترون

اسم القرية	المارونية		الارثوذكسية		المجموع		ملاحظات
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	
البترون	١	٧٨	ـ	ـ	١	٧٨	مدارس مار
البترون	١	٢٠	١	٢٠	٢	٤٠	يوحنا مارون
صورات	١	٢٠	ـ	ـ	١	٢٠	
بجد رفل	١	١٨	ـ	ـ	١	١٨	
عبرين	١	٨٠	ـ	ـ	١	٨٠	
اجدبرا	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥	
ادّه	١	٢٠	ـ	ـ	١	٢٠	
كفيفان	١	٢٥	ـ	ـ	١	٢٥	
تولا	١	٢٨	ـ	ـ	١	٢٨	
عبدللي	١	٤٥	ـ	ـ	١	٤٥	
سلعاتا	١	٦	ـ	ـ	١	٦	
كور	١	١٠	ـ	ـ	١	١٠	
تنورين	١	٦٠	ـ	ـ	١	٦٠	
دوما	١	٤٠	١	٢٧	٢	٦٧	
بشعلة	١	٢٧	ـ	ـ	١	٢٧	
حردين	١	٢٣	ـ	ـ	١	٢٣	
آسيا	١	٣٠	ـ	ـ	١	٣٠	
كفور العربي	١	٢٥	ـ	ـ	١	٢٥	
قنات	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥	
طورزا	١	٢٠	ـ	ـ	١	٢٠	
عابدين	١	١٠	ـ	ـ	١	١٠	
حصرون	١	٢٥	ـ	ـ	١	٢٥	
الحدث	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥	
بقاعكيفا	١	١٨	ـ	ـ	١	١٨	
بزون	١	٩	ـ	ـ	١	٩	
بشرّي	١	٦٠	ـ	ـ	١	٦٠	
حدشيت	١	٢٠	ـ	ـ	١	٢٠	
بلوزا	١	١٨	ـ	ـ	١	١٨	

اسم القرية	المارونية		الارثوذكسية		المجموع		ملاحظات
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	
بان	١	٢٠	–	–	١	٢٠	
كفرصغاب	١	٣٠	–	–	١	٣٠	
اهدن	١	٦٨	–	–	١	٦٨	
كيرشندا	١	١٢	–	–	١	١٢	
كفرفو	١	١٠	–	–	١	١٠	
مزيارة	٢	٤٠	–	–	٢	٤٠	
تولا الجبة	١	٣٠	–	–	١	٣٠	
رأس كيفا	١	٢٠	–	–	١	٢٠	
داريا	١	٣٠	–	–	١	٣٠	
عرندس	١	١٨	–	–	١	١٨	
كفرياشيت	١	٩	–	–	١	٩	
أصنون	١	٢٥	–	–	١	٢٥	
كفرزينا	١	٢٧	–	–	١	٢٧	
رشعين	١	١٢	–	–	١	١٢	
أرده	١	١٦	–	–	١	١٦	
الخالدية	١	١٣	–	–	١	١٣	
المجموع	٤٥	١١٦٠	٢	٤٧	٤٧	١٢٠٧	

٣ ـ عدد المدارس والتلامذة في قضاء كسروان

اسم القرية	المارونية		ارثوذكسية		روم كاثوليك		أرمنية		المجموع		ملاحظات
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	
غوسطا (عين بركة)	١	٣٠	–	–	–	–	–	–	١	٣٠	مدارس داخلية
هرهريا (مارعبدا)	١	٣٠	–	–	–	–	–	–	١	٣٠	
قليعات (رومية)	١	٢٥	–	–	–	–	–	–	١	٢٥	
ريفون	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	
عمشيت	١	٤٠	–	–	–	–	–	–	١	٤٠	
عمشيت	١	٤٠	–	–	–	–	–	–	١	٤٠	للبنات
بجة	١	٤٠	–	–	–	–	–	–	١	٤٠	
معاد	١	٣٥	–	–	–	–	–	–	١	٣٥	
فغال	١	١٥	–	–	–	–	–	–	١	١٥	
حالات	١	١٠	–	–	–	–	–	–	١	١٠	
اهمج	١	٢٥	–	–	–	–	–	–	١	٢٥	
العاقورة	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	
قرطبا	١	٤٥	–	–	–	–	–	–	١	٤٥	
لحفد	١	٣٠	–	–	–	–	–	–	١	٣٠	
جاج	١	٢٥	–	–	–	–	–	–	١	٢٥	
مشمش	١	٣٠	–	–	–	–	–	–	١	٣٠	
فتقا	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	
عين كفاع	١	١٠	–	–	–	–	–	–	١	١٠	
ميفوق	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	
العذرا	١	١٠	–	–	–	–	–	–	١	١٠	
ساحل علما	١	١٥	–	–	–	–	–	–	١	١٥	
غسطا	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	
دلبتا	١	٤٠	–	–	–	–	–	–	١	٤٠	
دلبتا	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	للبنات
عشقوت	١	١٥	–	–	–	–	–	–	١	١٥	
دير حوق	١	١٥	–	–	–	–	–	–	١	١٥	
شحتول	١	٢٥	–	–	–	–	–	–	١	٢٥	
عرمون	١	٣٥	–	–	–	–	–	–	١	٣٥	
جديدة	١	١٠	–	–	–	–	–	–	١	١٠	
حباطه	١	٢٠	–	–	–	–	–	–	١	٢٠	
زوق مكايل	٣	٧٠	–	–	١	٣٠	–	–	٤	١٠٠	
زوق مصبح	١	١٥	–	–	–	–	–	–	١	١٥	
غزير	١	٦٠	–	–	–	–	–	–	١	٦٠	يسوعية

تابع

اسم القرية	المارونية		ارثوذكسية		روم كاثوليك		أرمنية		المجموع		ملاحظات
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	
غزير	١	٦٩	—	—	—	—	—	—	١	٦٩	كبوشية
غزير	١	٧٥	—	—	—	—	—	—	١	٧٥	للبنات
غزير	١	٣٠	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	
كفرسلوان	٢	١٠٠	—	—	—	—	—	—	٢	١٠٠	
ميروبا	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	
بقعتوتة	١	٣٠	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	
قليعات	١	٣٠	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	
ريفون	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	
حراجل	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	
الغينة	١	٣٠	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	
الكفور	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	
البوار	١	١٥	—	—	—	—	—	—	١	١٥	
الصفرا	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	
طبرجا	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	
يحشوش	١	٢٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	اللعازارية
عينطورة	١	٢٠٠	—	—	—	—	—	—	١	٢٠٠	
غرزوز	—	—	١	٤٥	—	—	—	—	١	٤٥	
المنصف	—	—	١	٣٠	—	—	—	—	١	٣٠	
دير خشبو	—	—	—	—	—	—	١	٢٠	١	٢٠	أرمنية
المجموع	٥٢	١٥٩٩	٢	٧٥	١	٣٠	١	٢٠	٥٦	١٧٢٤	

٤ ـ عدد المدارس والتلامذة في قضاء المتن

اسم القرية	الارثوذكسية		روم كاثوليك		المارونية		اللاتينية		البروتستانت		المجموع		ملاحظات
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	
الشوير	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٧٥	٢	٧٥	واحدة للبنات
عين السنديانة	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٢٥	١	٢٥	
خنشارة	—	—	١	٣٠	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	
بتغرين	١	٤٠	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٤٠	
بسكنتا	١	٢٥	—	—	١	٢٥	—	—	١	٣٠	٣	٨٠	
بكفيا	—	—	١	٢٠	١	٤٠	١	٦٠	—	—	٣	١٢٠	واحدة يسوعية
محيدثة	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٤٠	٢	٤٠	واحدة للبنات
ساقية المسك	—	—	—	—	١	١٥	—	—	—	—	١	١٥	
بيت شباب	—	—	—	—	٢	٩٠	—	—	—	—	٢	٩٠	واحدة للبنات
شويا	—	—	—	—	١	١٠	—	—	—	—	١	١٠	
قرنة الحمرا	—	—	—	—	١	١٥	—	—	—	—	١	١٥	
قرنة شهوان	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠	
مزرعة يشوع	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠	
المتين	—	—	—	—	١	٤٠	—	—	—	—	١	٤٠	
عينطورة	—	—	—	—	١	٢٥	—	—	—	—	١	٢٥	
بعبدات	—	—	—	—	١	٣٠	—	—	—	—	١	٣٠	
برمانا	—	—	—	—	—	—	—	—	٣	٦٥	٣	٦٥	
رومية	—	—	—	—	—	—	—	—	١	١٥	١	١٥	
جورة البلوط	—	—	—	—	—	—	—	—	١	١٥	١	١٥	
نابية	—	—	—	—	—	—	—	—	١	١٦	١	١٦	
بصاليم	—	—	—	—	—	—	—	—	١	١٠	١	١٠	
البوشرية	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠	
الجديدة	—	—	—	—	١	١٥	—	—	—	—	١	١٥	
المنصورية	١	٢٥	—	—	—	—	—	—	١	٧	٢	٣٢	البروتستانتية للبنات
بيت مري	—	—	—	—	١	٣٠	—	—	١	١٠	٢	٤٠	
البرج	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠	
كفرشيما	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	١	٢٠	٢	٤٠	
الشياح	—	—	—	—	٢	٤٠	—	—	—	—	٢	٤٠	واحدة للبنات
حارة حريك	—	—	—	—	١	٣٠	—	—	—	١	٣٠		
الحدث	١	٢٥	—	—	١	٤٠	—	—	—	—	٢	٦٥	
بعبدا	—	—	—	—	١	٣٥	—	—	—	—	١	٣٥	

اسم القرية	الارثوذكسية مدارس	الارثوذكسية تلامذة	روم كاثوليك مدارس	روم كاثوليك تلامذة	المارونية مدارس	المارونية تلامذة	اللاتينية مدارس	اللاتينية تلامذة	البروتستانت مدارس	البروتستانت تلامذة	المجموع مدارس	المجموع تلامذة	ملاحظات
عبادية	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠	
راس الحرف	—	—	—	—	١	١٠	—	—	—	—	١	١٠	
شبانية	—	—	—	—	—	—	١	٣٥	—	—	١	٣٥	
حمانا	—	—	—	—	١	٤٠	—	—	—	—	١	٤٠	
فالوغا	—	—	—	—	٢	٥٥	—	—	—	—	٢	٥٥	
قرنايل	—	—	—	—	١	٨	—	—	—	—	١	٨	
بزبدين	—	—	—	—	١	٢٥	—	—	—	—	١	٢٥	
صليما	—	—	—	—	—	—	٢	٥٥	—	—	٢	٥٥	واحدة للبنات
عربانية	—	—	—	—	—	—	١	٢٥	—	—	١	٢٥	
أرصون	—	—	—	—	١	١٥	—	—	١	١٥	٢	٣٠	
الكنيسة	—	—	—	—	٢	١٨	—	—	—	—	٢	١٨	
مزرعة عين الزيتونة	—	—	—	—	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠	
دير موسى	—	—	—	—	١	١٥	—	—	—	—	١	٥	
الفريكة	—	—	—	—	١	٥	—	—	—	—	١	٥	
المجموع	٤	١١٥	٢	٥٠	٣٧	٨٥٦	٦	١٩٥	١٩	٣٥٨	٦٨	١٥٧٤	

٥ ـ عدد المدارس والتلامذة في قضاء الشوف

اسم القرية	ارثوذكس مدارس	ارثوذكس تلامذة	روم كاثوليك مدارس	روم كاثوليك تلامذة	موارنة مدارس	موارنة تلامذة	لاتين مدارس	لاتين تلامذة	بروتستانت مدارس	بروتستانت تلامذة	دروز مدارس	دروز تلامذة	المجموع مدارس	المجموع تلامذة	ملاحظات
الدامور	—	—	—	—	٣	١٥٥	—	—	—	—	—	—	٣	١٥٥	في احداها تدرس اللغة الفرنسية
شملان	—	—	—	—	١	١٥	—	—	٢	٥٥	—	—	٣	٧٠	واحدة بروتستانتية للبنات
رحالا	—	—	—	—	١	٢٥	—	—	—	—	—	—	١	٢٥	
دقون	—	—	—	—	١	١٥	—	—	—	—	—	—	١	١٥	
بسوس	—	—	—	—	١	٣٠	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	
بدادون	—	—	—	—	١	٣٨	—	—	—	—	—	—	١	٣٨	
عين تراز	—	—	١	٢٢	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٢٢	
الشويفات	١	٧٠	—	—	—	—	—	—	٢	١٦٠	—	—	٣	٢٣٠	واحدة بروتستانتية للبنات
سوق الغرب	٢	٧٥	—	—	—	—	—	—	١	٣٠	—	—	٣	١٠٥	واحدة ارثوذكسية للبنات
عبيه	—	—	—	—	—	—	٢	٩٠	٣	١٠٣	١	١٨	٦	٢١١	
كفرشيما	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٧٠	—	—	١	٧٠	
عين عنوب	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٤٥	—	—	١	٤٥	
بشامون	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٤٠	—	—	١	٤٠	
عرمون	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٨٠	—	—	٢	٨٠	
عين زحلتا	—	—	—	—	—	—	—	—	٣	١٥٩	—	—	٣	١٥٩	
المجموع	٣	١ ١٤٥		٢٢	٨	٢ ٢٧٨		٩٠	١٦	١ ٧٤٢		١٨	٣١	١٢٩٥	

٦ ـ عدد المدارس في دير القمر

الطائفة التي تنتسب إليها المدرسة	للصبيان		للبنات		المجموع	
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة
الموارنة	١	٤٠	—	—	١	٤٠
روم كاثوليك	١	٢٠	—	—	١	٢٠
يسوعيون	١	٤٥	—	—	١	٤٥
أخوات القديس يوسف الفرنسيات	—	—	١	٦٠	١	٦٠
الارساليات الاميركية	١	٥٠	—	—	١	٥٠
الرهبانية البلدية	١	٥٠	١	٣٥	٢	٨٥
المجموع	٥	٢٠٥	٢	٩٥	٧	٣٠٠

٧ ـ عدد المدارس في قضاء جزين

اسم القرية	مارونية		روم كاثوليك		بروتستانت		المجموع	
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة
جزين	١	٣٠	١	١٢	—	—	٢	٤٢
عازور	١	١٢	—	—	—	—	١	١٢
قيتولي	١	٢٠	—	—	—	—	١	٢٠
بكاسين	١	٣٠	—	—	—	—	١	٣٠
الصالحية	—	—	—	—	١	١٦	١	١٦
المجموع	٤	٩٢	١	١٢	١	١٦	٦	١٢٠

٨ ـ عدد المدارس في قضاء زحلة

	للصبيان		للبنات		المجموع	
	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة	مدارس	تلامذة
روم كاثوليك	٥	٤١٠	—	—	٥	٤١٠
روم ارثوذكس	١	٢٥	—	—	١	٢٥
بروتستانت	٢	٥٠	٢	٣٠	٤	٨٠
يسوعيون	٦	٢٥٠	٣	٢٠٠	٩	٤٥٠
المجموع	١٤	٧٣٥	٥	٢٣٠	١٩	٩٦٥

جدول بالمدارس والتلامذة في مختلف الأقضية وحسب الطوائف
(المعلومات مأخوذة من ديوان المتصرف)

١) في الأقضية	مدارس	صبيان	بنات	المجموع
الكورة	١٤	٥٣٨	–	٥٣٨
البترون	٥١	١٢٩٤	–	١٢٩٤
كسروان	٤٧	١١٤٦	١١٥	١٢٦١
المتن	٦٥	٢٠٢١	٣٨٩	٢٤١٠
الشوف	٥٥	١٩٤٣	٤١٢	٢٣٥٥
دير القمر	٧	١٠١	٢٣٠	٣٣١
جزين	٤	٩٠	–	٩٠
زحلة	٢٠	٦٣٢	٤٥٢	١٠٨٤
المجموع	٢٦٣	٧٧٦٥	١٥٩٨	٩٣٦٣

٢) عند الطوائف الدينية	مدارس	صبيان	بنات	المجموع
الارثوذكس	١٤	٦٥٠	–	٦٥٠
الروم الكاثوليك	١٢	٦٤٤	١٥٥	٧٩٩
الموارنة	١٣٥	٣٥٧٣	١٣٥	٣٧٠٨
اللاتين	٢٧	٩١٠	٦٤٠	١٥٥٠
البروتستانت	٥٧	١٤٤٠	٦٦٨	٢١٠٨
الدروز	١٠	٤٢٤	–	٤٢٤
المسلمين السنة	٨	١٢٤	–	١٢٤
المجموع	٢٦٣	٧٧٦٥	١٥٩٨	٩٣٦٣

يتبين من الجداول الآنفة الذكر ان الطائفة المارونية تملك في جبل لبنان عدداً من المؤسسات العلمية أكبر من مجموع المؤسسات العلمية التي تملكها باقي الطوائف. ويفسِّر ذلك بعدد السكان والمبالغ المالية التي تملكها البطريركية المارونية والتشجيع الذي تلقاه في ذلك من الاخويات الدينية اللاتينية الأجنبية. وتعمل المدارس التي يملكها في جبل لبنان اليسوعيون واللعازاريون والكبوشيون لصالح الموارنة تماماً كما تعتبر المدارس البروتستانتية لمصلحة الطائفة الارثوذكسية لأنها متواجدة بشكل رئيسي في القرى الارثوذكسية ولا يتلقى العلم فيها الا ابناء الارثوذكس وبناتهم بالدرجة الأولى.

وليس في لبنان أية جمعيات علمية تعمل على جمع واعداد المواد التاريخية أو الآثار القديمة للمنطقة رغم وجود مجال واسع لعمل ونشاط مثل تلك الجمعيات.

فعلى شواطىء جبل لبنان وعلى سفوح جباله وقممها تنتشر المعابد الوثنية المختلفة التي يعود تاريخها إلى أيام الفينيقيين وغيرهم من شعوب العهود الغابرة وهي جديرة بأن يهتم بها علماء الآثار. غير أن أحداً منهم حتى الآن لم يتفرغ لدراستها. لقد زار بعض الرحالة من الأوروبيين والاميركيين الذين وفدوا إلى جبل لبنان تلك المعالم الأثرية التاريخية، لكنهم ذكروها في كتاباتهم وتقاريرهم بشكل عابر. وأعظم هذه المعالم التاريخية موجود في أفقا عند منابع نهر أدونيس (نهر ابراهيم) وفي بشري وعلى نهر الأولي، وفي دير القلعة وفي فقرا، بالقرب من الجسر الطبيعي وعلى نهر الكلب، وفي نيحا ومناطق جبيل حيث لا تزال منشآت فينيقية ضخمة وكذلك من أيام الحملات الصليبية. وقد تم العثور بطريق الصدفة في بعض مناطق جبل لبنان على آثار معابد مسيحية من أيام البيزنطيين مفروشة أرضها بالفسيفساء كما في قرية عيتات الدرزية في قضاء الشوف، واعاد السكان طمرها لحمايتها من العبث.

ومن بين جميع المعالم الاثرية التي تعود إلى العصور القديمة جداً والتي لا تزال محفوظة في جبل لبنان تلك الآثار الموجودة على مسافة ساعتين شمالي مدينة بيروت وعلى الضفة الغربية لنهر الكلب. فهذه اللوحات المحفورة في الصخور (ويبلغ عددها التسعة) تخلد ذكرى الفاتحين القدامى الذين مرّوا عبر هذا النهر من مصر إلى الشمال وبالعكس بدءاً من رعمسيس وقورش حتى الاسكندر المقدوني والاباطرة الرومان والخلفاء العرب والسلاطين العثمانيين. وهي تحمل رسوم الملوك المصريين والاشوريين ورسوم محاربين مع كتابات باللغات الكلدانية والفارسية واليونانية واللاتينية.

الأديرة والمؤسسات الدينية

المعتقدات الدينية الرئيسية في جبل لبنان الذي قدم الملجأ والمأوى لجميع الأديان والطوائف المعروفة هي المسيحية والاسلام. كانت المسيحية هي العقيدة السائدة في الماضي؛ ودخل الاسلام مع الفاتحين العرب. أما المذهب الدرزي فقد تثبت في جبل لبنان مع وصول الدروز المطرودين من مصر والملاحقين من قبل الحكام المسلمين بعد ابعادهم إلى سوريا حيث عثروا على مأوى لهم في حوران (جبل الدروز) والسفوح الجنوبية لجبل لبنان والسلسلة الشرقية.

يبلغ التعداد الاجمالي لسكان جبل لبنان المتصرفية ذات الحكم الذاتي في الوقت الحاضر ٢٨٠ ألف نسمة من الجنسين منهم ٢٣٠,٦٠٠ نسمة يعتنقون الديانة المسيحية والباقون وهم ٤٩,٤٠٠ نسمة من المسلمين، بينهم ٣٠,٠٠٠ درزي و١٩,٤٠٠ مسلم سنّي وشيعي.

لبنان الذي كان ولا يزال حتى الآن ملجأ لجميع المضطهدين والملاحقين لم يعرف الحروب أو التهجير أبداً بسبب المعتقد الديني. وظل جميع سكانه في العصور الأولى يعيشون في أمن ووفاق فيما بينهم فيوحدون قواهم عندما كان موطنهم المشترك يتعرض لأي خطر. وبالإضافة إلى العديد من الحقائق التاريخية يثبت ذلك أيضاً الالتحاق الطوعي بالمسيحية كعقيدة دينية اعتنقها غالبية السكان، ومنها بعض العائلات الاسلامية والدرزية الهامة، وذات النفوذ الكبير كالأمراء الشهابيين واللمعيين الذين ظلّوا لفترة طويلة يتحكمون بمصير جبل لبنان. أما العداء بين الموارنة والدروز فلم يبدأ إلّا بعد سنوات طويلة من العيش المشترك وذلك بسبب الصراع على النفوذ السياسي ونتيجة لمكائد السلطنة العثمانية وبعض الدول الأوروبية كفرنسا وانكلترا اللتين فرضتا حمايتها، الأولى على المسيحيين (الموارنة) والثانية على الدروز. ووفقاً لتأكيدات المعنيين الذين تابعوا أحداث جبل لبنان بشكل مباشر فإن المسؤولية الكبرى عن المذبحة التي حصلت في الجبل عام ١٨٦١ تقع على العملاء الفرنسيين والانكليز الذين أثاروا

بتصرفاتهم، كحماة لمصالح وكلائهم ومطالبهم، الخصومات والخلافات والمشاحنات بين الموارنة والدروز مما تسبب بتلك الأحداث الدامية. كان المسيحيون الموارنة يعتمدون على كثرتهم العددية ثم زاد نفوذهم بالتحاق العائلات الاسلامية والدرزية المذكورة بكنيستهم فرغبوا بأن تكون لهم السيطرة على جبل لبنان. وساعدهم الفرنسيون بكل الوسائل من أجل بسط نفوذهم السياسي والتجاري على بلاد الشام. ولولا الانكليز لما كان لمطالب الموارنة، على الأرجح، ذلك المصير المحزن كأحداث ١٨٦١ الدامية. فللانكليز أيضاً في بلاد الشام مصالحهم السياسية والتجارية. ومن موقع التصدي للفرنسيين في هذا المجال وجد الانكليز في جبل لبنان وفي بلاد الشام بشكل عام تربة خصبة بين الدروز المقاتلين الأشداء فقدموا لهم الحماية ودافعوا عنهم ضد خصومهم. قامت تلك الحماية على أساس حسابات سياسية بحتة وتختلف عن الحماية الفرنسية لأن الفرنسيين كانوا يعملون دوماً على أساس وحدة المعتقد الديني مع الموارنة واستناداً إلى عدد من التقاليد أو المرويات التاريخية المختلفة التي لا تستطيع فرنسا إلّا أن تحافظ عليها. ومع ذلك تمسّك الدروز بطيب خاطر بالحماية التي قدمتها لهم انكلترا أو لا زالوا الآن يعتمدون عليها في محاولاتهم لتحقيق أهدافهم في جبل لبنان ومنع سيطرة الموارنة على الحكم. وتبعاً لذلك اشتد التنافس واستمرت المشاعر العدائية بين الموارنة والدروز مما لا يمكن أن يكون بين الدروز وأية طائفة مسيحية أخرى كالأرثوذكس والروم الكاثوليك.

في الفترة الممتدة من عهد الامبراطور المسيحي الأول قسطنطين الكبير حتى ظهور النبي محمد كان المسيحيون في جبل لبنان وفي بلاد الشام كلها ينتسبون إلى الطائفة الارثوذكسية ويتبعون دينياً البطريركية الانطاكية فقط. وفي هذا الوقت بدأت تظهر الانشقاقات والردّات داخل الكنيسة الارثوذكسية كالمونوفيزيين أصحاب المشيئة الواحدة والبيوفيزيين أصحاب المشيئتين وغيرهما. فساد التمزق في أوساط الكنيسة الارثوذكسية على مدى عصور كثيرة وتمكنت من فصل جماعات عديدة منها. وساعدت على ذلك أيضاً إلى حد كبير دعوات الآباء المرسلين الغربيين المتعصبين الذين قدموا مع الحملات الصليبية. ومن الذين انشقوا عن الكنيسة الارثوذكسية في تلك الأيام العصيبة الموارنة الذين كانوا في البداية من أصحاب المشيئة الواحدة ولم يتحدوا مع روما إلّا عام ١١٨٢. وكذلك من يطلق عليهم اليوم اسم الروم الكاثوليك الذين اعترفوا بزعامة البابا في روما في القرن الثامن عشر. يتجمع العدد الأكبر من أبناء الطائفة المارونية في جبل لبنان، ويقارب ١٦٨,٥٠٠ نسمة من الجنسين.

ومع أن الموارنة يعترفون برئاسة البابا إلّا أن لهم كنيستهم المحلية المستقلة إدارياً ويرئسها البطريرك المنتخب من قبل مجمع الأساقفة الموارنة والمثبت من قبل البابا في روما. وللبطريرك الماروني مقر يقيم فيه هو بكركي في الشتاء ودير قنوبين في الصيف. ويعاونه بصورة مستمرة اسقفان وأمين سر لتصريف الأعمال اليومية ولبحث القضايا الهامة وفي الحالات الطارئة يجتمع السينودس الذي يحضره جميع الأساقفة.

للكنيسة المارونية ثماني ابرشيات هي:

١) جبيل والبترون وهي تابعة للبطريرك مباشرة.
٢) بيروت وتتألف من مدينة بيروت وجزء من جبل لبنان.
٣) صور وصيدا.
٤) بعلبك وتضم بعلبك وجزءاً من كسروان.
٥) طرابلس.
٦) قبرص.
٧) دمشق.
٨) حلب.

أما أساقفة الأبرشيات الثلاث الأخيرة فهم دائماً في جبل لبنان إلى جانب البطريرك.

لكن الكنيسة المارونية التي تعترف برئاسة البابا في روما وسلطته المعصومة عن الخطأ وكمعلم للكنيسة الكاثوليكية الكونية احتفظت وتحتفظ بعدد كبير من الطقوس القديمة التي تعود للكنيسة الارثوذكسية الشرقية. وعلى سبيل المثال تقام خدمة القداس في الكنائس باللغتين السريانية القديمة والعربية. والكهنة يتزوجون، ويتم الالتزام بالصوم التزاماً تاماً كما عند الارثوذكس، لكن الطقوس والتقاليد اللاتينية، كما نلاحظ، تواصل توسيع انتشارها بين الموارنة. ويعزى ذلك بشكل خاص إلى اليسوعيين واللعازاريين وغيرهما من الأخويات الرهبانية اللاتينية التي تملك كنائس ومعابد في بيروت وجبل لبنان وفي المعاهد العلمية التي تتربّى فيها الشبيبة المارونية من الجنسين وتتلقى العلم فيها. وبفضل هذا النفوذ فإن الترتيب والتزيين الداخليين في الكنائس المارونية لا يختلف بشيء عنه في الكنائس اللاتينية: المذبح مكشوف وعليه تقف إلى جانب الايقونات تماثيل القديسين المزينة بالزهور والمواد الغالية الثمن؛ ولا يسمح بالاحتفاظ بأرغن في الكنائس المارونية. وخلال خدمة

القداس الإلهي يرتل قرب المذبح بالألحان الشرقية العربية مرتل واحد يخدم الكاهن كما يجري قرع الجرس مرات عدة.

لا يختلف رجال الدين الموارنة في حياتهم العادية عن السكان الآخرين. فهم يمارسون الأعمال الزراعية ويلبسون الثوب الآسيوي الطويل ويعتمرون على الرأس قلنسوة سوداء عالية تكون أحياناً ملفوفة بعمامة سوداء ضخمة.

وفي كل قرية مارونية كنيسة أو كنيستان حتى في القرى الصغيرة التي تتكون من بضعة منازل. ويعيش الكهنة على ما يدفعه أبناء الرعية وما يقدمه لهم المطران أو البطريرك من المال. ولا يتميّز كهنة القرى بدرجات علمية عالية وفي بعض المناطق والقرى الكبيرة ثمة كهنة شباب تلقوا علوم الدين في مدارس اللاهوت التابعة للمطرانية أو في كليات الأخويات اللاتين. وقد تمكن اليسوعيون في المدة الأخيرة من تأسيس مراكز علمية لهم في جبل لبنان بين الموارنة يمكن مع مرور الزمن أن تخرِّج يسوعيين موارنة قد يتحولون إلى كهنة في الكنائس.

الموارنة كثيرو التعبُّد ويحترمون أساقفتهم وكهنتهم ويعتبرون بطريركهم ليس فقط رئيساً لكنيستهم المحلية المستقلة إدارياً، بل ولكل شعبهم ويقدمون الكثير من التضحيات والتبرعات لإعانة رؤسائهم الروحيين وكنائسهم. ويحصل البطريرك والأساقفة على مداخيل كبيرة من العقارات التي يملكها الكرسي البطريركي أو الاساقفة وقد آلت اليهم بطريق الأرث أو الوصية. ووفقاً للعادات القديمة فإن الأساقفة، بالإضافة إلى عشر الارث، يأخذون ربع الميراث أو ثلثه إذا لم يكن للمتوفي أولاد. أما إذا ترك المتوفي أولاداً فيأخذ الأساقفة سبع الأملاك أو عشرها. وبفضل هذا النظام تسيطر البطريركية وكراسي الأساقفة والكنائس والأديرة الكثيرة في جبل لبنان على أملاك ضخمة تبلغ مساحتها قرابة سدس الأراضي المفلوحة والصالحة للزراعة في جبل لبنان. ووفقاً للمعلومات الرسمية فإن في جبل لبنان ٧١ ديراً للرهبان و١٧ ديراً للراهبات جميعها تابعة للطائفة المارونية وتضم ١٠٥٤ راهباً و٢٧٨ راهبة كما سنرى في الجداول اللاحقة.

أما الرهبان أو رجال الاكليروس الموارنة السود فهم اتباع القديس انطونيوس وينقسمون في ادارتهم الداخلية إلى فئات ثلاث هي: الرهبانية البلدية (الرهبان المحليون)، والرهبانية الحلبية (الآتون من حلب)، والرهبانية الانطونية وهم رهبان القديس انطونيوس. ولكل من

هذه الفئات الثلاث رئيسها العام الذي ينتخبه الاخوة الرهبان من بينهم لمدة ثلاث سنوات خارجاً عن إطار سلطة الأسقف، ويكون مدبراً للدير الذي يرئسه. وتملك الأديرة المارونية مساحات واسعة من الأراضي التي يحرثها الرهبان أنفسهم والمزارعون المحليون. يرتدي الرهبان ثوباً من قماش الصوف الأسود ويعتمرون قلنسوة على رؤوسهم. وهم لا يمتازون بمستواهم العلمي كما أنهم كثيرو التقوى والتعبُّد، محبون للعمل، يشتغلون في الأرض وفي مختلف الحرف ويساعدون الاهالي. تستقبل الأديرة المارونية الفقراء وعابري السبيل بحسن الضيافة، كما أن كثيراً منها يضم مدارس مجانية.

لم يحصل أن ارتد الموارنة أو يرتدون عن طائفتهم أبداً. وقد كانوا فيما مضى يعيشون في وفاق تام مع الارثوذكس ولم يتنكروا لهم بسبب اختلاف الطقوس الدينية وكثيراً ما كانوا يرتبطون معهم عن طريق عقد الزواج. ومن الأدلة الواضحة على الوفاق وغياب أي تعصُّب ديني سابق عند الموارنة ان الأديرة والكنائس الارثوذكسية والمارونية المنذورة للقديس نفسه تقوم حتى الآن جنباً إلى جنب في مكان واحد لا يفصل بينهما الاّ جدار واحد بحيث إن خدمة القداس الالهي في هذه الكنيسة تُسمع في تلك والعكس بالعكس. في الفترة الأخيرة، وتحت تأثير اليسوعيين واللعازاريين وغيرهم من الاخويات اللاتينية التي تحاول تدمير آخر الطقوس الدينية الشعبية عند الموارنة وجعل كنيستهم شبيهة بكنيسة روما الكاثوليكية في كل شيء، غيَّر الموارنة نظرتهم إلى الارثوذكس واخذوا يتنكرون لهم أكثر فأكثر وينعتونهم بالهراطقة كما يفعل اللاتين وينتقدونهم ويعارضونهم في كل شيء ويقاومون مصالحهم ويتجنَّبون أي تضامن معهم مما حمل الضرر إلى الطرفين.

تقع المسؤولية الأولى عن هذا العداء من قبل الموارنة حيال الارثوذكس على رجال الاكليروس الموارنة وبشكل حصري على رؤسائهم الروحيين الذين يتميزون بحب السلطة ويعملون بمختلف الوسائل للحفاظ على نفوذهم الكبير على عامة الشعب. وبدأت مشاعر انعدام الثقة والكره بين هاتين الطائفتين تظهر بالتحاق بعض الأفراد والعائلات الارثوذكسية بالطائفة المارونية أو انتقال بعض العائلات المارونية إلى الطائفة الارثوذكسية لأسباب سياسية بشكل رئيسي ولخلافات مع رؤسائهم الروحيين. ومع أن هذا الانتقال من طائفة لأخرى كان نادر الحدوث، الاّ أنه كان يثير الخصومات والحزازات بين الطوائف.

وأخيرا فإن الموارنة، بتحريض من رؤسائهم الروحيين، كانوا كثيراً ما يفتعلون الخصام والشجار مع جيرانهم الارثوذكس بسبب امتلاكهم للكنائس القديمة أو المدافن المتجاورة.

أما الروم الكاثوليك فقد بدأوا بالظهور في سوريا وفي جبل لبنان منذ القرن السادس عشر، لكنهم لم يعترفوا بسلطة البابا في روما صراحة الاّ في القرن الثامن عشر ولم يعترف الباب العالي بهم كطائفة دينية قائمة بذاتها (مِلَّة) الا عام ١٨٢٧.

لا يشكل الكاثوليك اللبنانيون كنيسة مستقلة كالموارنة بل هم جزء من الكنيسة الكاثوليكية في سوريا ومصر التي يرئسها بطريرك الكاثوليك الذي اتخذ مكان اقامته الرسمية في دمشق، ثم أصبح له مقر آخر في الاسكندرية ومقر صيفي في لبنان في قرية عين تراز حيث تأسست هناك مدرسة اكليريكية للطائفة.

انتخب مجمع أساقفة جبل لبنان في الثلاثينات من القرن الحالي (القرن التاسع عشر) أول بطريرك للروم الكاثوليك، واعترف بابا روما بلقب بطريرك انطاكية والاسكندرية والقدس. وله حق تسيير ثلاث بطريركيات خلافاً لقوانين مجمع الاساقفة الاساسي. وخلال الحكم المصري في سوريا عمل البطريرك الكثير لتدعيم مركز طائفته فانتزع من الارثوذكس عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة وقد ساعدته الظروف التي كانت سائدة آنذاك كثيراً. فنجح بأن يكون لرجال الاكليروس الروم الكاثوليك حق ارتداء ثوب وقلنسوة الكهنة الارثوذكس. وقبل أن يعترف الباب العالي بالروم الكاثوليك كطائفة دينية قائمة بذاتها كان رجال الاكليروس من الروم الكاثوليك يعتمرون عمامة سوداء. وبعد الاعتراف بهم أخذوا يضعون القلنسوة الخاصة برجال الدين الارثوذكس على رؤوسهم مما أدى إلى ارباك الارثوذكس إذ لم يعد باستطاعتهم تفريق رجال الاكليروس الارثوذكس عن غيرهم ولا سيما أولئك المرتدّين عن الكنيسة الارثوذكسية. لذلك طلب بطريرك انطاكية للروم الارثوذكس من الباب العالي ارغام رجال الدين الروم الكاثوليك على اعتمار قلنسوة اخرى. واستمر النزاع بين البطريركين الارثوذكسي والكاثوليكي اثني عشر عاماً كلفت الطرفين الكثير من المتاعب والأموال حتى تم أخيراً اتخاذ القرار في اسطمبول بعد وساطة سفارات روسيا وفرنسا بأن يعتمر رجال الاكليروس من الروم الكاثوليك قلنسوة ثمانية الشكل والتي تختلف من الخارج في شكلها عن القلنسوة الارثوذكسية.

لطائفة الروم الكاثوليك الابرشيات التالية:

١) بيروت وجبل لبنان.

٢) زحلة.

هذه الفئات الثلاث رئيسها العام الذي ينتخبه الاخوة الرهبان من بينهم لمدة ثلاث سنوات خارجاً عن إطار سلطة الأسقف، ويكون مدبراً للدير الذي يرئسه. وتملك الأديرة المارونية مساحات واسعة من الأراضي التي يحرثها الرهبان أنفسهم والمزارعون المحليون. يرتدي الرهبان ثوباً من قماش الصوف الأسود ويعتمرون قلنسوة على رؤوسهم. وهم لا يمتازون بمستواهم العلمي كما أنهم كثيرو التقوى والتعبُّد، محبون للعمل، يشتغلون في الأرض وفي مختلف الحرف ويساعدون الاهالي. تستقبل الأديرة المارونية الفقراء وعابري السبيل بحسن الضيافة، كما أن كثيراً منها يضم مدارس مجانية.

لم يحصل أن ارتد الموارنة أو يرتدون عن طائفتهم أبداً. وقد كانوا فيما مضى يعيشون في وفاق تام مع الارثوذكس ولم يتنكروا لهم بسبب اختلاف الطقوس الدينية وكثيراً ما كانوا يرتبطون معهم عن طريق عقد الزواج. ومن الأدلة الواضحة على الوفاق وغياب أي تعصُّب ديني سابق عند الموارنة ان الأديرة والكنائس الارثوذكسية والمارونية المنذورة للقديس نفسه تقوم حتى الآن جنباً إلى جنب في مكان واحد لا يفصل بينهما الّا جدار واحد بحيث إن خدمة القداس الاهلي في هذه الكنيسة تُسمع في تلك والعكس بالعكس. في الفترة الأخيرة، وتحت تأثير اليسوعيين واللعازاريين وغيرهم من الاخويات اللاتينية التي تحاول تدمير آخر الطقوس الدينية الشعبية عند الموارنة وجعل كنيستهم شبيهة بكنيسة روما الكاثوليكية في كل شيء، غيَّر الموارنة نظرتهم إلى الارثوذكس واخذوا يتنكرون لهم أكثر فأكثر وينعتونهم بالهراطقة كما يفعل اللاتين وينتقدونهم ويعارضونهم في كل شيء ويقاومون مصالحهم ويتجنَّبون أي تضامن معهم مما حمل الضرر إلى الطرفين.

تقع المسؤولية الأولى عن هذا العداء من قبل الموارنة حيال الارثوذكس على رجال الاكليروس الموارنة وبشكل حصري على رؤسائهم الروحيين الذين يتميزون بحب السلطة ويعملون بمختلف الوسائل للحفاظ على نفوذهم الكبير على عامة الشعب. وبدأت مشاعر انعدام الثقة والكره بين هاتين الطائفتين تظهر بالتحاق بعض الأفراد والعائلات الارثوذكسية بالطائفة المارونية أو انتقال بعض العائلات المارونية إلى الطائفة الارثوذكسية لأسباب سياسية بشكل رئيسي والخلافات مع رؤسائهم الروحيين. ومع أن هذا الانتقال من طائفة لأخرى كان نادر الحدوث، الّا أنه كان يثير الخصومات والحزازات بين الطوائف.

وأخيرا فإن الموارنة، بتحريض من رؤسائهم الروحيين، كانوا كثيراً ما يفتعلون الخصام والشجار مع جيرانهم الارثوذكس بسبب امتلاكهم للكنائس القديمة أو المدافن المتجاورة.

أما الروم الكاثوليك فقد بدأوا بالظهور في سوريا وفي جبل لبنان منذ القرن السادس عشر، لكنهم لم يعترفوا بسلطة البابا في روما صراحة الّا في القرن الثامن عشر ولم يعترف الباب العالي بهم كطائفة دينية قائمة بذاتها (مِلَّة) الا عام ١٨٢٧.

لا يشكل الكاثوليك اللبنانيون كنيسة مستقلة كالموارنة بل هم جزء من الكنيسة الكاثوليكية في سوريا ومصر التي يرئسها بطريرك الكاثوليك الذي اتخذ مكان اقامته الرسمية في دمشق، ثم أصبح له مقر آخر في الاسكندرية ومقر صيفي في لبنان في قرية عين تراز حيث تأسست هناك مدرسة اكليريكية للطائفة.

انتخب مجمع أساقفة جبل لبنان في الثلاثينات من القرن الحالي (القرن التاسع عشر) أول بطريرك للروم الكاثوليك، واعترف بابا روما بلقب بطريرك انطاكية والاسكندرية والقدس. وله حق تسيير ثلاث بطريركيات خلافاً لقوانين مجمع الاساقفة الاساسي. وخلال الحكم المصري في سوريا عمل البطريرك الكثير لتدعيم مركز طائفته فانتزع من الارثوذكس عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة وقد ساعدته الظروف التي كانت سائدة آنذاك كثيراً. فنجح بأن يكون لرجال الاكليروس الروم الكاثوليك حق ارتداء ثوب وقلنسوة الكهنة الارثوذكس. وقبل أن يعترف الباب العالي بالروم الكاثوليك كطائفة دينية قائمة بذاتها كان رجال الاكليروس من الروم الكاثوليك يعتمرون عمامة سوداء. وبعد الاعتراف بهم أخذوا يضعون القلنسوة الخاصة برجال الدين الارثوذكس على رؤوسهم مما أدى إلى ارباك الارثوذكس إذ لم يعد باستطاعتهم تفريق رجال الاكليروس الارثوذكس عن غيرهم ولا سيما أولئك المرتدِّين عن الكنيسة الارثوذكسية. لذلك طلب بطريرك انطاكية للروم الارثوذكس من الباب العالي ارغام رجال الدين الروم الكاثوليك على اعتمار قلنسوة اخرى. واستمر النزاع بين البطريركين الارثوذكسي والكاثوليكي اثني عشر عاماً كلفت الطرفين الكثير من المتاعب والأموال حتى تم أخيراً اتخاذ القرار في اسطمبول بعد وساطة سفارات روسيا وفرنسا بأن يعتمر رجال الاكليروس من الروم الكاثوليك قلنسوة ثمانية الشكل والتي تختلف من الخارج في شكلها عن القلنسوة الارثوذكسية.

لطائفة الروم الكاثوليك الابرشيات التالية:

١) بيروت وجبل لبنان.

٢) زحلة.

٣) بعلبك
٤) صيدا
٥) صور
٦) عكا
٧) يافا
٨) طرابلس
٩) اللاذقية

تركزت نواة طائفة الروم الكاثوليك الدينية في جبل لبنان حيث يناهز عدد افرادها ٢٢ ألف نسمة من الجنسين. ورغم اعترافهم بسلطة البابا المعصومة عن الخطأ كمعلم للكنيسة الكاثوليكية الكونية الاّ أنهم احتفظوا ويحتفظون الى حد كبير بجميع الطقوس الارثوذكسية. فهم لا يؤمنون بالمطهر، ولا يحترمون صكوك الغفران، ويفضلون الكهنة المتزوجين، ويتنكرون للكنيسة اللاتينية. وكثيرون منهم لا زالوا حتى الآن يتمسكون بالتقويم القديم ويحتفلون بالاعياد مع الارثوذكس رغم أن البابا بيوس التاسع أدخل في العام ١٨٥٧ إلى كنيسة الروم الكاثوليك التقويم الغريغوري الجديد. وقد أظهر هذا التدبير الصارم الذي أقدم عليه الحبر الأعظم في روما مستوى اخلاص الشعوب الشرقية لطقوسهم الكنسية القديمة فعارض بعض رجال الدين الروم الكاثوليك وبعض العلمانيين منهم ادخال التقويم الجديد إلى كنيستهم وبدأوا بالعودة إلى الطائفة الارثوذكسية جماعات جماعات. وشاركت حكومتنا والسينودس المقدس بنشاط في هذه الحركة الدينية التي تبشر بنتائج باهرة للكنيسة الارثوذكسية في الشرق. ونقلت من روسيا مبالغ كبيرة من المال لبناء كنائس جديدة للعائدين إلى الارثوذكسية في بيروت وجبل لبنان ودمشق وغيرها من المدن. وكذلك لتقديم المساعدات إلى رجال الاكليروس المشرفين على هذه الحركة. كما حصل رجال الاكليروس هؤلاء على كميات كبيرة من الملابس الكهنوتية والايقونات واللوازم الكنسية. كانت هذه الحركة جماعية وتمت عودة الروم الكاثوليك إلى الكنيسة الارثوذكسية باعداد كبيرة حتى من أوساط الرؤساء الروحيين الكبار الذين كانوا يعتبرون من ألدّ أعداء الارثوذكسية والارثوذكسيين. وبالإضافة الى البسطاء من جماهير الشعب والرؤساء النافذين عاد من الروم الكاثوليك كذلك عدد من الرؤساء الروحيين من مرتبة اسقف وارشمندريت وكاهن. وفي لحظة ما أخذ الجميع يفكرون بأن يوم نهاية طائفة الروم الكاثوليك قد اقترب في جبل لبنان وسوريا لولا حوادث عام

١٨٦٠ المؤسفة ومنها مذبحة في جبل لبنان وأخرى في دمشق وغيرها من مدن سوريا. فاتُّخذت ذريعة لارسال حملة من الجيوش الفرنسية إلى سوريا. ومع وصول القوات الفرنسية إلى جبل لبنان وبسبب دسائس ومؤمرات العملاء الفرنسيين ورجال الاكليروس اللاتين لم تتعثّر عملية عودة الروم الكاثوليك الى الارثوذكسية وحسب، بل ازدادت الردة من صفوف المرتدين الجدد الى الارثوذكسية الى صفوف الروم الكاثوليك حتى لم يبق منهم في الارثوذكسية الاّ العدد الضئيل ممن يعتبرون أنفسهم ارثوذكسيين ويرتادون الكنائس التي بنيت من أجلهم بأموال الحكومة الروسية، مع أن القسم الأكبر منهم لم يكونوا أوفياء ومخلصين للارثوذكسيين بل يتظاهرون بذلك من أجل مصالحهم الخاصة. هكذا فإن هذه القضية التي أثارت ضجة كبيرة في ذلك الوقت واستهلكت مبالغ مالية طائلة لم تؤدِّ في الحقيقة الى أية فائدة جوهرية للكنيسة الانطاكية الارثوذكسية بل سببت ضرراً كبيراً لأنها أظهرت لأبناء الطائفة الارثوذكسية الأصليين نماذج من اللامبالاة والمصلحة الشخصية حيال القضايا الدينية الهامة.

إن تاريخ انشقاق الروم الكاثوليك عن الارثوذكس في سوريا بالغ الطرافة وذو مغزى من نواحٍ كثيرة، لكني لن أسرد هذا التاريخ هنا لأن ذلك يتطلب كتاباً كاملاً، أقول فقط إن الفشل في حل هذه المسألة لم يكن نتيجة الأسباب التي لم تكن متوقعة والتي ذكرناها آنفاً بقدر ما كان نتيجة عجز المسؤولين عن التعامل بكفاءة مع هذه القضية وافتقار الروم الكاثوليك المنشقين للقناعات الحقيقية والمخلصة والأهداف الخالية من الأغراض الشخصية.

وتمكن بابا روما من تطبيق التقويم الجديد في كنيسة الروم الكاثوليك السورية. ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين الذين شجعوا النجاح الأول عن طريق البدعة الجديدة، لن يكتفوا بذلك بل سوف يحاولون تغيير طقوسها المحلية القديمة تدريجياً كما فعلوا ذلك بالنسبة للكنيسة المارونية. وارضاء لروما تمكن الأساقفة من انجاز تغيير الكهنة المتزوجين برهبان رغم معارضة الشعب. وتتواصل معابد الروم الكاثوليك الاحتفاظ بترتيبها وزينتها الداخلية أي المذبح المفصول بواسطة الايقونسطاس. ومع ذلك بدأت تظهر بعض الايقونات اللاتينية الجديدة إلى جانب الايقونات الارثوذكسية القديمة.

تقام خدمة القداس الالهي في كنائس الروم الكاثوليك في جبل لبنان وفي سوريا ومصر بشكل عام باللغة العربية ولا تتميز تقريباً عن خدمة القداس الالهي في الكنائس

الارثوذكسية. وأثناء القداس يرتدي كهنة الروم الكاثوليك الحلة نفسها تقريباً التي يرتديها كهنة الأرثوذكس.

يملك الروم الكاثوليك في جبل لبنان ١٣ ديراً للرهبان وأربعة أديرة للراهبات يعيش فيها ٢١٢ راهباً و٢٠ راهبة. والرهبان السود لطائفة الروم الكاثوليك يتبعون جميعهم رتبة القديس باسيليوس كالارثوذكس. أما الادارة الداخلية للأديرة فتنقسم إلى ثلاث فئات وهي: الرهبانية البلدية للرهبان المحليين وتتركز ادارتهم في رهبان دير مار يوحنا الشوير (في قائمقامية المتن)؛ والرهبانية الحلبية أي الرهبان الآتون من حلب ومقرهم دير مار جرجس الغرب (دير الشير) في قائمقامية الشوف؛ ورهبان المخلصية وهم باسم ديرهم الأساسي، دير المخلص، في قائمقامية الشوف في اقليم الخروب شمال صيدا. وهذه الرهبانيات الثلاث تتمتع بادارة ذاتية على غرار الاديرة المارونية. أما الأديرة الأخرى فهي إما تابعة للأديرة الثلاثة المذكورة أو تتبع مطارنة الروم الكاثوليك مباشرة. ولا يتميز الرهبان عن رجال الاكليروس بملابسهم ومستواهم العلمي؛ وهم مجدّون في العمل، محافظون ويقومون بمختلف الأعمال لمصلحة أديرتهم.

تملك أديرة الروم الكاثوليك مساحات واسعة من الأراضي وعقارات سكنية كثيرة حصلت عليها بطرق الهبة والتبرع من الرهبان أنفسهم ومن أبناء الطائفة العلمانيين.

لم يعد الروم الكاثوليك في لبنان يمارسون أية دعاية غير أنه لا ينبغي القول أنّهم يعيشون في وئام ووفاق مع الارثوذكس وحتى مع الموارنة. ورغم تقاربهم في العقيدة الدينية، يتجنبون الاختلاط بهم، ورغم أن أجيالاً عديدة تعاقبت منذ أن ارتد الروم الكاثوليك عن المذهب الارثوذكسي، فهم على كل حال يحتفظون في حياتهم بالحنين الذي تميّز به انشقاقهم. إنهم الفئة الأشد حرماناً وقلقاً بين جميع المسيحيين السوريين ولا يمكن العيش بوئام معهم لأنهم يناصبون العداء بعضهم البعض ويتناصرون فيما بينهم وبين رؤسائهم الروحيين.

أما سكان جبل لبنان الارثوذكس الذين يناهز عددهم ٣٩٥٠٠ نسمة من الجنسين فهم لا يشكلون كنيسة مستقلة بل خاضعون للبطريركية الانطاكية التي يرأسها البطريرك المقيم بشكل دائم في دمشق. وهم تابعون مباشرة لمطارنة أبرشياتهم في زحلة وطرابلس وبيروت وصور وصيدا.

يوجد في جبل لبنان ١٢ ديراً للرهبان الارثوذكس تضم ٥٨ راهباً يتبعون مباشرة مطران

الأبرشية باستثناء ديرين أحدهما في الكورة (دير البلمند) والآخر في المتن (دير مار الياس شويا) يتبعان البطريركية بشكل مباشر. يملك هذان الديران عدداً كبيراً من العقارات والأملاك غير المنقولة تدرُّ مدخولاً لا بأس به يستفيد منه مطرانا بيروت وطرابلس وبطريريك انطاكية للروم الكاثوليك.

لا يمتاز الرهبان الارثوذكس عن كهنة الطائفة باللباس أو المستوى العلمي، فهم يعتمرون القلنسوة اليونانية والجبة المصنوعة من الجوخ أو من قماش الصوف الخشن، وهم يجيدون القراءة والكتابة ويمارسون الأعمال الزراعية كالقرويين البسطاء ويعملون لمصلحة الأديرة التي يعيشون فيها.

ويملك الأرمن الكاثوليك في جبل لبنان ديرين قدمها الموارنة لهم هدية عندما اعترفوا برئاسة البابا، ويعيش فيهما ٢٦ راهباً. يقع أحدهما في بلدة بزمّار وهو مقر للمطران الذي يُرسله بطريرك الأرمن الكاثوليك من اسطمبول لادارة الديرين وأملاكها، والآخر في محلة بيت خشبو ويدعى دير القديس انطونيوس.

وظهر البروتستانت كإحدى الطوائف المسيحية في جبل لبنان بفضل البعثات التبشيرية الاميركية والبريطانية التي تمكنت من التغلغل عن طريق المدارس وتوزيع المساعدات المالية. وقد بدأ نشاط الارساليات البروتستانتية في جبل لبنان عام ١٨٣٦ عندما أسسوا أول مدرسة مجانية لهم في جبل لبنان بغرض الدعاية وذلك في قرية عبيه في قائمقامية الشوف الدرزية. ورغم الأموال الباهظة المدفوعة والمكائد لم يحقق البروتستانت الاّ نتائج ضئيلة. إذ لا يضم جبل لبنان أكثر من ٦٠٠ نسمة من الجنسين من طائفة البروتستانت وأكثريتهم من المرتدين عن الطائفة الارثوذكسية بسبب عدم وجود مدارس لهم، ولأن الرؤساء الارثوذكس الروحيين لا يظهرون اهتماماً كافياً لارشاد رعيتهم وتعليم أبنائهم ولا يحمونهم من تأثيرات الطوائف الأخرى واغراءاتها.

يقاوم الروم الكاثوليك والموارنة، لا سيما الموارنة، بشدة دعاية الارساليات التبشيرية البروتستانتية. ويقوم مطارنتها بفتح المدارس لكي يمنعوا أبناءهم من الالتحاق بالمدارس البروتستانتية ويبذلون كل جهد لعرقلة الارساليات الاميركية من الاستقرار في القرى التابعة لابرشياتهم. لذلك لم تتمكن الارساليات الاميركية من فتح مدرسة لها في أية قرية مارونية. ولا يزال نشاطهم محصوراً حتى الآن في القرى الارثوذكسية أو في بعض القرى التي تسكنها

طوائف مختلطة. وتنحصر المدارس البروتستانتية الآن في قرى عبيه وشملان وسوق الغرب والشويفات وكفرشيما وبحمدون وبرمانا والشوير وغيرها، وكذلك في مدينة زحلة التي تشكل قاعدة قائمقامية الروم الكاثوليك. في كل مدرسة بروتستانتية تحتفظ الارساليات بكنيسة أو معبد للصلاة حيث يجتمع التلاميذ والتلميذات أيام الآحاد مع غيرهم من سكان القرى لقراءة التوراة وترتيل المزامير. والعادة ان يلقي المبشرون في هذه الاجتماعات العظات باللغة العربية ينتقدون فيها طقوس الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية ويهزأون من الايقونات ويعتبرون الكنيسة البروتستانتية الأكثر تطوراً.

كان الراشدون من أبناء الشعب يتقبلون الدعاية البروتستانتية للحصول على مكاسب مادية ومالية يقدمها المبشرون أو يعدون بها. وكان انتقالهم إلى البروتستانتية يتم بهدف حصولهم على تلك المكاسب وذلك دون أية قناعة ذاتية. فكان يحمل بالتالي طابعاً مؤقتاً بحيث يعتبرون أنفسهم بروتستانتيين طالما استمرت فائدتهم أي طالما يحصلون على المساعدات المالية من المبشرين. فالعقيدة البروتستانتية ليست مغرية ولا تستطيع جذب الارثوذكس الشرقيين أو المسيحيين بشكل عام لمدة طويلة بعد أن اعتادوا الطقوس الخارجية المختلفة وهم يمتازون بموهبة الخيال الخصب. وذلك يفسر إلى حد ما لماذا لم تجد البروتستانتية رواجاً كبيراً في جبل لبنان لكنها سبّبت ولا زالت تسبّب ضرراً كبيراً لابناء الطوائف المسيحية وكنائسهم لأنها تثير الخلافات والخصومات في العائلات وتفسد الأخلاق وتحول الدين إلى تجارة ومكاسب فردية. وتحولت البروتستانتية في جبل لبنان في الآونة الأخيرة الى ملجأ لكل المتذمرين من تصرف رؤسائهم الروحيين أو من زعمائهم السياسيين وحتى من السلطة الادارية التي يخضعون لها. وكثيراً ما كانت عائلات كاملة، ارثوذكسية أو كاثوليكية أو مارونية، وحتى قرى باسرها تعلن اعتناقها للبروتستانتية للاسباب المذكورة ثم تعود إلى طوائفها الاصلية عندما تزول تلك الأسباب.

ولا تقدم الادارة اللبنانية أي تشجيع للدعاية البروتستانتية لكنها أيضاً لا تعرقل أعمال المبشرين الاميركيين لفتح المدارس والمعابد في القرى وتطوير عملهم التبشيري بحرية تامة. وقد ادرك المتصرف الحالي رستم باشا الخطر الذي يمكن أن يلحق بجبل لبنان من جراء انتشار المبادىء البروتستانتية وتحولها إلى طائفة دينية مستقلة فعمل على مقاومتها وبدأ بفتح المدارس المجانية للشبيبة اللبنانية على حساب الادارة الرسمية. لكن محاولاته لم تتكلل بالنجاح بل أرغم على اغلاق تلك المدارس بعد فترة قصيرة لعدم توفر المخصصات المالية لها

بعد أن توقف الباب العالي عن مد جبل لبنان بالدعم المالي المطلوب. ووجد المبشرون الاميركيون الدعم والتشجيع لدى كل من القناصل: الاميركي والبريطاني والالماني. وقاومتهم القنصلية الروسية العامة في بيروت بهدف الحفاظ على مصالح الارثوذكس في جبل لبنان وذلك بقدر ما تسمح المبالغ المالية الزهيدة الموضوعة في تصرفها.

يقوم رجال الاكليروس اللاتين بالدعاية بين الشبيبة الارثوذكسية داخل مؤسساتهم العلمية فقط ولا يملكون مدارس في القرى الارثوذكسية على غرار المبشرين البروتستانت وبصورة عامة هم لا يحاولون نقل نشاطهم إلى القرى. وأكثر ما يتأثر بدعايتهم الأطفال من الجنسين من أبناء الطبقات الميسورة في المدن. أما أخطر ما يتهدد الارثوذكسية فهم اليسوعيون ومدارس البنات الداخلية التي تديرها وتشرف عليها راهبات مختلف الاخويات الفرنسية.

جدول انتشار الاديرة في جبل لبنان وفقاً للاقضية والطوائف

١) قضاء الكورة

اسم الدير	الأديرة الارثوذكسية عدد الاديرة	عدد الرهبان	ملاحظات
دير البلمند	١	٢١	تابع للبطريركية
دير كفتين (السيدة)	١	٧	تابع لمطران طرابلس
دير الناطور (السيدة)	١	٥	تابع لمطران طرابلس
دير ماريعقوب في دده	١	٣	تابع لمطران طرابلس
دير مار متري في كوسبا	١	١	تابع لمطران طرابلس
دير النورية	١	٤	تابع لمطران بيروت
دير كفتون (السيدة)	١	٣	تابع لمطران بيروت
المجموع	٧	٤٤	

٢) قضاء البترون

اسم الدير	الاديرة المارونية		الاديرة الارثوذكسية		المجموع	
	عدد الاديرة	عدد الرهبان	عدد الاديرة	عدد الرهبان	عدد الاديرة	عدد الرهبان
دير قنّوبين في قرية الديمان ـ المقر الصيفي للبطريرك الماروني ـ	١	٤	ـ	ـ	١	٤
مار انطونيوس قزحيا في جبّة بشرّي	١	١٢٠	ـ	ـ	١	١٢٠
مار انطونيوس حوب في تنورين	١	٤٠	ـ	ـ	١	٤٠
مار سمعان في ايطو (للراهبات)	١	٣٥	ـ	ـ	١	٣٥
مار كبريانوس مع مدرسة اكليريكية في كفيفان	١	٣٠	ـ	ـ	١	٣٠
دير عين البقرة في بشري	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥
مار الياس في بشري	١	٣٠	ـ	ـ	١	٣٠
مار الياس في شويت	١	١٠	ـ	ـ	١	١٠
مار يعقوب في كفرحي	١	١٢	ـ	ـ	١	١٢
مار سركيس في اهدن	١	٣٠	ـ	ـ	١	٣٠
مار سركيس في بشري	١	٢٥	ـ	ـ	١	٢٥
مار انطونيوس الجديدة في الزاوية	١	٣٠	ـ	ـ	١	٣٠
دير عشاش	١	٢٠	ـ	ـ	١	٢٠
مار يوحنا في قرية دوما	ـ	ـ	١	٤	١	٤
المجموع	١٣	٤٠١	١	٤	١٤	٤٠٥

٣) قضاء كسروان

اسم الأديرة المارونية

اسم الدير	للرهبان		للراهبات		المجموع العام	
	عدد الاديرة	عدد الرهبان	عدد الاديرة	عدد الرهبان	عدد الاديرة	عدد الرهبان
بكركي ـ المقر الشتوي للبطريرك الماروني	١	٥	ـ	ـ	١	٥
مار سركيس في قرطبا	١	٣٠	ـ	ـ	١	٣٠
مار شليطا في القطّارة	١	٢٥	ـ	ـ	١	٢٥
دير سيدة ميفوق	١	٦٠	ـ	ـ	١	٦٠
دير مار عبدا في معاد	١	٣٥	ـ	ـ	١	٣٥
دير البنات في جبيل	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥
مار مارون في عنايا	١	٣٥	ـ	ـ	١	٣٥
دير الرسل في الزوق	١	٣	ـ	ـ	١	٣
مار روكز في عجلتون	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥
دير السيدة في زوق مصبح	١	٢٠	ـ	ـ	١	٢٠
دير مار مارون	١	١٥	ـ	ـ	١	١٥
النبي ايليا في عينطورة	ـ	ـ	١	٢٠	١	٢٠
الراعي الصالح في زوق مكايل	ـ	ـ	١	٢٠	١	٢٠
دير مار يوشع في غوسطا	ـ	ـ	١	١٥	١	١٥
النبي ايليا في بلوّنة	ـ	ـ	١	١	١	١
مار موسى في بلّونة	ـ	ـ	١	٥	١	٥
مار جرجس في علما	ـ	ـ	١	٢٠	١	٢٠
النبي ايليا في غزير	ـ	ـ	١	٢٠	١	٢٠
سيدة الحقلة في عرمون	ـ	ـ	١	١٥	١	١٥
مار روحانا في عرمون	ـ	ـ	١	١	١	١
مار شليطا في غوسطا	ـ	ـ	١	٢٠	١	٢٠
دير الخريشة	ـ	ـ	١	١٥	١	١٥
دير مار كبريانوس في كسروان	ـ	ـ	١	٢٠	١	٢٠
دير سيدة النصر في غوسطا	ـ	ـ	١	١٠	١	١٠
المجموع	١١	٢٥٨	١٣	١٨٢	٢٤	٤٤٠

أديرة الروم الكاثوليك

اسم الدير	للرهبان		للراهبات		المجموع العام	
	عدد الاديرة	عدد الرهبان	عدد الاديرة	عدد الرهبان	عدد الاديرة	عدد الرهبان والراهبات
الراعي الصالح في الزوق	—	—	١	٢٠	١	٢٠
دير مار ميخائيل	—	—	١	١٥	١	١٥
دير الرهبانية المخلصية	—	—	١	٢٤	١	٢٤
المجموع	—	—	٣	٥٩	٣	٥٩
الأديرة الأرمنية						
بزمار	١	٢٠	—	—	١	٢٠
دير القديس انطونيوس في بيت خشبو	١	٦	—	—	١	٦
المجموع	٢	٢٦	—	—	٢	٢٦
المجموع العام	١٣	٢٨٤	١٦	٢٤١	٢٩	٥٢٥

٤) قضاء المتن

اسم الدير	ارثوذكسية		كاثوليكية		مارونية		المجموع		ملاحظــات
	أديرة	رهبان	أديرة	رهبان	أديرة	رهبان	أديرة	رهبان	
دير النبي ايليا في الكحلونية	—	—	—	—	١	٢٣	١	٢٣	
القديسة تقلا في العبادية	—	—	—	—	١	٢	١	٢	مع مدرسة لعشرين تلميذاً
مار يوحنا في قبيّع	—	—	—	—	١	١١	١	١١	
القديسة تقلا في الشبانية	—	—	—	—	١	١	١	١	
القديس انطونيوس في حمانا	—	—	—	—	١	٢	١	٢	
مار الياس في قرنايل	—	—	—	—	١	٢	١	٢	مع مدرسة لثمانية تلاميذ
مار جرجس في دير الحرف	١	١	—	—	—	—	١	١	
دير راس المتن	—	—	—	—	١	١	١	١	
القديس انطونيوس في الكنيسة	—	—	—	—	١	٣	١	٣	مع مدرسة لعشرة تلاميذ
مار بطرس في صليما	—	—	—	—	١	٢	١	٢	كبوشية مع مدرستين
القديس يوسف في المتين	—	—	—	—	١	٤	١	٤	مع مدرسة لاربعين تلميذاً
القديس ميخائيل في بنابيل	—	—	—	—	١	٢٠	١	٢٠	مع مدرسة لخمسة عشر تلميذاً
مار ساسين في بسكنتا	—	—	—	—	١	٤٦	١	٤٦	
مار سمعان في عين القبو	—	—	—	—	١	٤	١	٤	للبنات
دير الحرف	—	—	١	٢٠	—	—	١	٢٠	مع مدرسة للبنات
مار سمعان في وادي الكرم	—	—	١	٢	—	—	١	٢	
القديس ميخائيل في بقعاتا	١	١	—	—	—	—	١	١	
مار الياس في شويا	١	٧	—	—	—	—	١	٧	
مار الياس في شويا	—	—	—	—	١	١٥	١	١٥	
دير الشير	—	—	—	—	١	١	١	١	مع مدرسة للبنات
دير عين القش	—	—	١	٢	—	—	١	٢	
دير مار موسى	—	—	—	—	١	٢٥	١	٢٥	مع مدرسة
مار عازار	—	—	—	—	١	١٥	١	١٥	
مار شعيا	—	—	١	٨	—	—	١	٨	
دير السيدة في بكفيا	—	—	—	—	١	٦	١	٦	يسوعي مع مدرسة
مار جرجس في بكفيا	—	—	١	١	—	—	١	١	مع مدرسة
مار ميخائيل في ساقية المسك	—	—	—	—	١	٣	١	٣	
القديس يوسف في بحر صاف	—	—	—	—	١	٣	١	٣	
مار بطرس كريم التين	—	—	—	—	١	١٠	١	١٠	

اسم الدير	ارثوذكسية أديرة	ارثوذكسية رهبان	كاثوليكية أديرة	كاثوليكية رهبان	مارونية أديرة	مارونية رهبان	المجموع أديرة	المجموع رهبان	ملاحظـات
مار انطونيوس في النبعة	–	–	–	–	١	١٨	١	١٨	
مار تقلا في الغينة	–	–	–	–	١	٢	١	٢	مع مدرسة
مار جرجس في بحمدون	–	–	–	–	١	٣	١	٣	
دير السيدة في عين علق	–	–	–	–	١	٣	١	٣	
مار مارون في بوارج	–	–	–	–	١	٢	١	٢	
مار شليطا في الشاغور	–	–	–	–	١	٣	١	٣	
مار عبدا في نهر الكلب	–	–	–	–	١	٤	١	٤	
السيدة في طاميش	–	–	–	–	١	٤٠	١	٤٠	
القديس يوسف في البرج	–	–	–	–	١	١٠	١	١٠	
مار جرجس في عوكر	–	–	–	–	١	٥	١	٥	
مار الياس في انطلياس	–	–	–	–	١	٢	١	٢	
السيدة في عين الجوزة	–	–	–	–	١	١	١	١	
السيدة في بقنايا	–	–	–	–	١	١	١	١	
مار ضومط في رومية	–	–	–	–	١	٤	١	٤	
مار روكز في ضهر الحصين	–	–	–	–	١	٦	١	٦	
القديس يوحنا القلعة	–	–	–	–	١	١٥	١	١٥	
السيدة في عين سعاده	–	–	–	–	١	٣	١	٣	
مار انطونيوس في بعبدا	–	–	–	–	١	٤	١	٤	
مار تقلا في الوادي	–	–	–	–	١	٤	١	٤	مع مدرسة
مار جرجس في القرقفة	–	–	١	٥	–	–	١	٥	
القديس يوسف في بسكنتا	–	–	–	–	١	٢	١	٢	مع مدرسة
مار يوحنا في الشوير	–	–	١	٢٥	–	–	١	٢٥	
السيدة في عين عار	–	–	–	–	١	٢	١	٢	
مار تقلا في قرنة الحمرا	–	–	–	–	١	٢	١	٢	
المجموع	٣	٩	٧	٦٣	٤٣	٣٣٥	٥٣	٤٠٧	

٥) قضاء الشوف

اسم الدير	المارونية أديرة	المارونية رهبان	روم كاثوليك أديرة	روم كاثوليك رهبان	ارثوذكس أديرة	ارثوذكس رهبان	المجموع أديرة	المجموع رهبان
دير المخلص في رشميا	–	–	١	٦٠	–	–	١	٦٠
دير المخلص في رشميا	–	–	١	٥	–	–	١	٥
دير عمّيق	–	–	١	٥	–	–	١	٥
دير ماما	١	٢٠	–	–	–	–	١	٢٠
دير بيرسنين	١	١٥	–	–	–	–	١	١٥
دير رشميا	١	٢٠	–	–	–	–	١	٢٠
مار جرجس	–	–	١	٢٠	–	–	١	٢٠
مار جرجس في سوق الغرب	–	–	–	–	١	١	١	١
المجموع	٣	٥٥	٤	٩٠	١	١	٨	٤٦

٦) دير القمر

اسم الدير	المارونية أديرة	المارونية رهبان	روم كاثوليك أديرة	روم كاثوليك رهبان	ارثوذكس أديرة	ارثوذكس رهبان	المجموع أديرة	المجموع رهبان
سيدة التسمية والنبي ايليا	٢	١٠	–	–	–	–	٢	١٠
السيدة	–	–	١	٢	–	–	١	٢
يسوعيون	–	–	–	–	١	١	١	١
أخوية القديس يوسف	–	–	–	–	١	٣	١	٣
المجموع	٢	١٠	١	٢	٢	٤	٥	٦

٧) قضاء جزين

اسم الدير	مارونية		روم كاثوليك		المجموع	
	أديرة	رهبان	أديرة	رهبان	أديرة	رهبان
دير القديس انطونيوس في جزين	١	٢٢	—	—	١	٢٢
السيدة في مشموشة	١	٥٠	—	—	١	٥٠
بحنّين	١	٨	—	—	١	٨
قطين	١	٨	—	—	١	٨
المزيرعة	—	—	١	٦	١	٦
المجموع	٤	٨٨	١	٦	٥	٩٤

٨) قضاء زحلة

الطوائف التي تعود إليها الأديرة	عدد الأديرة	عدد الرهبان	عدد الكنائس	عدد الكهنة
روم كاثوليك	١	١٢	١٠	٢٢
موارنة	—	—	٣	٥
يسوعيون	١	٨	—	—
بروتستانت	بعثتان	٢	١	—
ارثوذكس	—	—	٢	٢
المجموع	٤	٢٢	١٦	٢٩

احصاء جميع الأديرة في جبل لبنان على أساس الطوائف

	أديرة الرهبان	أديرة الراهبات	الرهبان	راهبات
موارنة	٧١	١٧	١٠٥٤	٢٧٨
لاتين	٤	١	١٦	٣
روم كاثوليك	١٣	٤	٢١٢	٢٠
ارثوذكس	١٢	—	٥٨	—
ارمن	٢	—	٢٦	—
المجموع	١٠٢	٢٢	١٣٦٦	٣٠١

تخضع الأديرة المارونية المذكورة في الجداول السابقة الى رؤساء الأديرة المستقلين في ادارتها وهي تملك أيضاً أديرة أو مؤسسات دينية صغيرة بهدف اقامة الاتصال المباشر مع سكان المنطقة المحيطة بها. لذلك يزيد العدد الاجمالي للاديرة المارونية في جبل لبنان عن ١٥٠ ديراً، ويصل عدد الرهبان والراهبات فيها إلى الألفين. وهكذا يكون للموارنة دير واحد لكل ١١٠٠ نسمة من الجنسين وراهب واحد لأقل من مئة نسمة. ولا يفسر وجود هذا العدد الضخم من الرهبان الموارنة بميل الشعب الى حياة الزهد بقدر ما يرتبط باتساع مساحة الأراضي التي تملكها الاديرة وخصوبتها. ويتمتع الرهبان الموارنة بفضل تلك الثروات بنفوذ وتأثير كبيرين على الشعب وعلى شؤون الادارة وهو النفوذ الذي لا زالوا يحتفظون به حتى اليوم. وقد استمر متصرفو جبل لبنان يخضعون لهذا النفوذ وكثيراً ما كانوا مرغمين على تنفيذ مشيئة وأهواء البطريريك والمطارنة الموارنة. وتصدر العراقيل أو المعارضة التي يصطدم بها أحياناً المتصرفون عند تنفيذ التدابير الادارية باستمرار عن الرؤساء الروحيين الموارنة الذين يحرضون الشعب ويقودون التظاهرات العدائية، وعلى قاعدة نفوذ الرؤساء الروحيين الموارنة يزداد نفوذ فرنسا في جبل لبنان. فالقناصل الفرنسيون العامون في بيروت هم على اتصال مستمر بالرؤساء الروحيين الموارنة ويدعمون مطالبهم وادعاءاتهم أمام المتصرف، ويحرضونهم على الاحتجاج والمقاومة ضد إدارة المتصرفية. كما اعتبر الروم الكاثوليك أيضاً فرنسا حامية لهم في جبل لبنان؛ ويشفع لهم قناصلها رسمياً أمام المتصرفين في جميع القضايا المدنية والكنسية على السواء. أما أبناء طائفة الروم الارثوذكس فيعتبرون روسيا حامية لهم ويلجأون

في جميع الأمور الى حماية وشفاعة القنصل الروسي العام في بيروت الذي يدافع عن حقوق الارثوذكس ومصالحهم الدينية والسياسية على حد سواء أمام المتصرفين وفي مواجهة تعديات وادعاءات الطوائف الدينية الاخرى.

ومن الطوائف الدينية غير المسيحية في جبل لبنان الدروز والمسلمون السنّة والمسلمون الشيعة أو المتاولة.

عن ديانة الدروز سبق لنا الكلام مفصلاً في الدراسة الاتنوغرافية التي قدمناها، وكذلك نحصر الكلام هنا فقط بملاحظة. ليس للدروز رؤساء روحيون بالمعنى الخاص لهذه الكلمة بل ينقسم الشعب كله على أساس وعيه الديني بين فئة «العُقّال» وفئة «الجهّال». يجتمع العقّال فقط في أيام معينة في معابدهم «الخلوات» للصلاة وممارسة طقوسهم الدينية، أما الجهّال فيعيشون في جهل تام لاسرار عقيدتهم.

وبين العُقّال في كل قرية مشايخ لهم الحق بتأدية الطقوس الدينية. ويرأس جميع عُقّال جبل لبنان إثنان من شيوخ العقل أحدهما في بعقلين مركز القائمقامية الدرزية والثاني في المختارة، مقر العائلة الجنبلاطية الغنية وذات النفوذ. الى جانب مشيخة العقل للدروز محكمة درزية لها حق النظر واتخاذ القرارات بشأن القضايا المتعلقة بالزواج والأوقاف والعقارات العامة غير المنقولة ومن هذه الممتلكات عدد كبير تذهب مداخيلها كنفقات للعُقّال الكبار والمدارس والمعابد (الخلوات) وللعائلات الفقيرة. يتمتع كبار العُقّال باحترام شديد لدى افراد الشعب ولكنهم لا يتمتعون بالنفوذ الذي حصل عليه البطريريك الماروني في جبل لبنان؛ فدورهم ديني محض وهو حماية وتفسير معتقدات وطقوس الديانة الدرزية.

يتمسك الدروز بديانتهم ولا يبحثون عن مرتدين من الطوائف الأخرى وهم أنفسهم لا يتراجعون أبداً عن عقيدتهم. ويحكمون على المرتدين منهم بالقتل اذا وجد مثل هؤلاء المرتدين بينهم. ورغم تجنبهم المسيحيين والمسلمين على حد سواء فهم لا يميلون الى التعصب الطائفي أما العداء بينهم وبين الموارنة فأساسه النزاع السياسي ولكنهم لا يكنّون للارثوذكس وللروم الكاثوليك أي عداء أو حقد لانهم لا يخشون أي اعتداء من جانبهم على حقوق الدروز ومصالحهم الشعبية.

للمسلمين القاطنين جبل لبنان من الطائفتين السنية والشيعية مساجدهم وأئمتهم في القرى. من حيث علاقاتهم الدينية لا يتبعون أية سلطة خارجية، ويعتمدون على أوقافهم

لصيانة المساجد وإعالة الأئمة. لا يتبادل المسلمون السنّة والشيعة الود تجاه بعضهم البعض ويتجنبون الاختلاط فيما بينهم لكن الطائفتين لا تظهران أية مظاهر للتعصب الديني. ورغم أن السنّة والشيعة يختلفون مع الدروز في قضايا الايمان لكنهم في المجال السياسي يشكلون وحدة أبان الأزمات لمجابهة النفوذ المسيحي وخير مثل على ذلك حوادث عام ١٨٦٠.

الجاليات الأجنبية في جبل لبنان

لا وجود في جبل لبنان للجاليات الأجنبية التي تشاهد في المدن التجارية الساحلية في السلطنة العثمانية بسبب غياب المراكز التجارية الهامة فيها. ولا يتمثل العنصر الأجنبي في جبل لبنان الا ببضعة موظفين يشغلون مراكز في الادارة ومن أصحاب فبارك الحرير والمبشرين الاميركيين وعائلاتهم ورهبان وراهبات مدارس الاخويات اللاتينية كاليسوعيين واللعازاريين والكبوشيين. يشكل الفرنسيون القسم الأكبر من الجالية الأجنبية في المتصرفية يليهم الاميركيون والايطاليون والالمان. أما الروس فلا وجود لهم في جبل لبنان بشكل عام، بينما يعيش في بيروت بعض المواطنين الروس الذين يملكون فبارك حرير في أرجاء المتصرفية ويملكون عقارات سكنية ومساحات واسعة من الأراضي.

لا يخضع الاجانب القاطنون في المتصرفية، من العلمانيين والاكليريكيين على حد سواء، قانونياً للادارة المحلية بل هم تحت حماية قناصلهم، ويتمتعون بوضع يميزهم عن السكان المحليين ويحظون باهتمام خاص ومنزلة رفيعة.

وليس لأي من القناصل الاجانب مقر في جبل لبنان، والأجانب القاطنون هناك تابعون لقناصل بلادهم الذين يتخذون من بيروت مقراً لهم. وينحصر نشاط قناصل الدول غير الموقعة على بروتوكول المتصرفية بتأمين الحماية لمواطنيهم واقامة علاقة رسمية مع المتصرف خاصة في القضايا المالية الصرفة وحل المنازعات التي تقع بين مواطنيهم ومواطني جبل لبنان. أما قناصل الدول العظمى المشاركة في نظام جبل لبنان والضامنة له فمجال نشاطهم أوسع بكثير. فهم يتدخلون بادارة جبل لبنان، ولهم الحق بمراقبة تنفيذ بنود نظام جبل لبنان بدقة وبالاضافة إلى الحماية التي يقدمونها إلى مواطنيهم يقيمون علاقة مباشرة مع المتصرف ويتدخلون بشؤون الادارة نفسها عندما يتعلق الأمر بتطبيق بنود النظام أو بحقوق ومصالح الطائفة الدينية التي تعتبر تحت حمايتهم.

خاتمة

بعد المباشرة بتطبيق اعلان نظام جبل لبنان عام ١٨٦٢ وحتى اليوم (١٨٨٢) لم يلحظ أي انتهاك جدّي للاستقرار الاجتماعي في جبل لبنان باستثناء الاضطرابات التي قام بها يوسف كرم في الأقضية المارونية الشمالية في عهد المتصرف الأول داود باشا وذلك بايحاء مباشر من الرؤساء الروحيين الموارنة. لكن الانتفاضة التي قام بها يوسف كرم أخمدت سريعاً بمساعدة القوات العثمانية وطرد يوسف كرم من جبل لبنان وأبعد الى فرنسا ثم انتقل منها إلى روما حيث يعيش حتى الآن ولا يزال يتبادل الرسائل سراً مع بعض أعوانه الموارنة. ومن وقت لآخر يوزع يوسف كرم منشورات باللغة الفرنسية تتضمن نداءات إلى السلطان وإلى الدول العظمى حول الحقوق التي أقرها الحكم الذاتي لجبل لبنان ويندد بأعمال التعسف والتصرفات الفردية التي يقوم بها المتصرف. وقد طالب مرات عديدة بالسماح له بالعودة إلى جبل لبنان. غير أن الباب العالي رفض ذلك خشية قيام اضطرابات جديدة، كما أن المتصرفين وقناصل الدول العظمى في بيروت لم يرغبوا بعودة يوسف كرم خشية الاخلال بالأمن في جبل لبنان، رغم علم الجميع بأن يوسف كرم ليس الآ مغامراً بسيطاً ليست له تلك القيمة التي يدّعيها في بياناته ورسائله. ولكي يضفي أهمية سياسية أكثر على نفسه، يلجأ يوسف كرم إلى مختلف الخدع ومنها توجهه خلال الحرب الفرنسية الألمانية إلى قناصل ووزراء بروسيا يعرض عليهم خدماته بتشكيل جيش من عشرة آلاف (كذا) رجل من الموارنة. ولا يتفق ذلك وموقفه فرنسا التي فرضت نفسها منذ زمن بعيد حامية ومناصرة للطائفة المارونية. وفي حربنا الأخيرة مع السلطنة العثمانية كتب يوسف كرم رسائل الى بطرسبرج عارضاً أيضاً جيشه الماروني للمساعدة. ومن الواضح أن الرد على تلك العروض لم يتجاوز ابتسامة السخرية من العقلية التي يعبر فيها الكاتب عن نفسه.

منذ القدم، وبعد أن استولى العثمانيون على سوريا كان نظام الاقطاع منتشراً في جبل لبنان تحت حكم الأمراء الذين كانوا أولاً من المعنيين الدروز ثم من الشهابيين المسلمين

السنّة. وكان الحكام في حالة عداء مستمرة فيما بينهم يقاتلون بعضهم بعضاً أو يقاتلون الباشاوات العثمانيين الذين يحاولون الابقاء على جبل لبنان تابعاً لسلطتهم المباشرة. واعتنق أحد الأمراء الشهابيين وهو الأمير بشير الثاني مع عائلته الديانة المسيحية على المذهب الماروني وبواسطة مختلف أنواع الدسائس وأعمال الجور والتعسف تمكن من تثبيت سلطته على كل جبل لبنان ولعب دوراً بارزاً خلال الحكم المصري في سوريا وظل يحكم جبل لبنان حتى عام ١٨٤٠. فانتقال بعض الشهابيين المسلمين وآل أبي اللمع الدروز المعروفين والاغنياء الى الطائفة المارونية أتاح للموارنة تفوقاً سياسياً كبيراً على الدروز. وكان ذلك سبباً للنزاع السياسي بين الطائفتين وللحروب الداخلية التي أراقت دماء اللبنانيين على مدى سنوات طويلة كانت خلالها كل طائفة توجه ضربات شديدة للأخرى وتسبب لها الخسائر المادية الباهظة في العقارات والممتلكات المنقولة وغير المنقولة.

ولوضع حد نهائي لهذه الخصومات والنزاعات الداخلية قرر الباب العالي، بالاتفاق مع الدول العظمى، إبعاد زعماء العائلة الشهابية عن جبل لبنان والغاء الحكم المباشر عبر الولاة العثمانيين وتقسيم جبل لبنان إلى قائمقاميتين واحدة مارونية وأخرى درزية وبدأ تطبيق هذا النظام الجديد في جبل لبنان عام ١٨٤٢. وفي هذا الاطار حصلت الدول الأوروبية العظمى على حق التدخل السافر في شؤون جبل لبنان. وظلّت تتمتع بهذا الحق في الفترة اللاحقة أيضاً، كل دولة من زاوية مصالحها ومكاسبها الخاصة. ولعبت فرنسا الدور الرئيسي في هذا التدخل عن طريق بسط حمايتها على أبناء طائفتها الموارنة وكذلك بريطانيا التي بسطت حمايتها على الدروز بسبب التنافس السياسي بينها وبين فرنسا في سوريا. كما أن هاتين الدولتين وعملاءهما في بيروت تتحملان المسؤولية الاساسية عن معظم الكوارث والمآسي التي حلّت بجبل لبنان منذ نهاية الحكم المصري عام ١٨٤٠ حتى عام ١٨٦٠ عام المذبحة الرهيبة ضد المسيحيين والتي اهتزت لها أوروبا بأسرها.

إن نظام الحكم الثنائي المستند إلى طائفتين متعاديتين أي الموارنة والدروز لم يحقق تلك الآمال التي علقت عليه لتأمين الاستقرار في البلاد. فلكل من القائمقام الماروني وهو من آل أبي اللمع والقائمقام الدرزي وهو من آل ارسلان خصوم ومنافسون عملوا على اثارة الفتن وتحريض الشعب على معارضته مما أدّى إلى شل التدابير الادارية الصادرة عنهما. واضطر القائمقام الماروني إلى خوض صراع ضد مؤامرات المؤيدين للشهابيين الذين حاولوا بكل الوسائل إثارة الفوضى على أمل استعادة السلطة التي فقدها الشهابيون. أما القائمقام

الدرزي فلقي أيضاً معارضة في أوساط الطائفة التي ينتمي إليها بسبب سيطرة الاقطاعيين على عامة الناس وبسبب النزاع الدائم بين زعماء العائلات وانقسام جماهير الشعب إلى حزبين اليزبكي والجنبلاطي. الى جانب هذه الأسباب التي حالت دون استتباب الهدوء في جبل لبنان هناك أسباب أخرى أقل أهمية تنحصر في التحديد الجغرافي للقائمقاميتين ووجود مشاعر الرغبة بالانتقام وأعمال الشر عند الدروز والموارنة بسبب الاعتداءات السابقة. وكذلك بسبب مؤامرات الباب العالي السرية، لأنه لم يكن يرغب باستقرار نظام القائمقاميتين بل كان يطمح إلى تثبيت سلطته الخاصة على جبل لبنان. شملت القائمقامية المارونية الأقضية الشمالية من جبل لبنان حتى طريق عام بيروت ـ دمشق الحالية في حين شملت القائمقامية الدرزية الأقضية الواقعة الى جنوب الطريق المذكور. وفي اطار القائمقامية المارونية كان يعيش عدد قليل من الدروز في قضاء المتن فقط. أما القائمقامية الدرزية ولا سيما في قضائي الشوف وجزين فكانت تضم بين سكانها عدداً كبيراً من الموارنة يعانون من الاضطهاد والتعسف على يد ملاكي الأراضي الدروز. ولم يكن لهؤلاء الموارنة أي مبرر للقبول بنظام الادارة الثنائي في جبل لبنان. وظلّوا باستمرار يقدمون الشكاوى إلى القائمقام الماروني والى القنصل العام الفرنسي. وفعل دروز قضاء المتن الامر نفسه ضد الادارة المارونية. فكانت الشكاوى المتبادلة من جانب الموارنة والدروز في الأقضية المختلطة سبباً في اندلاع نزاعات دموية داخلية في جبل لبنان أقدم خلالها الدروز، بدعم سري من الولاة العثمانيين والقوات العثمانية، على أعمال بالغة القسوة ضد المسيحيين حتى عام ١٨٤٥. ففي ذلك العام أقدم الباب العالي، بعد الحاح ممثلي الدول العظمى، على ارسال وزير الخارجية العثماني آنذاك شكيب أفندي إلى جبل لبنان مع تعليمات وصلاحيات كانت قد أبلغت مسبقاً إلى سفارات الدول العظمى بواسطة البريد الدبلوماسي. وقد نشر ريشار الوارس Richard Elwars في كتابه «سوريا ما بين ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢، La Syrie 1840-1842» الصادر في باريس عام ١٨٦٢، جميع الوثائق المتعلقة بمهمة شكيب أفندي والتعليمات التي حملها إلى مجلس القائمقاميتين في جبل لبنان.

وتضمنت التعليمات التي حملها شكيب أفندي تفويضاً له من الباب العالي بأن يقيم في جبل لبنان وبصورة نهائية نظام الادارة الثنائية مع استبعاد الاسباب التي قد تعرقل هذا التدبير والتي قد تكون سبباً للمعارضة في أوساط الشعب. ولهذه الغاية كان عليه أن يحدد حقوق المشايخ الدروز المقاطعجيين من ملاكي الأراضي على السكان المسيحيين وأن يحدد

حقوق وكلاء المسيحيين في كل منطقة أو قرية من مناطق وقرى القائمقامية الدرزية التي يسكنها خليط من الدروز والمسيحيين. وقد منح السكان المحليون في الأقضية المختلطة حق انتخاب ممثلين لهم يعتبرون مستقلين عن شيوخ الطوائف الأخرى وحق الدفاع عن مصالح أبناء طائفتهم عند وقوع اعتداء عليهم من جانب المقاطعجيين. ولهؤلاء الوكلاء حق الاتصال بالقائمقام المسيحي وطلب تدخله لدى الوالي العثماني المتواجد مع حاشيته العثمانية في بيت الدين.

ومن أجل ضمان نجاح هذه التدابير فوَّض الباب العالي مبعوثه بمصادرة السلاح الذي كان قد وزع على أهالي جبل لبنان عام ١٨٤٠ عندما طلب الباب العالي مساعدتهم لطرد القوات المصرية.

وقام شكيب أفندي بمهمته على أكمل وجه، ولا سيما بالنسبة لجمع السلاح من الأهالي بواسطة القوات العثمانية. وعقد اجتماعاً في بيت الدين دعا إليه جميع الأمراء والمشايخ الدروز والموارنة مع القائمقامين وأبلغهم ارادة السلطان بنسيان النزاعات الدموية مطالباً بتنفيذ ما قررته الحكومة من تحديد حقوق المشايخ الدروز على المسيحيين والاعتراف بحقوق الوكلاء المسيحيين في الأقضية والقرى المختلطة. وقُبلت هذه الاقتراحات دون أي اعتراض من جميع الحاضرين في مؤتمر بيت الدين. وبعد مرور شهرين نزل شكيب أفندي معهم إلى بيروت حيث تم حل عدد كبير من القضايا الهامة بشأن الادارة المحلية في جبل لبنان وبالتحديد:

١) تم انتخاب وكلاء للمسيحيين في الأقضية المختلطة بموافقة عامة من قبل الطرفين.
٢) تم تحديد جميع نفقات الادارة المحلية لجبل لبنان بجباية بلغت ٣٥٠٠ كيساً لا يُودع منها في خزانة السلطنة الاّ ١٢٠٠ كيساً فقط.
٣) وضعت قاعدة بشأن توزيع حصص متساوية للجباية دون مكاسب شخصية أو عائلية.
٤) تم تعيين حدود أقضية كل من القائمقاميتين على نحو أكثر دقة.
٥) تأسس مجلس في كل قائمقامية تمثلت فيه جميع طوائف جبل لبنان مع حق اللجوء إلى القضاء. وتوزيع حصص الجباية ومراقبة الواردات والنفقات.

وبتأسيس هذين المجلسين تم لجم الاقطاعية من جهة وتساوت حقوق جميع الطوائف والعائلات من جهة أخرى بعد أن كانت كل الامتيازات سابقاً بأيدي الطائفتين المسيطرتين المتنافستين أي الدروز والموارنة. أما أهم نتائج هذه التدابير الادارية فتمثلت بإبعاد الولاة

العثمانيين عن التدخل في الشؤون المحلية لجبل لبنان. فقط في حالة الخلافات التي قد تنشأ بين القائمقاميتين أو انتهاك النظام المستحدث، اعطي ممثل الباب العالي حق النظر في الشكوى موضوع الخلاف مع أخذ الحقوق الممنوحة للأطراف بعين الاعتبار وتطبيقها قانونياً.

وبما أن النظام الجديد في جبل لبنان أقيم بموافقة الدول العظمى ومساهمتها فإنه لم يكن قابلاً للخرق أو التبديل التعسفي من قبل الباب العالي. كما أن القناصل العامين في بيروت الذين أبلغهم شكيب افندي مسبقاً بمضمون الهيكلية الادارية الجديدة بعد اجتماعه بهم فقد منحوا حق مراقبة تطبيق هذا النظام على أرض الواقع.

لم يكن الباب العالي راضياً تماماً عن نتائج مهمة شكيب أفندي خاصة وقد سمح للقناصل العامين في بيروت بالتدخل المباشر والمشاركة في تقرير شؤون جبل لبنان فصمَّم على تغيير الأنظمة التي وضعها بالطرق العادية أو بأساليب اثارة النزاعات والخلافات بين الطوائف اللبنانية. واستدعي شكيب أفندي عام ١٨٤٦ وعيِّن كامل باشا نائباً للسلطان في بيروت. ثم استبدل أيضاً بعد فترة قصيرة بسبب شكاوى وكلاء الدول العظمى ضده فارسل الباب العالي مكانه مصطفى باشا المتمرد على السلطان محمود. ثم أعقبه باشاوات آخرون كانوا يعملون بدرجة متفاوتة من النجاح في اطار نوايا الباب العالي ورغباته ويجدون أعواناً لهم وشركاء في الرأي بين الاقطاعيين الدروز الذين لم يقبلوا بتحديد حقوقهم على سكان مناطقهم من المسيحيين وتمسكوا ببقاء العادات السابقة. وأيد القناصل الانكليز الدروز سرّاً وحاولوا أن يضعوا على رأس القائمقامية الدرزية أحد أبناء الأسرة الجنبلاطية وهو أغنى المشايخ الدروز وأقواهم نفوذاً ومؤيد مخلص للسياسة البريطانية التي كانت تعمل على اقامة إمارة درزية في جبل لبنان. لكن الوكلاء الفرنسيين قاوموا هذه المخططات بكل الوسائل ودافعوا عن النظام الاداري الذي وضع أسسه شكيب أفندي مقدمين حمايتهم السافرة للموارنة مع تحريضهم على مقاومة الدروز.

لقد اتقن الباشوات العثمانيون استغلال النزاع السياسي بين الانكليز والفرنسيين وظلّوا يعملون على تحقيق هدفهم سرّاً مع دعم واضح للمشايخ الدروز.

لكن النشاط السري لم يخدم الاستقرار في جبل لبنان؛ فاتسعت دائرة الاستياء والتململ يوماً بعد يوم، وتضاءلت الثقة بين الدروز والمسيحيين شيئاً فشيئاً، ونشطت أعمال التسلح والاستعداد للقتال، وأخذ تجار بيروت يبيعون السلاح والبارود للطرفين.

وكانت حصيلة ذلك كله مذبحة المسيحيين عام ١٨٦٠ التي بعثت الرعب في أوروبا وأدّت إلى احتلال جبل لبنان من قبل القوات الفرنسية وما تبع ذلك من تعيين لجنة دولية قامت بوضع نظام جبل لبنان الساري المفعول حالياً.

اعتمد هذا النظام على أساس نظام الادارة الذي بدأ تطبيقه في جبل لبنان عام ١٨٤٢ مع الاضافات التي أدخلها شكيب أفندي عام ١٨٤٥. ومع استبعاد العيوب التي اظهرتها التجربة واضافة بعض القرارات الجديدة التي تؤدّي الى قيام مساواة أكثر ثباتاً وضمان جميع الحقوق الدينية والقومية مع الغاء الأسباب التي كانت تؤدي إلى الخصومات والنزاعات.

هكذا قاد النظام الجديد إلى المساواة بين جميع سكان جبل لبنان أمام القانون والى تحطيم الامتيازات الاقطاعية لا سيا تلك التي كان يتمتع بها المقاطعجيون الدروز.

وبدلاً من الادارة الثنائية تأسست ادارة موحدة لجبل لبنان كله وضع على رأسها حاكم مسيحي يعيَّن من قبل الباب العالي ويتبعه مباشرة. وخلافاً للنظام السابق الذي كان القائمقامون ينتخبون فيه من بين الامراء المحليين الموارنة والدروز، فإن الحاكم المتصرف وفقاً للنظام الحالي يُرسل من قبل اسطمبول على أن يكون من خارج جبل لبنان لا من حيث الجنسية فحسب بل أيضاً من حيث الطائفة الدينية فلا يكون من اتباع احدى الكنائس الموجودة في جبل لبنان أي ألا يكون مارونياً أو من طائفة الروم الكاثوليك أو أرثوذكسياً.

وتم تقسيم متصرفية جبل لبنان إلى سبع قائمقاميات وفقاً لعدد الطوائف الدينية وأهميتها وهي بالتحديد: أربع قائمقاميات للموارنة وواحدة للدروز وواحدة للروم الارثوذكس وواحدة للروم الكاثوليك. بالاضافة إلى ذلك أنشئت للمسلمين السنّة والشيعة عدة مديريات. على رأس كل قائمقامية أو مديرية عُيِّن قائمقام أو مدير من الطائفة الدينية المخصصة لها تلك القائمقامية أو المديرية. وعلى أساس هذا القرار تلغى أفضلية الموارنة والدروز من حيث أن هاتين الطائفتين كانتا وفقاً للنظام القديم قيّمتين على حقوق ومصالح جميع سكان جبل لبنان. وتم الاعتراف بباقي الطوائف الدينية على أساس مساواتها مع الموارنة والدروز في جميع حقوق الإدارة. ولما كان القائمقامون والمدراء يعيّنون ويبدلون من قبل المتصرف العثماني فإن ادارة جبل لبنان في الوقت الحاضر ليست مارونية ولا درزية ولا ارثوذكسية ولا كاثوليكية بل هي عثمانية أي أنها تابعة للباب العالي مباشرة.

ان تجزئة جبل لبنان إلى وحدات ادارية متعددة على أساس الطوائف الدينية أدّت إلى حماية

هذه الطوائف من سيطرة واعتداءات الموارنة والدروز لأن التنافس بينهما كان مصدراً دائماً للخصومات والنزاعات الداخلية. ومن جهة ثانية قاد النظام الجديد إلى تقوية سلطة المتصرف العثماني على حساب القوى المحلية على قاعدة مبدأ «فرّق تسد». وللحيلولة دون ذلك تم تشكيل مجلس ادارة جبل لبنان وهو شبه برلمان لممثلي الشعب يتكون من ١٢ عضواً ينتخبون من قبل أعيان القرى مهمتهم توزيع الضرائب ومراقبة المداخيل والنفقات ولهم رأي استشاري لحل جميع القضايا التي يقترحها المتصرف. بيد أن مجلس الادارة الكبير الذي كان من المفترض فيه، ان يكون حامياً للنظام الجديد ويواجه الباشا العثماني باستمرار لتطبيق القانون وتأمين العدالة لم يحقق أهدافه للأسف وذلك للأسباب التالية:

(١) ان لكلّ من الأعضاء المنتمين إلى طوائف دينية مختلفة رأيه ونظرته الخاصة بالنسبة لحقوق سكان جبل لبنان ولا يهتم الاّ بمصالحه الخاصة لا بمصلحة جميع السكان.

(٢) ان معظم الاعضاء غير متعلمين، ولا يفهمون تماماً الدور المناط بهم والغاية من تعيينهم ولا يهمهم بالدرجة الأولى الاّ الاحتفاظ بمقاعدهم والراتب الكبير الذي يتقاضونه.

(٣) ان المتصرف نفسه يستخدم كل ما يستطيع من التدابير للتقليل من أهمية نواب الشعب وإضعاف نفوذهم في ادارة شؤون البلاد. ويلجأ إلى اثارة الخلافات بينهم، كما يمنع انتخاب كل من عُرف منهم بنزعته الاستقلالية أو الوطنية ويفرض سيطرته عليهم عبر نائب الرئيس الماروني الذي يعيَّن خلافاً للقانون اذ أنه لا ذكر له في اعلان النظام الجديد.

مهما يكن من أمر فإن الجانب الجيد من نظام جبل لبنان انه عند تطبيقه منذ عشرين عاماً عرف جبل لبنان ولا يزال استقراراً داخلياً لم يعرفه من قبل وازدادت طاقات سكانه المعنوية والمادية خلال هذه الفترة الزمنية على نحو آثار الحسد لدى سكان المقاطعات العثمانية الأخرى. وإذا كان الموارنة والدروز غير راضيين تماماً عن وضعهم الحالي فذلك فقط لأنه وضع حداً للسلطة المطلقة التي كانوا يتمتعون بها قبلاً وانتزعت منهم وإلى الأبد كل الآمال بأن يروا جبل لبنان كله يوماً ما إمارة مارونية أو درزية. ولم يبق لهم في الأفق الاّ أمل واحد ان يظل على أرض جبل لبنان حماتهم الحاليون أي الفرنسيون أو الانكليز ومثل هذه الأمل يحدو أيضاً الطائفة الارثوذكسية بالنسبة لروسيا. وعلى قاعدة التطور اللاحق للاحداث التاريخية ومصير الحكم العثماني في أوروبا وآسيا سيعرف ما إذا كان أيٌّ من هذه الآمال سيتحقق في المستقبل القريب أو البعيد.

ملحق وثائقي

نص بروتوكول متصرفية جبل لبنان

في ختام كتابه «لبنان واللبنانيون» يضع القنصل بيتكوفيتش ملحقاً باللغة الفرنسية لبروتوكول ١٨٦١ وتعديلاته لعام ١٨٦٤ . وقد استعضنا عن النص الفرنسي بالترجمة العربية للبروتوكول كما ورد في «دليل لبنان» الصادر عام ١٩٠٦ (١٣٢٢ هـ) عن المطبعة العثمانية في بعبدا في ٧٢٦ صفحة وأعيد تصويره مجدداً .

واضع الكتاب، عزتلو ابراهيم بك الأسود، كان صاحب امتياز جريدة «لبنان» ومديراً لمعارف المتصرفية خلال سنوات طويلة، وله خبرة واسعة بأمورها. وقد تناول المؤلف بالتفصيل مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية والعسكرية وغيرها في متصرفية جبل لبنان خلال سنوات ١٨٦١ - ١٩٠٦ . وفيه ثبت تفصيلي بأسماء السلاطين العثمانيين، والنياشين، والمتصرفين، وأسماء الموظفين والعسكريين وجرائد المتصرفية، ومطابعها، ومدارسها، ومستشفياتها، وأديرتها، وأعيانها الذين أحرزوا رتباً أو أوسمة حكومية، وأسماء قناصل الدول الأجنبية وتراجمتهم، وتذكرة الهوية، وأسباب المهاجرة، وغيرها. لذلك لم نر فائدة من إعادة نشر هذه المعلومات في جداول أو ملاحق أو حواشي تفصيلية بل نكتفي بنشر النص الأصلي للبروتوكول محيلين الراغبين في الاستزادة من التفاصيل إلى هذا المرجع الوثائقي الهام .

م. ض

❊ نظام جبل لبنان ❊

الذي مُنح من العواطف السنية الملوكانية

« نظام تقرر وضعه في شأن تعديل واصلاح النظام »
« الموضوع لجبل لبنان بناء على انقضاء مدته »

لما كان الاجل المضروب مدة ثلاث سنين للنظام الذي وُضع وللقرار الذي تقدم صدوره بخصوص ادارة جبل لبنان تحصيلاً لاسباب رفاه وامن الرعية التابعين دولتي العلية القاطنين والمستوطنين الجبل المذكور وكان من المقرر انه عند انقضاء المدة المعينة يعاد التذكر في مقتضى الحال وقد انقضت الآن فقد اجري التعديل والتنقيح في بعض المواد الواردة في لائحة هذا النظام وعند عرضها على جناب سلطنتي الاشرف والاستئذان فيها تعلقت ارادتي السنية الشاهانية باجراء مقتضاها على هذا الوجه وبموجبها لزم اعلان النظام المذكور على المنوال الاتي بيانه

(المادة الاولى) يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي تنصبه الدولة العلية ويكون مرجعه الباب العالي رأساً وهو محتمل العزل بمعنى انه لا يستمر في منصبه ما دام حياً . ويكون على عهدته القيام بجميع خطط الادارة الاجرائية متوفراً على حفظ الراحة والنظام في انحاء الجبل كلها وان يحصل منها التكاليف وبحسب الرخصة التي ينالها من لدن الحضرة الشاهانية ينصب تحت عهدته مأموري الادارة المحلية ويقلد الحكام القضاء ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته . وينفذ الاعلامات القانونية الصادرة من المحاكم الخارجة القيود التي ستذكر في المادة الثامنة

(المادة الثانية) ينبغي ان يكون للجبل كله مجلس ادارة كبير مولف من اثني عشر عضوًا اثنين مارونيين ينوبان عن مديريتي(١) كسروان وثلاثة من مديرية جزين احدهم ماروني والثاني درزي والثالث مسلم واربعة من مديرية المتن احدهم من الموارنة والثاني من الروم والثالث من الدروز والرابع من المتاولة. وعضو واحد درزي من مديرية الشوف وآخر من الروم ينوب عن مديرية الكورة. وآخر من الروم الكاثوليك عن مديرية زحله. ومجلس الادارة هذا يكون مامورًا بتوزيع التكاليف و لبحث في ادارة واردات ومصاريف الجبل وبيان آرائه من وجه المشورة فيما يعرضه عليه المتصرف من المسائل

(المادة الثالثة) ينبغي ان ينقسم جبل لبنان الى سبعة قضوات الاول يشتمل على الكورة مع الجهة التحتية والاراضي المجاورة الآهلة باقوام على مذهب الروم الا ان قصبة القلمون التي على ساحل البحر ومعظم سكانها من اهل الاسلام هي مستثناة من ذلك. والثاني يشتمل من شمالي لبنان على جبة بشري والزاوية وبلاد البترون. والثالث يشتمل من الشمالي المذكور على بلاد جبيل وجبة والمنيطرة والفتوح وكسروان الاصلي حتى نهر الكلب. والرابع يشتمل على زحله وضواحيها. والخامس يشتمل على المتن مع ساحل النصارى واراضي القاطع وصليما. والسادس يبتدىء من جنوبي طريق الشام حتى جزين. والسابع يشتمل على جزين واقليم التفاح. وفي كل من هذه القضاوات السبعة المار ذكرها ينبغي للمتصرف ان ينصب مامور ادارة منتخبًا من ابناء المذهب الغالبين هناك عددًا في النفوس او اهمية في الاملاك والارضين الجارية بتصرفهم

(المادة الرابعة) يجب ان تنقسم القضاوات الى نواح على نمط قريب المشاكلة لما ذكر من اقسام القضاوات فيلي كل ناحية مامور ينصبه المتصرف بناء على انهاء مدير القضاء. وان يكون في كل قرية شيخ ينصبه المتصرف بانتخاب اهلها

(المادة الخامسة) قد تقرر امر المساواة بين الجميع في شمول احكام القانون ونسخ والغاء كل الامتيازات العائدة لاعيان البلاد خصوصًا ذوي المقاطعات

(المادة السادسة) يكون في الجبل ثلاث محاكم ذات درجة اولى يقوم كل منها بحاكم ووكيل ينصبها المتصرف ومعهما ستة وكلا دعاوى رسميين ينتخبهم الطوائف. ويكون في مركز ادارة الحكومة مجلس محاكمة كبير يتالف من ستة حكام ينتخبهم المتصرف ويعينهم من الطوائف الست وهي المسلمون السنيون والمتاولة والموارنة والدروز والروم والروم الكاثوليك ويلحق بذلك ستة من وكلاء الدعاوى الرسميين لكل طائفة وكيل معين. واذا وقع دعوى لاحد المتمذهبين بمذهب البروتستانت او اليهود اضيف الى المجلس حاكم ووكيل دعاوى رسمي من اهل كلا المذهبين علاوة على الاثني عشر عضوًا المار ذكرهم. اما رئاسة هذه المحكمة الكبيرة فيتولاها مامور مخصوص ينصبه المتصرف وان اقتضت حاجات البلاد مزيدًا فللمتصرفين ان يضاعفوا عدد المحاكم ذات الدرجة الاولى ولاجراء الحكومة مجراها المتسق لهم ان يعينوا منذ الان الاماكن الحرية بان تكون فيها هذه المحاكم

(المادة السابعة) ان لمشايخ القرى الذين يقومون بوظيفة حاكم الصلح ان يحكموا بالدعاوى التي لا يتجاوز قدرها مئتي غرش حكمًا غير مستأنف واما الدعاوى المتجاوز قدرها مئتي الغرش فترى في مجالس المحاكمة ذات الدرجة الاولى. على انه لو عرض امور مختلطة وهي الدعاوى الواقعة بين اثنين مختلفي المذهب وابى ايهما كان قضاء حاكم الصلح فيها لكونه على مذهب المدعى عليه

فتحال وان قل قدرها الى محاكم الدرجة الاولى. ثم ان جميع الدعاوى ولو
وجب فصلها بحسب ماهيتها بغالبية اراء الاعضاء الا ان للمدعي والمدعى
عليه المتحدي المذهب ان يردوا الحاكم لاختلاف مذهبه غير ان الحكام
المردودين من هذا الوجه لابد من حضورهم المحاكمة

(المادة الثامنة) تقتضي المحاكمة في الدعاوى الجزائية ان تكون على
ثلثة وجوه وهي ان يرى دعوى القباحة شيوخ القرى المتقلدين خطة حاكم
الصلح وان الجنحة والجرائم تراها المحاكم ذات الدرجة الاولى . وان
الجنايات تجري محاكمتها في مجلس المحاكمة الكبير واعلامات الحكم الواجب
صدورها من هذا المجلس لا يمكن وضعها موضع التنفيذ ما لم تكمل المعاملات
والمراسم الجارية بها العادة في سائر الممالك المحروسة الشاهانية

(المادة التاسعة) ينبغي ان يرى في مجلس تجارة بيروت كل الدعوى
التجارية حتى ان الدعاوى العادية الواقعة بين احد من ذوي التابعية
الاجنبية او احد الداخلين في حماية اجنبية وبين آخر من اهل الجبل ترى
في المجلس المذكور . على ان المنازعات البادية بين اللبنانيين والاجنبيين
متى تأتى فصلها بمعرفة محكمين عن تراض من المتنازعين فيجب والحالة هذه
على ماموري لبنان المحليين وقناصل الدول المتحابة الفخيمة ان ينفذوا اعلام
المحكمين . وان تعذر تراضي الخصمين على التحكيم في الدعوى واحيلت الى
محكمة بيروت فتجب تادية المصاريف على الخاسر دعواه بحسب التعريفة التي
وضعها متصرف جبل لبنان وقناصل الدول جملةً واتفاقاً وقد جرى عليها
التصديق من جانب الباب العالي . ومن المقرر انه يجب في الصك الحاوي
تراضي المتنازعين على اتخاذ محكمين ان ينظماه ويمضياه وفقاً لاصوله وان
يسجلاه في محكمة بيروت وفي مجلس المحاكمة الكبير بلبنان

(المادة العاشرة) ان الحكام ينصبهم المتصرفون بخلاف اعضا مجلس
الادارة فانهم ينتخبون بمعرفة مشايخ القرى كما ان انتخاب الشيخ يكون بمعرفة

اهل القرية . ثم ان اعضاء مجلس الادارة يجدد انتخاب ثلثهم كل سنتين
ويجوز انتخاب من انقضت مدة عضويتهم

(المادة الحادية عشرة) يجب ان يكون الحكام باجمعهم موظفين وان اقدم
احدهم على ارتكاب « الرشوة » او تبين بالتحقيق انه آتٍ ما لا يليق بصفة
ماموريته فهو مستحق للعزل بل مستوجب للتاديب على قدر قباحته

(المادة الثانية عشرة) يجب في مجالس القضا على الاطلاق ان
تكون المرافعة علنية وان يعهد بضبط الدعوى الى كاتب مخصوص وماعدا
ذلك فحيث ان هذا الكاتب يكون مأموراً باتخاذ سجل لقيود الصكوك
المختصة بفراغ وانتقال « بيع » الاموال الثابتة « العقار » فلا تكون هذه
الصكوك معمولاً بها ما لم تقيد بحسب اصولها في السجل المذكور

(المادة الثالثة عشرة) ان المتهمين من اهل جبل لبنان بارتكاب
الجرائم في غير الوية فمرجع الدعوى عليهم هو اللواء الواقع فيه الجرم .
وكذا مرتكبو الجرم من اهالي سائر الالوية داخل نطاق جبل لبنان ينبغي
ان تجري محاكمتهم والحكم عليهم بدعاوى جرائمهم في جبل لبنان . وبناء
على ذلك فان المجترمين في جبل لبنان سواء كانوا من اهاليه الوطنيين او من
نزلائه المعدودين من اهل ديار اخرى اذا فرّوا الى لواء آخر فكما ان على
ضابطه ان يمسكهم بمقتضى الاشعار الوارد من قبل ادارة جبل لبنان
ويسلمهم اليها كذلك يلزم ادارة الجبل ان تلقي القبض على الفارّين اليه
من المجرمين في احد الالوية لبنانيين كانوا او غير لبنانيين وتدفعهم الى
اللواء المذكور بموجب اشعار ضابطه . ومامورو الادارة الذين يتسامحون
في اجراء الاوامر الصادرة باسترجاع امثال هولاء المتهمين الى المحاكم
المنوطة بهم دعاويهم او الذين يجيزون تاخيرات لا يمكن اثبات ابتنائها
على اسباب شرعية فتجري عليهم المجازاة بمقتضى قانون الجزاء كسائر الذين
يواورن ويخفون امثال هولاء المتهمين عن الحكومة . والحاصل ان العلاقات

اللازم اجراوءها بين ادارة جبل لبنان والالوية المجاورة لها تكون كالمواصلات الجارية والمتخذة دستورًا للعمل بين باقي السناجق في ممالك الدولة العلية

(المادة الرابعة عشرة) ان سبيل المتصرف الى اقرار حفظ الراحة وانفاذ القوانين في الازمنة العادية انما يكون بمعرفة فرقة ضبطية مجموعة من الاهلين بحسبان سبعة نفر تخميناً عن كل الف من النفوس ويجب نسخ سلك الحوالية وابطال نزول الضبطية على البيوت الاعتياض عن ذلك باسباب اكراهية كاستياق المحكوم عليه الى السجن · فبناء على ذلك يمنع مامورو الضبطية بقيد التاديبات الشديدة ان يصادروا اهل البلاد بشيء من الاجرة نقدًا كان او عيناً · ويجعل للضبطية ملبس رسمي او ازياء مميزة في خدمتهم · وان تبقى طرقات بيروت والشام وصيداء وطرابلس تحت محافظة العساكر الشاهانية الى ان يصدق المتصرف على ان جند الضبطية صاروا اكفاء لاتمام جميع الوظائف المحمولة عليهم في الازمنة العادية · وهذا العسكر يكون لدى المتصرف وبادارته وللمتصرف ان يطلب من الحكومة العسكرية بسورية الامداد بالجنود المنظمة في الاحوال الغير العادية ان دعت الضرورة بعد ان يستشير مجلس الادارة الكبير · ويلزم الضابط المعين بالذات لرئاسة هذا العسكر ان ينظر مع المتصرف في تقرير التدابير الواجب اتخاذها وهو (اي الضابط المومأ اليه) ومن كان مختارًا ومستقلاً بامور العسكر المحضة كاجراء الحركات والنظامات الجندية الا ان عليه مدة وجوده في الجبل ان يلزم معية المتصرف و يجري العمل تحت عهدته وفي حال اعلان المتصرف لرئيس العسكر وافادته رسمياً ان قد زال السبب الذي من اجله ورد العسكر الى الجبل يجب عليه اخراجه منه

(المادة الخامسة عشرة) ان الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل ويركو الجبل المعين الان ثلاثة الاف وخمسمائة كيس وذلك على يد المتصرف على انه يجوز ابلاغ هذا القدر الى سبعة الاف كيس عند

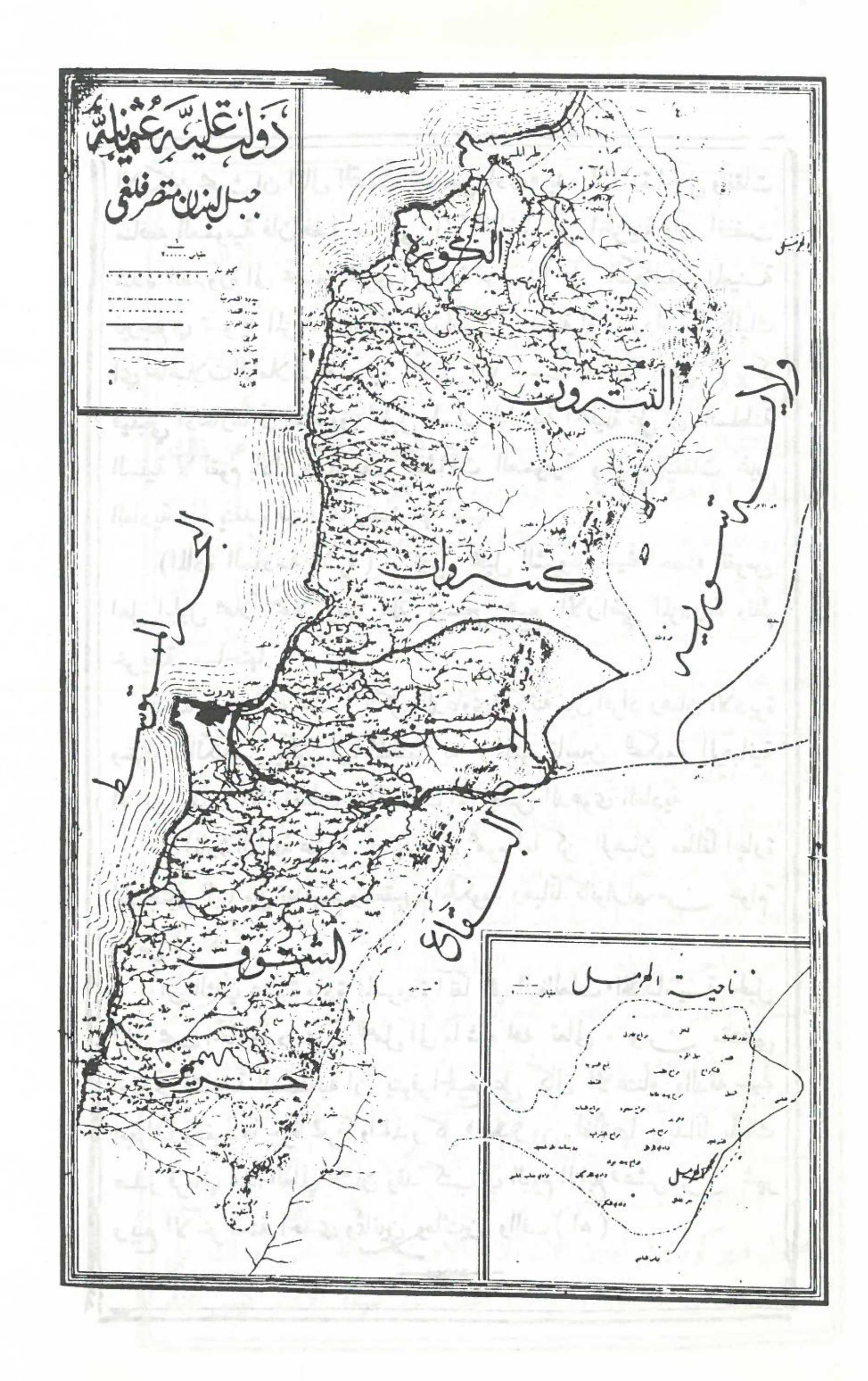
الامكان بحيث ان المال المتحصل يخصص بادىء بدء لادارة الجبل ونفقات منافعه العمومية فان فضل منه شيء رُدَّ الفاضل على الخزينة وان اقتضت شدة الضرورة الى تحسين مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية المزيد الى مصاريف الخزينة الجليلة اما واردات البكاليك اي حاصلات الاملاك الهمايونية فحيث انها ليست بداخلة ضمن الويركو فينبغي ادخارها في صندوق الجبل لحساب الخزينة الجليلة على ان السلطنة السنية لا تقوم باداء مصاريف المنشآت العمومية وسائر النفقات غير العادية مالم يتقدم قبولها لها وتصديقها عليها

(المادة السادسة عشرة) يجب تعجيل الشروع في احصاء نفوس اهل الجبل محلاً محلاً وملةً ملةً ومسح جميع الاراضي المزدرعة ونظم خريطة مساحتها

(المادة السابعة عشرة) كل الدعاوي الكائنة بين افراد رهبان الاديرة وخوارنة الكنائس يكون فيها المظنون به او المتهم تابعين للحكومة الرهبانية الا ان تطلب الاسقفيات احالة ذلك الى مجلس الدعوى العادية

(المادة الثامنة عشرة) يمتنع في عموم اماكن الرهبان مطلقاً اجارة اللاجئين اليها من تطلبهم وتتعقبهم الحكومة رهباناً كانوا او من عوام الناس (اه)

ان الثماني عشرة مادة المسرودة آنفاً هي النظامات الاعاشية لجبل لبان يجب اتخاذها دستورًا للعمل الى ما شاء الله تعالى · ومن مقتضى ارادتي القاطعة السلطانية ان يتوفر الجميع على كمال الاعتناء والدقة في اجرائها وتنفيذها حرفاً فحرفاً والحذر كل الحذر من مخالفتها وايذاناً بذلك صدر فرماني هذا العالي الشان وقد كتب في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الآخر لسنة احدى وثمانين ومائتين والف (اه)



فهرس الموضوعات

هذه السلسلة

المصادر الروسية لتاريخ بلاد الشام الحديث

سلسلة تاريخية بإشراف الدكتور مسعود ضاهر لنقل المصادر الوثائقية الأساسية إلى اللغة العربية من الأرشيف ومذكرات الرحّالة والدبلوماسيين والعسكريين الروس أبان المرحلة العثمانية الطويلة في حكم بلاد الشام. وقد صدر منها حتى الآن:

١ - «بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين من خلال مذكرات العالم الروسي الكبير أ. كريمسكي «رسائل من لبنان ١٨٩٦ - ١٨٩٨».

٢ - قسطنطين بيتكوفيتش «لبنان واللبنانيون - دراسات جغرافية واتنوغرافية واقتصادية وسياسية ودينية حول متصرفية جبل لبنان ذات الحكم الذاتي» صدرت الطبعة الروسية في بطرسبرج (لينينغراد حالياً) ١٨٨٥.

وستصدر تباعاً بعض مذكرات الرحالة والدبلوماسيين الروس خلال تلك المرحلة.

تصدر السلسلة عن دار المدى - بيروت



«لبنان واللبنانيون» للقنصل الروسي ق. بيتكوفيتش وثيقة تاريخية فريدة في بابها تناولت تطور متصرفية جبل لبنان في جميع جوانبها خلال عشرين عاماً (١٨٦٢ - ١٨٨٢). وبعد مرور مئة عام على صدور هذه الوثيقة بالروسية عام ١٨٨٥ بات الإطلاع عليها أمراً صعباً للغاية. لذلك جاءت ترجمتها إلى العربية لتسد نقصاً كبيراً في المكتبة التاريخية حول متصرفية جبل لبنان فالجداول الاحصائية التي تنشر للمرة الأولى بالإضافة إلى فهم دقيق للمسألة اللبنانية خلال سنوات ١٨٤٠ - ١٨٨٢ تجعل من كتاب «لبنان واللبنانيون» مصدراً لا غنى عنه لكل باحث في التاريخ الحديث للمقاطعات اللبنانية.

